بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

« قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * »

سورة يوسف ، آية (١٠٨)

وقال تعالى :

« ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * »

سورة الجاثية ، آية (١٨)

نموذج رقـــم : ((٨)) ..

أجازة أطروحه علمية فى صيغتها النهائية بعد أجراء التعديلات المطلوبة

الأسم ((رباعي)) : يحيى بن عبدالفتاح بن عبدالله باقاسي — الكلية : التربيـــة القسم :تربيه أسلامية

الاطروحه مقدمة لنيل درجة : الماجستيــــــــر — التخصص : تربيه أسلامية ..

عنوان الاطروحه ((الأساس العقائدى لنهضة المسلمين العلمية والحضاريـــــــــــــــــــــــــــة))..

==

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعـــــد ....

فبناء على توصية اللجنه المكونة لمناقشة الاطروحه المذكورة عاليه والتى تمت مناقشتها بتاريخ : ١٢ / ٩ / ١٠ / ١٤هـ بقبول الاطروحه بعد أجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم .. فـأن اللجنه توصي بأجازة الاطروحه فـــي صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكملي للدرجه العلمية المذكورة أعلاه ..

واللـــــــه الموفـــــق ..

أعضـــاء اللجنـــــــة

المشرف	مناقش من داخل القسم	مناقش من خارج القسم
الأسم : د . بشير حاج التوم	الأسم : د . عمر حسين عطـــــار	الأسم : د . أحمد محمد بناني
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد :

رئيس قسم التربيه الأسلامية والمقارنـــــة

د . نجم الدين بن عبدالغفور الانديجانـــي

* يوضـــــع هذا النموذج أمام الصفحه المقابلة لصفحة عنوان الاطروحه في كل صفحه من الرسالة ..

==

حمزة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى

الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية

اعداد الطالب

يحيى بن عبد الفتاح بن عبد الله باقاسي

اشراف الدكتور

بشير حاج التوم

دراسة مقدمة الى قسم التربية الاسلامية والمقارنة في كلية التربية
بجامعة أم القرى متطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الاسلامية

جامعة أم القرى ١٤٠٩ هـ

ملخص البحـــث

عنوان البحث : " الأساس العقائدي لنهضة المسلمين العلمية والحضارية ".

الاسم : يحيى بن عبدالفتاح بن عبدالله باقاسي.

الهدف من الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى ايضاح الاساس العقائدي الصحيح المستنبط من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وابراز أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية الصحيحة فى المجالين العلمى والحضارى، وكذلك ابراز أهم آثار البعد عن العقيدة الإسلامية فى الوقت الحاضر فى المجالين العلمى والحضارى.

أهمية الدراسة :

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة الى :

١ - لفت انظار المسلمين عامة بأن العقيدة الإسلامية هى القوة الحقيقية الدافعة لكل خير ولكل تقدم فى كافة المجالات وخاصة فى المجالين العلمى والحضارى.

٢ - تعريف المسلمين بأن ما اصابهم من تخلف فى كافة المجالات انما سببه البعد عن الالتزام بالعقيدة الاسلامية وليس التمسك بالعقيدة الإسلامية .

٣ - تعريف المسلمين عامة بأن العقيدة الإسلامية الصحيحة اذا طبقت التطبيق الصحيح فى أى زمان ومكان فانها تاتى بنفس النتائج الايجابية التى جاءت للجيل الاول فى كافة المجالات .

٤ - ارشاد المسلمين الى السبيل الوحيد الذى لابد أن يسلكوه لكى يحققوا لأنفسهم تقدما فى كافة المجالات وخاصة المجالين العلمى والحضارى .

هذا وقد استخدم الباحث فى هذه الدراسة مناهج البحث التالية :-
المنهج الإستنباطى ، المنهج التاريخى ، المنهج الوصفى .
وفى نهاية الدراسة توصل الباحث الى نتائج وتوصيات من اهمها :-

اولا : النتائـــج :-

١ - ان العقيـدة الإسلامية هى القوة الحقيقية الدافعة لكل عمل خير ، فهى الدافعة للتخلق بالأخلاق الحسنة ، وهى الدافعة لإنشاء نهضة علمية مباركة مقيده بتقوى الله وخشيته ومتخلقة بالأخلاق الحميدة ، وهى الدافعة لعمارة الارض بمقتضى المنهج الربانى الذى ينشئ حضارة انسانية شاملة وملتزمة بالأخلاق الإسلامية الحميدة .

٢ - أن الاجيال الأولى من أبناء الامة الإسلامية عندما التزمت بالعقيدة الإسلامية فانها انشأت اكبر حركة علمية واكبر حركة حضارية فى تلك القرون .

٣ - أن الامة الإسلامية عندما ابتعدت عن العقيدة الإسلامية فى العصور الحالية حدث لها كل انواع التخلف فى مختلف المجالات، حدث لها التخلف العلمى والحضارى والاقتصادى والحربى والسياسى والفكرى والثقافى .. .

٤ - اذا التزم العالم المسلم بالعقيدة الإسلامية الصحيحة التزاما قويا فان ذلك ينعكس على علمه بحيث لايصدر منه الا كل علم نافع ومفيد سواء كان ذلك فى مجال العلوم الإنسانية أو فى مجال العلوم الطبيعية .

٥ - اذا طبقت العقيدة الإسلامية الصحيحة التطبيق الصحيح فى أى زمان ومكان فانها تاتى بنفس النتائج الإيجابية التى جاءت بها الاجيال الاولى .

ثانيا : التوصيـات :-

١ - المبادرة بالعمل على نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين فى كافة ارجاء العالم الإسلامى، لأن العقيدة الإسلامية الصحيحة هى الدافعة لكل عمل خير ينشده المسلمون اليوم .

٢ - على القائمين على نظم التعليم فى البلاد الإسلامية أن يعملوا بجد على جعل التعليم فى بلدانهم تعليما اسلاميا وذلك عن طريق صياغة كافة مناهج المواد الدراسية فى كل المراحل التعليمية صياغة اسلامية صحيحة وفق المنهج الربانى .

٣ - على النظم السياسية فى العالم الاسلامى أن تعمل على محو الامية بين جميع الفئات من ابناء المسلمين وذلك ضمن خطة موحدة ومحددة الأجل، لأن الأمة الأمية التى لا تقرأ ولا تكتب لايمكن أن تقوم فيها نهضة علمية أو حضارية .

٤ - على المسئولين عن التعليم العام والجامعات فى العالم الإسلامى أن يهتموا ويركزوا على تعليم العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية من منظور اسلامى بحت ، لأن هذه التخصصات تنقص الامة الإسلامية وهى فى أمس الحاجة اليها .

٥ - يجب الاهتمام بترجمة العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها مع التحفظ والتقليل من ترجمة العلوم الإجتماعية بكل فروعها ، مع ملاحظة صياغة المفاهيم المخالفة للعقيدة الإسلامية صياغة اسلامية أثناء الترجمة ، وكذلك تمحيصها وبيان مافيها من انحراف .

اعداد الطالـــب	اشراف الدكتـــور	يعتمد عميد كلية التربية
يحيى بن عبدالفتاح بن عبدالله باقاسي	بشـير حاج التـــوم	د . هاشم بكر حريـــرى

شكر وتقديــــر

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره أولا وآخرا على أن وفقني لاتمام هذه الدراسة .

ثم أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي الفاضل معالي الدكتور / بشير حاج التوم الذي بذل لي من التوجيه والنصح ماكان له الأثر البالغ في انجاز هذه الدراسة في صورتها النهائية .

قائمة المحتويـــــات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

الفصـــل التمهيـــــــد ى

- مقد مة البحــــــث
- موضوع الد راسة والتساؤلا ت
- أهداف الد راســــــــة
- أهميـــة الد راســــــة
- منهج الد راســــــــة
- حد ود الد راســــــــة
- الد راسات السابقـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ... أما بعد :

شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مجتمع عربي جاهلي يصفه أحد أفراده بقوله*: " كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار (ونئد البنات) ويأكل القوي منا الضعيف " . (١)

وكان العرب قبل البعثة المحمدية قبائل متفرقة لا تجمعهم أي رابطة من الروابط ، وكانت كل قبيلة من هذه القبائل مشغولة بالحروب التي تشنها على الأخرى لأتفه الأسباب ، كما كان العرب قبل البعثة المحمدية أميين لا يعرفون القراءة والكتابة كما أخبر القرآن بذلك ، ولم يحدثنا التاريخ بأن العرب قبل البعثة المحمدية تفوقوا في علم من العلوم - إلا الشعر - الرياضية أو الطبيعية ، ولم يحدثنا كذلك بأن العرب قبل البعثة المحمدية كانت لهم نهضة علمية أو حضارية .

ولكن عندما بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالعقيدة الاسلامية النقية من كل الشوائب إلى ذلك المجتمع تغير كل شيء فيه ، فحين اعتنق هؤلاء الناس هذه العقيدة وطبقوا تعاليمها في واقع حياتهم خرجت منهم خير أمة أخرجت للناس ، وحين اعتنق هؤلاء الناس هذه العقيدة وطبقوا تعاليمها في واقع الحياة نشروا الخير للناس كافة وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدالة الاسلام ، وحين اعتنق هؤلاء الناس هذه العقيدة وطبقوها في واقع حياتهم جعلت منهم أمة العلم والرقي والحضارة ، بل جعلت منهم زعماء العالم في العلم والحضارة .

---

(١) محمد بن عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق محمد فهمي السرجاني ، مصر ، المكتبة التوفيقية ، د . ت ، د . ط ، جـ١ ص ٢٣٠ .

* هو جعفر بن أبي طالب .

وكل ذلك من خلال تعاليمها وتوجيهاتها الربانية التى ما تركت أى جانب من جوانب الحياة الا وشملته .

واليوم نرى الأمة الاسلامية فى مصاف الأمم المتخلفة علميا وحضاريا ، بل إنها من أكثر الأمم والشعوب تخلفا ، وهذا راجع فى نظر الباحث إلى عدم إلتزامها الإلتزام الصحيح بالعقيدة الاسلامية الصحيحة .

وهناك من يرى من أعداء الأمة الاسلامية أن سبب تخلف الأمة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى يرجع إلى تمسكها بالعقيدة الاسلامية .

لذلك رأى الباحث أن يقوم بدراسة تحت عنوان " الأساس العقائدى لنهضة المسلمين العلمية والحضارية " ، يوضح فيها الأساس العقائدى الاسلامى الصحيح باعتباره هو القوة الحقيقية الدافعة لكل تقدم فى كافة مجالات الحياة ، وخاصة فى المجالين العلمى والحضارى ، ويوضح فيها أيضا أن تخلف المسلمين فى المجالين العلمى والحضارى لايرجع إلى تمسكهم بالعقيدة الاسلامية إنما يرجع إلى عدم تمسكهم بالعقيدة الاسلامية .

أسأل الله العلى القدير أن يوفقنى فى عملى هذا إنه سميع مجيب .

موضوع الدراسة والتساؤلات :

لاحظ الباحث أن أعداء الأمة الاسلامية يركزون دائما على تشويه العقيدة الاسلامية ، فهم يزعمون أن كل ما أصاب المسلمين من تخلف كان بسبب تمسكهم بالعقيدة الاسلامية ، أى أن العقيدة الاسلامية هى سبب التخلف !

ويزعمون أن العقائد الدينية عموما والعقيدة الاسلامية بصفة خاصة لا تتفق مع العلم وأن التمسك بها لا يؤدى إلى أى تقدم علمى أو حضارى ، بل يقف حجر عثرة فى سبيل ذلك كله . (١)

كما لاحظ الباحث أن كثيرا من أبناء الأمة الاسلامية صدّقوا ما ردده الأعداء وأخذوا يتخلون عن عقيدتهم الاسلامية ويقلدوا الكفرة فى شتى مجالات الحياة .

لذلك رأى الباحث أن يقوم بدراسة تحت عنوان " الأساس العقائدى لنهضة المسلمين العلمية والحضارية " ، يوضح فيها الأساس العقائدى الاسلامى الصحيح باعتباره القوة الحقيقية الدافعة لكل تقدم فى كافة مجالات الحياة وخاصة فى المجالين العلمى والحضارى ، ويثبت فيها علميا أن العقيدة الاسلامية هى السبب فى دفع معتنقيها الأوائل لإنشاء أكبر حركة علمية وأكبر حركة حضارية فى تلك القرون ، ويثبت فيها علميا أيضا أن سبب تخلف المسلمين فى المجالين العلمى والحضارى إنما يرجع إلى عدم تمسكهم بالعقيدة الاسلامية الصحيحة .

ويمكن أن تصاغ هذه الدراسة فى التساؤلات الرئيسة التالية لكى تتم الإجابة عليها بإذن الله :

س ١ :ـ ما هو الأساس العقائدى لنهضة المسلمين العلمية والحضارية ؟

ويتبثق من هذا السؤال السؤالان التاليان :

س :ـ ما أثر العقيدة الاسلامية فى تربية العقل ؟

س :ـ ما أثر العقيدة الاسلامية فى تربية الخلق ؟

---

(١) أنظر: محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، الدمام، دار الاصلاح ، د . ت ، د . ط ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وانظر كذلك : محمد قطب: واقعنا المعاصر، جدة ، مؤسسة المدينة للصحافة ، ١٤٠٧ هـ، ص ١٨٤ .

س ٢ :- ماهى أهم آثار الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال العلمى ؟

س ٣ :- ما هى أهم آثار الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال الحضارى ؟

س ٤ :- ما هى أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى ؟

أهداف الدراسة :

١ - إيضاح الأساس العقائدى الصحيح المستنبط من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢ - إبراز أهم الآثار التى ظهرت فى الجانبين العلمى والحضارى نتيجة لتطبيق الأساس العقائدى .

٣ - إبراز أهم آثار البعد عن تطبيق الأساس العقائدى فى الوقت الحاضر فى المجالين العلمى والحضارى .

أهمية الدراسة :

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى :

١ - لفت أنظار المسلمين عامة بأن العقيدة الاسلامية هى القوة الحقيقية الدافعة لكل خير ولكل تقدم فى كافة المجالات وخاصة فى المجالين العلمى والحضارى .

٢ - تعريف المسلمين بأن ما أصابهم من تخلف فى كافة المجالات إنما سببه البعد عن الالتزام بالعقيدة الاسلامية ، وليس التمسك بالعقيدة الاسلامية .

٣ - تعريف المسلمين عامة بأن العقيدة الاسلامية الصحيحة إذا طبقت التطبيق الصحيح فى أى زمان ومكان فإنها تأتى بنفس النتائج الإيجابية التى جاءت للجيل الأول فى كافة المجالات .

٤ - إرشاد المسلمين إلى السبيل الوحيد الذى لابد أن يسلكوه لكى يحققوا لأنفسهم تقدما فى كافة المجالات وخاصة المجالين العلمى والحضارى .

منهج الدراسة :

سيتم بمشيئة الله فى هذا البحث إستخدام المناهج التالية :

١ — المنهج الإستنباطى :

وهو المنهج الذى يقوم على إستنباط الحقائق من مصادرها الأساسية .(١)

وحيث إن جميع أسس العقيدة الاسلامية وتعاليمها موجودة فى القرآن الكريم وكتب السنة الشريفة فإنه يمكن الإستفادة من هذا المنهج فى إستنباط أسس وتعاليم العقيدة الاسلامية من هذين المصدرين الأساسيين ثم تجميعها والتأليف بينها على نسق مستوحى من طبيعة الاسلام ، ومن ثم إلقاء الضوء عليها باعتبارها هى القوة الحقيقية التى كان لها الدور الكبير فى دفع المسلمين الأوائل - عند ما التزموا بها - إلى كل ما وصلوا إليه في مجال النهضة العلمية والحضارية .

كما يمكن الإستفادة من هذا المنهج فى إستنباط بعض القيم الأخلاقية من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، والتى كان لها الأثر الكبير فى تمييز نهضة المسلمين العلمية والحضارية عن غيرها .

٢ — المنهج التاريخى :

" وهو المنهج الذى يقوم على إسترداد الماضى تبعا لما تركه من آثار " .(٢)

فهو بهذا يعتمد على تقصى الأحداث والوقائع التى تمت فى الماضى ثم تحليلها وتفسيرها بغية الوصول إلى تعميمات تساعد على فهم الحاضر والمستقبل .(٣)

---

(١) عبد الرحمن النحلاوى : التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة ، بيروت ، المكتب الاسلامى ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٥ .

(٢) أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، مصر ، دار المعارف ، ١٤٠٤ هـ ، ص ١١٧ .

(٣) جابر عبد الحميد جابر : أحمد خيرى كاظم ، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة ، النهضة العربية ، ١٣٨٨ هـ ، ط ٢ ، ص ٤٠ .

وسوف يستفاد من هذا المنهج عند تقصى بعض مظاهر الحركة العلمية الاسلامية ، والحركة الحضارية الاسلامية التى جاءت نتيجة للإلتزام بالعقيدة الاسلامية إلتزاما جيدا .

كما سوف يستفاد من هذا المنهج عند دراسة سير بعض العلماء المسلمين ونتاجهم الفكرى الذى كان له أكبر الأثر فى إظهار النهضة العلمية والحضارية بالمظهر الجيد والمتميز .

٣ – المنهج الوصفى :

وهو المنهج الذى يقوم بوصف ما هو كائن ، ثم تفسيره وتحليله والخروج بعد ذلك بنتائج ذات دلالة بالنسبة لموضوع البحث .(١)

وسوف يستفاد من هذا المنهج عند وصف بعض مظاهر الواقع العلمى الحالى والواقع الحضارى ، وذلك لإيضاح آثار البعد عن الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى .

كما أنه سوف يستفاد من هذا المنهج فى الخروج بنتائج وتوصيات يمكن أن تسهم فى تحسين واقع المسلمين العلمى والحضارى .

حدود الدراسة :

بالنسبة للحدود الزمانية للآثار الإيجابية الناتجة عن الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى فإنها تتمثل فى السبعة القرون الاسلامية الأولى .

أما الحدود المكانية لهذه الآثار فإنها تشمل معظم حواضر العالم الاسلامى فى تلك الفترة .

وبالنسبة للحدود الزمانية للآثار السلبية الناتجة عن البعد عن الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى ، فإنها تتمثل فى القرن الرابع عشر الهجرى وبداية القرن الحالى " الخامس عشر الهجرى " .

أما الحدود المكانية لهذه الآثار فانها تمثل العالم الاسلامى فى العصر الحالى .

---

(١) جابر عبد الحميد جابر ، أحمد خيرى كاظم : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

الدراسات السابقة :

١ ـ العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية .(١)

وتتكون هذه الدراسة من مدخل وثلاثة أبواب :

تحدث الباحث في المدخل عن : ـ

١ ـ تعريف العقيدة لغة واصطلاحا ، ثم علاقة العقيدة بالإيمان .

٢ ـ تعريف الإسلام لغة واصطلاحا ، ثم علاقة الإسلام بالإيمان .

٣ ـ تعريف التربية لغة واصطلاحا ، ثم المفهوم الإسلامي للتربية .

٤ ـ تعريف النظم لغة واصطلاحا ، ثم طبيعة النظم الإسلامية .

الباب الأول بعنوان : أثر العقيدة في تربية النفس .

ويتفرع منه عدة فصول : ـ

الفصل الأول : أثر الإيمان بالله في تربية النفس .

الفصل الثاني : أثر الإيمان بالملائكة في تربية النفس .

الفصل الثالث : أثر الإيمان بالكتب في تربية النفس .

الفصل الرابع : أثر الإيمان بالرسل في تربية النفس .

الفصل الخامس: أثر الإيمان باليوم الآخر في تربية النفس .

الفصل السادس: أثر الإيمان بالقدر في تربية النفس .

الباب الثاني بعنوان : إرتكاز التوجيهات التي تنظم حياة المجتمع الاسلامي على العقيدة

وتتفرع منه عدة فصول :ـ

الفصل الأول : التوجيهات السياسية .

الفصل الثاني : التوجيهات الحربية .

الفصل الثالث : التوجيهات الاقتصادية .

الفصل الرابع : التوجيهات الأخلاقية .

---

(١) محمد حافظ الشريدة : العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية ، رسالة دكتوراه في الشريعة الاسلامية ، اشراف محمد قطب ، ١٤٠٣ هـ .

الباب الثالث بعنوان : صور من واقع المجتمعات المختلفة .

ويتفرع منه عدة فصـــول :-

الفصل الأول : واقع المجتمع الإسلامى فى عصوره الأولى .

الفصل الثانى : واقع المجتمعات الكافرة المعاصرة .

الفصل الثالث: واقع أمتنا اليوم وكيف نربيها على العقيدة .

والملاحظ على هذه الدراسة أنها ركزت فى الباب الأول على إيضاح أثر الإيمان بأركان الإيمان الستة فى تربية النفس الإنسانية ، ثم أوضح فى الباب الثانى توجيهات العقيدة لبعض النظم الاسلامية ، وتحدث عن التوجيهات السياسية والحربيـــــة والاقتصادية والأخلاقية ، أما فى الباب الثالث الذى هو بعنوان : صور من واقـــع المجتمعات المختلفة ، فإن الباحث تحدث فيه عن واقع المجتمع الاسلامى فى عصـــوره الأولى ، وعن واقع المجتمعات الكافرة فى العصر الحالى ، وعن واقع الأمة الاسلامية فى العصر الحالى ، وكيف نربيها على العقيدة .

وبذلك فإن هذه الدراسة تختلف عن دراستنا ، حيث إن الباحث فى الدراســة الحالية سوف يقوم بدراسة مفصلة يوضح فيها الأساس العقائدى الاسلامى الصحيــح باعتباره القوة الحقيقية الدافعة لنهضة المسلمين العلمية والحضارية ، وباعتباره مــن أهم العوامل التى ساهمت فى تهيئة الأمة الاسلامية لأن تكون أمة ذات نهضة علميــة وحضاريـــة .

ثم يقوم بعد ذلك ببيان أثر العقيدة الاسلامية فى تربية " العقل والخلق " ، باعتبارهما وسيلتين أساسيتين فى بناء أى نهضة علمية وحضارية ، وباعتبار أنهمـــا يحتاجان إلى أن يوجها توجيها ربانيا لكى يتم للنهضة العلمية والحضارية القائمة على هاتين الوسيلتين الموجهتين توجيها ربانيا البقاء والعطاء الخيّر والإستمرار ، أما إذا لــم توجه هاتين الوسيلتين توجيها ربانيا فإنهما تضلان عن السراط المستقيم المرســـوم لهما من البارى عز وجل ، وتصبح النهضة العلمية والحضارية القائمة عليهما وبالا على الإنسانية كما هو واقع بالنسبة للنهضة العلمية والحضارية الغربية .

ثم بعد أن يوضح الباحث الأساس العقائدى الاسلامى الصحيح ، وأثر العقيدة فى تربية " العقل والخلق " ، يقوم بايضاح أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال العلمى والمجال الحضارى وذلك عن طريق عرض بعض مظاهر الحركة العلمية والحضارية التى حدثت فى القرون الاسلامية الأولى .

بعد ذلك يقوم الباحث بإيضاح أهم آثار البعد عن الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى ، وذلك عن طريق عرض بعض مظاهر التخلف العلمى الذى يعانى منه العالم الاسلامى فى العصر الحالى ، وكذلك عن طريق عرض بعض مظاهر التخلف الحضارى الذى يعانى منه العالم الاسلامى فى العصر الحالى .

٢ ـ أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها .(١)

ويتكون هذا الكتاب من مقدمة وبابين :

الباب الأول : البناء الفكرى للحضارة الاسلامية .

ويتفرع منه عدة فصول :-

الفصل الأول : الحق والباطل ، وذكر فيه أن من أسس الحضارة الاسلامية الإلتزام بمبدأ الحق ومناصرته والنفور من الباطل ومكافحته .

الفصل الثانى : الخير والشر ، وذكر فيه أن من أسس الحضارة الاسلامية مبدأ فعل الخير وترك الشر والعمل على قمعه .

الفصل الثالث : العالمية والشمول فى رسالة الحضارة الاسلامية ، وذكر أن الحضارة الاسلامية مفتوحة الحدود ، ممتدة الأرجاء ، شاملة لكل ما فى الحياة من مجالات تقدم وارتقاء فى أسسها الفكرية والنفسية والمادية ، فهى حضارة لا تحدها حدود ضيقة من الفكر فتحجبها عن أى كمال من الكمالات ، ولا تحدها حدود ضيقة عن النفس فتحصرها ضمن الدوائر الأنانية العنصرية أو القومية أو الطبقية ، أو غيرها ، ولا تحدها حدود مكانية ولا حدود زمانية .

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ، دمشق - بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٠هـ ، ط ٢ .

الفصل الرابع : المثالية والواقعية ، وذكر أن من أسس الشريعة الاسلامية العامة الكبرى الدافعة إلى كل مجد حضارى المثالية فى العقائد والأهداف والغايات ، والواقعية فى الأعمال ومناهج الحياة .

الباب الثانى : وسائل بناء الحضارة الاسلامية بناء واقعيا .

ويتفرع منه عدة فصول :

الفصل الأول : التعلم والتعليم .

الفصل الثانى : تطبيق العلم بالعمل .

الفصل الثالث : التربية .

الفصل الرابع : الجدال بالتى هى أحسن .

الفصل الخامس: إقامة الحكم الاسلامى .

الفصل السادس: الجهاد فى سبيل الله .

والملاحظ على هذه الدراسة أنها ركزت فى الباب الأول على البناء الفكرى للحضارة الاسلامية ، حيث تناول المؤلف مواضيع هذا الباب بالدراسة من وجهة النظر الاسلامية ، وفى الباب الثانى ركز المؤلف على وسائل بناء الحضارة الاسلامية بناء واقعيا ، والذى يخصنا من هذا الباب الفصل الثالث ، الذى تحدث فيه المؤلف عن التربية كوسيلة من وسائل بناء الحضارة الاسلامية ، وذكر ان التربية تكون بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبإستمالة الأنفس بالترغيب بمحابها الخيرة ، وبالترهيب مما تكره من شر أو ضرّ أو أذى ، ثم بعد ذلك أخذ فى شرح كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة على حده .

وبذلك فإن هذه الدراسة تختلف عن دراستنا ، حيث إن الباحث فى هذه الدراسة سوف يستعرض - بالإضافة إلى ما سبق ذكره فى الدراسة السابقة الأولى - سير بعض العلماء المسلمين الذين التزموا بالعقيدة الاسلامية ، وكان لها الأثر الفعال فى مواقفهم وفى إنتاجهم العلمى .

الفصل الاول

العقيدة الاسلامية وأثرها في تربية العقل والخلق

أولا : المعنى اللغوى للعقيدة .

ثانيا : المعنى الإصطلاحى للعقيدة :

١ - عند بعض قدماء علماء المسلمين .

٢ - عند بعض الكتاب المحدثين .

ثالثا : ورود بعض مشتقات الفعل الثلاثى "عقد" فى القرآن الكريم .

رابعا : تعريف العقيدة الاسلامية .

خامسا : أهمية العقيدة الاسلامية .

سادسا : علاقة العقيدة الاسلامية بالايمان .

سابعا : التوحيد أساس العقيدة الاسلامية .

ثامنا : خصائص العقيدة الاسلامية .

تاسعا : أسس العقيدة الاسلامية .

- أثر العقيدة الاسلامية فى تربية العقل :

١ - تعريف العقل فى اللغة، وعند بعض علماء المسلمين .

٢ - أهمية العقل .

٣ - بيان أثر العقيدة الاسلامية فى تربية العقل .

- أثر العقيدة الاسلامية فى تربية الخلق :

١ - أهمية الأخلاق .

٢ - تعريف الخلق فى اللغة .

٣ - تعريف الخلق لدى بعض قدماء العلماء المسلمين .

٤ - تعريف الخلق لدى بعض العلماء المسلمين المحدثين .

٥ - تعريف الأخلاق فى الاسلام .

٦ - مفهوم الأخلاق فى الاسلام .

٧ - بيان أثر العقيدة الاسلامية فى تربية العقل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أولا : المعنى اللغوى للعقيدة

" العقيدة " من المصدر " عقد " والمصدر عقد جاء هو ومشتقاته بعدة معان منها مايلى :

١ - الإقتناء والإمتلاك : يقال اعتقد ضيعة ومالا : أى اقتناها.(١)
واعتقد مالا وأخا : أى اقتناه.(٢)

٢ - الضيعة : حيث أن العقدة : الضيعة والجمع عقد.(٣)

٣ - الصلابة : يقال اعتقد الشيء صلب.(٤)

٤ - عقد اليمين : والعقد : عقد اليمين.(٥) ومنه

---

(١) اسماعيل بن حماد الجوهرى : الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٩ هـ ، ط٢ ، جـ٢ ص ٥١٠ .

(٢) أبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، مصر ، مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٩١ هـ ، ط٤ ، جـ٤ ص ٨٦ .

(٣) محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى : مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، القاهرة ، دار الحديث ، د. ت ، د. ط ، ص ٤٤٥ .
وأنظر أيضا : أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلى : مختصر العين ، قوم نصه وعلق على حواشيه وقدم له : علال الفاسى ، محمد بن تاويت الطبخى ، الدار البيضاء ، مكتبة الوحدة العربية ، د. ت ، د. ط ، ص ٣٥ .

(٤) الصاحب اسماعيل بن عباد : المحيط فى اللغة ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٣٩٥ هـ ، جـ١ ص ١٤٧ .
وانظر : أ - ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .
ب - الجوهرى : الصحاح ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٥١٠ .

(٥) أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى : المفردات فى غريب القرآن ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى ، بيروت ، دار المعرفة ، د. ت ، د. ط ، ص ٣٤١ .
وانظر : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .

قوله تعالى : « وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ »[1] .

٥ - العهد : العقد هو العهد ، وعاقدته مثل عاهدته .[2] قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ »[3] .

٦ - الإلتواء : ناقة عاقد : أى تعقد بذنبها عند اللقاح .[4] أى تلويه ، وتيس وكلبٌ أعقدُ : ملتوى الذنب .[5]

٧ - الخيط والقلادة : المِعْقاد : خيط تنظم فيه خرزات ،[6] وقيل للقلادة عِقْدٌ .[7] وعقد القلادة مايكون طوارَ العنق أى مقداره .[8]

٨ - احتباس الكلام : يقال وُعِقِدَ لسانُهُ : احتُبِس، وبلسانه عُقْدةٌ : أى فى كلامه حُبْسة ،[9] قال تعالى على لسان موسى « وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي »[10] ، ورجلٌ أعقد : فى لسانه عقدةٌ .[11]

٩ - الطعام : حيث أن العقيد ، اليعقيد ، يطلق على الطعام الذى يعقد بالعسل .[12]

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٨٩ .

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .
وانظر : الراغب الاصفهانى : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ١ .

(٤) أبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلى : مختصر العين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ . وانظر : الراغب الاصفهانى : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٥) الراغب الاصفهانى : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٦) ابن فارس: مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .

(٧) الراغب الاصفهانى : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٨) ابن فارس : مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .

(٩) الراغب الاصفهانى : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(١٠) سورة طه ، آية : ٢٧ .

(١١) أبى بكر بن الحسن الزبيدى الاشبيلى : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(١٢) ابن فارس : مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .
وانظر : الاشبيلى : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

١٠- الجمع بين أطراف الشيئ : حيث أن العَقْدُ الجمع بين أطراف الشيئ ، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقْدِ البناء (١) .

ويقال للرمل إذا تراكم واجتمع : عَقَد الرمل (٢) .

١١- القوة : يقال جمل عَقِدٌ : أى قوىٌّ (٣) .

١٢- الهَلَكة : ويقال إذا أطبق الوادى على قوم فأهلكهم : عقد عليهم (٤) .

١٣- الرجل القصير : يقال للرجل القصير " أعْقَد " (٥) .

١٤- الشدّ وشدّةِ الوثوق : " عقد " العين والقاف والدال أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق (٦) .

١٥- اللزوم : يقال عَقَد قلبه على الشيئ لزمه (٧) .

١٦- التصديق : يقال واعتقد كذا : صدّقه (٨) ، وذكر التهانوى نقلاً عن شرح التجريد أن الإعتقاد يطلق على التصديق مطلقاً (٩) .

١٧- الوجوب والإبرام : " والعُقْدَةُ " إسم لما يُعقدُ من نكاح أو بيع أو يمين أو غيرهم (١٠) .

---

(١) الراغب الاصفهانى : المفردات ، مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٧ .

(٣) الاشبيلي : مختصر العين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٤) ابن فارس: مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٩ .

(٥) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٦) المرجع السابق ، جـ٤ ص ٨٧ .

(٧) أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصرى : لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٧٥هـ ، د.ط ، جـ٣ ص ٢٩٨ .

(٨) المعلم بطرس البستانى : محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٧م ، د.ط ، ص ٦١٨ .

(٩) الشيخ المولوى محمد أعلى بن على التهانوى : موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروفة بكشاف اصطلاحات الفنون ، بيروت ، خياط ، د.ت ، د.ط ، جـ٤ ص ٩٥٤ .

(١٠) الراغب الاصفهانى : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

فعُقدةُ النكاح وكلّ شيئٍ وجوبه وإبرامه .(١)

١٨- الثبات والإستحكام : يقال واعتقدت المودّة بينهما : ثبتت .(٢)
واعتقد الإخاء : ثبت .(٣) وتعقد الإخاء استحكم .(٤)

١٩- مايدَّيّن الانسان به ،أو مايعتقد به من تعاليم الدين :
" العقيدة : ماعقد عليه القلب والضمير ومايدّيّن الانسان بـــه ".(٥)
أو" ماتدَّيّن به الانسان واعتقده ".(٦) والمعتقد مصدرٌ ميمـــيٌّ بمعنى الاعتقاد ومايعتقده الانسان من أمور الدين .(٧)

مما سبق نلاحظ أن المصدر ـعقد ـ قد جاء هو ومشتقاته بعدة معانٍ منها : الإقتناء ، والإمتلاك ، والضيعة ، والصلابة ، وعقد اليمين ، والعهد ، والإلتواء ، والخيط والقلادة ، واحتباس الكلام ، والطعام ، والجمع بين اطراف الشيئ ، والقوة ، والهلكة ، والرجل القصير ، والشدّ وشِدّة الوثوق ، واللزوم ، والتصديق ، والوجوب والإبـــرام ، والثبات والإستحكام ، ومايدَّيّن الإنسان به أو مايعتقد به من تعاليم الدين .

فاذا استعمل المصدر " عقد " هو ومشتقاته في الأمور المعنوية كعقد النكـــاح وعقود البيوع ، والعهود مثلا ،كان مجازًا ، وإذا استعمل في الامور المادية كعقـــد البناء ، وعقد القلادة ، والطعام مثلا كان حقيقة ، وإذا استعمل فيما يعقد عليـــه

---

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .
وانظر: الاشبيلي : مختصر العين ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .
(٢) الصاحب اسماعيل بن عبّاد :المحيط في اللغة ، مرجع سابق ، جـ١ ص١٤٧ .
(٣) ابن فارس: مرجع سابق ، جـ٤ ص ٨٦ .
(٤) ابن منظور : لسان العرب ، مرجع سابق ، جـ٣ ص ٢٩٨ .
(٥) المعلم بطرس البستاني : محيط المحيط ، مرجع سابق ، ص ٦١٨ .
(٦) لويس معلوف اليسوعي : المنجد في اللغة والاعلام ، بيروت ، دار المشرق ، د .ت ، ط ٢٥ ، ص ٥١٩ .
(٧) المعلم بطرس البستاني : مرجع سابق ، ص ٦١٨ .

القلب والضمير، ومايدّيّن به الانسان ويعتقده من أمور الدين كان حقيقة عرفية*.(١)

ثانيا : المعنى الإصطلاحى للعقيدة

١ ـ عند بعض قدماء علماء المسلمين :

أ ـ الإمام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) :

العقيدة هى "الأمر الذى يجب أن يصدق به القلب، وتطمئن إليه النفس حتى يكون يقينا ثابتا لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك".(٢)

ب ـ عضد الدين عبدالرحمن أحمد الآيجى (ت٧٥٦هـ) :

ذكر أن المراد بالعقائد "مايقصد به نفس الإعتقاد دون العمل".(٣)

جـ ـ على بن محمد بن على الجرجانى (ت٨١٦هـ) :

العقائد "مايقصد فيه نفس الإعتقاد دون العمل".(٤)

د ـ أحمد بن محمد بن محمد المكناسى (ت ١٠٢٥هـ) :

العقائد الدينية هى "العلم المكتسب عن الأدلة اليقينية".(٥)

---

(١) محمد حافظ الشريدة : العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية، رسالة دكتوراه فى الشريعة الاسلامية، بجامعة أم القرى، نوقشت عام ١٤٠٣هـ، ص ٣٥ .

(٢) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية : العقيدة الواسطية، اعداد وتقديم مصطفى العالم، جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ، ط٨، ص ٨ .

(٣) عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الايجى : المواقف، بشرحه للمحقق السيد الشريف على بن محمد الجرجانى، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ، جـ١ ص ٣٨ .

(٤) على بن محمد بن على الجرجانى : التعريفات، مصر، مصطفى البابى الحلبى، ١٣٥٧هـ، د .ط، ص ١٣٣ .

(٥) أحمد بن محمد بن محمد المكناسى : أشرف المقاصد فى شرح المقاصد، د .م ، المطبعة الخيرية مالكها عمر حسين الخشاب، ١٣٢٥هـ، ص ١٢ .

* الحقيقة العرفية : هى ماصار اللفظ دالا فيها على المعنى بالعرف لا باللغة . انظر : احمد بن تيمية : الايمان، دمشق، المكتب الاسلامى، ١٤٠١هـ، ط٣، ص٩٢ .

هـ - محمد أعلى بن على التهانوى (ت ١١٥٨هـ) .

ذكر أن الإعتقاد له معنيان :

الأول : المعنى المشهور : وهو أن الإعتقاد حكم ذهنى جازم يقبل التشكيك، وهو بذلك يقابل العلم .

الثاني : المعنى غير المشهور : وهو أن الإعتقاد حكم ذهنى جازم لا يقبل التشكيك، وهو بذلك يقابل العلم والظن (١) .

و - محمد بن أحمد السفارينى (ت ١١٨٨هـ) .

العقائد الدينية هى "العلم بالقواعد الشرعية الإعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية" (٢) .

ز - حاجى خليفة .

" العقائد جمع عقيدة وهى أحكام شرعية لا تتعلق بكيفية العمل، وتسمى أحكاما أصلية واعتقادية " (٣) .

مما سبق نلاحظ أن العقيدة بمعناها الإصطلاحى - عند بعض قدماء العلماء المسلمين - ليست أمورا عملية بل هى أمور نظرية ، يجب على الإنسان أن يعقدها فى قلبه بمعنى أنها من أعمال القلوب وليست من أعمال الجوارح (٤) .

---

(١) محمد أعلى بن على التهانوى : موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية، مرجع سابق، جـ٤ ص ٩٥٤ .

(٢) محمد بن أحمد السفارينى : لوامع الانوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية، د .م، د .ن، د .ت، د .ط ، جـ١ ص ٥ .

(٣) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، بيروت، مكتبة المثنى ، د .ت، د .ط، جـ٢ ص ١١٤٢ .

(٤) محمود أحمد خفاجى : فى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد ، د .م، د .ن، ١٣٩٩هـ، جـ١ ص ١٠ .

وذلك كاعتقاد الانسان بوجود خالقه، وعلمه به، وقدرته عليه، ولقائه به بعد موته ونهاية حياته، ومجازاته إياه على كسبه الإختياري، وعليه غير الاضطراري .

وكاعتقاده بوجوب طاعته فيما بلغه من أوامره ونواهيه من طريق كتبه ورسله طاعة تزكو بها نفسه، وتتهذب بها مشاعره، وتكمل بها أخلاقه، وتنظم بها علاقته بين الخلق والحياة .

وكاعتقاده بغنى ربه تعالى عنه، وافتقاره هو إليه، وفي كل شأنه حتى في أنفاسه التي يرددها، فبالله تعالى حياته، وعليه وحده توكله واعتماده ان هو محط رجائه إذا طمع، ومأمن خوفه إذا خاف بحبه يحب، وببغضه يبغض، هو مولاه الذي لا مولى له غيره، ومعبوده الذي لا معبود سواه، لا يرى ربوبية غيره، ولا يعتقد الوهية سواه". (١)

ونلاحظ أن معظم تعريفات العلماء المحدثين لا تختلف عن تعريفات العلماء المتقدمين، حيث إنها قد صيغت فقط بأسلوب أدبي حديث .

ثالثا : ورود بعض مشتقات الفعل الثلاثي "عقد" في القرآن الكريم

وردت في القرآن الكريم الفاظ مشتقة من الفعل الثلاثي "عقد" من ذلك :

١ - قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ (٢) .

ورد في هذه الآية لفظ "عقدة" ويعني في هذه الآية الإبرام والوجوب (٣) .

٢ - وقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٤) .

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن، جدة، دار الشروق، ١٤٠٤هـ، ط٤، ص ٢٣ .

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٣٥ .

(٣) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج٤ ص ٨٦ .
وانظر : الاشبيلي : مختصر العين، مرجع سابق، ص ٣٥ .

(٤) سورة المائدة، آية : ١ .

ورد في الآية لفظ "عقود" ويعني في هذه الآية العهود.(١)

٣ - وقول الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾.(٢)

ورد في هذه الآية لفظ "عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ" وتعني هذه الآية أيضا العهد.(٣)

٤ - وقول الله تعالى : ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾.(٤)

ورد في هذه الآية لفظ "عقدتم" ويعني عقد اليمين.(٥)

٥ - وقول الله تعالى : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.(٦)

ورد في هذه الآية لفظ "عُقْدَةً" ويعني الإحتباس.(٧)

٦ - وقول الله تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾.(٨)

ورد في هذه الآية لفظ "العُقَدْ" ويعني هذا اللفظ هنا مايعقده الساحر.(٩)

مما سبق نلاحظ كلمة "عقيدة" لم تأت في القرآن الكريم بلفظها، وانما وردت بعدة ألفاظ مشتقة من الفعل الثلاثي "عقد" وكذلك لم ترد الألفاظ المشتقة من الفعل الثلاثي "عقد" في القرآن الكريم بمعنى تدين وأذعن وصدّق، بل وردت كما لاحظنا بعدة معاني هي الإبرام والوجوب والعهود، وعقد اليمين،

---

(١) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، جـ٤ ص ٨٦.
وانظر : الراغب الأصفهاني : المفردات، مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٢) سورة النساء، آية : ٣٣.

(٣) ابن فارس: مرجع سابق، جـ٤ ص ٨٦.
الراغب الأصفهاني : مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٤) سورة المائدة، آية : ٨٩.

(٥) ابن فارس : مرجع سابق، جـ٤ ص ٨٦.
الراغب الأصفهاني : مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٦) سورة طه، آية : ٢٧.

(٧) الراغب الأصفهاني : مرجع سابق، ص ٣٤١.
وانظر : الاشبيلي : مختصر العين، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٨) سورة الفلق، آية : ٤.

(٩) الراغب الأصفهاني : مرجع سابق، ص ٣٤١.

التعامل . وهي بذلك - أي العقيدة الاسلامية - تتمثل في كافة جوانب الحياة المختلفة .(١)

خامسا : أهمية العقيدة الاسلامية

تعتبر العقيدة الاسلامية الغذاء الضروري لحياة الروح ، فهي بذلك مهمة لروح الانسان ، كالطعام الذي يعتبر مهما لجسم الأنسان ، وكالماء الذي يعتبر مهما لحياة الاسماك .

والعقيدة الاسلامية هي الطوق الواقي الذي يربط كيان الانسان ويوحد إتجاهه ويمنع إنحلاله وإنحرافه عن جادة الطريق القويم .(٢)

وتتضح أهمية العقيدة أكثر عندما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أفرد لها مساحة واسعة من كتابه العزيز ، وأعطاها فترة طويلة حتى تستقر في أعماق معتنقيها فلو لاحظنا الفترة التي نزل فيها القرآن في مكة المكرمة - وهي ثلاثة عشر عاما - لوجدنا أن نصوص القرآن لا تكاد تخرج عن موضوع العقيدة ، ولا تناقش الا موضوعات العقيدة .(٣)

وللعقيدة الاسلامية - وغيرها من العقائد - سلطان قوي على فكر الانسان وإرادته ، فهي التي ترسم للفكر وجهته ، وهي التي تدفع معتنقيها إلى الأعمال الملائمة لها .(٤) فما يكون من الأعمال من صلاح أو فساد فإنما مرجعه صلاح العقيدة

---

(١) سيد قطب : معالم في الطريق ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٧ ، ص ٨٦ .

(٢) محمد قطب : في النفس والمجتمع ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ، ط ٧ ، ص ١٣ .

(٣) عبدالله عزام : العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، عمان ، مكتبة الأقصى ، ١٤٠٠ هـ ، ط ٣ ، ص ٤٧ .

(٤) محمد المجذوب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، د . م ، دار الأعتصام ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٣ ، ص ٤٧ .

وفسادها[١]. فعندما يعتنق الانسان عقيدة التوحيد ، ويؤسسها على وعى وإخلاص فإنها تنهض بعمله نهضة مباركة.[٢] حيث إن نقطة البدء فى كل نهضة علمية وحضارية هى العقيدة، لأنها هى التى توجه القيم الموجهة للجماهير، وهى أيضا الموجهة للأفكار التى توجه سلوك البشر.[٣]

وأى قيم أو مبادئ ، أو أفكار - بلا عقيدة دافعة وموجهة - مجرد كلمات خاوية أو على الأكثر معان ميتة ، حيث إن الشيئ الوحيد الذى يمنح القيم والمبادئ والأفكار الحياة هى حرارة الإيمان المشعة من القلب.[٤]

وبصفة عامة فإن العقيدة الاسلامية هى الدافع لكل شيئ فى حياة المسلم .

" هى الدافع لإقامة (النظام) بكل مزاياه الربانية التى لا توجد فى أنظمة البشر ومناهجهم، وهى الدافع لحماية هذا النظام الربانى من أعدائه الذين لا يرغبون فى رؤيته قائما فى الأرض، وهى الدافع لنشر الدعوة، وللجهاد ، لكى تكون كلمة الله هى العليا فى كل الأرض، وهى الدافع للتخلق بالأخلاق الربانية التى ينبغى أن يكون عليها المسلم ، وهى الدافع للتعلم. وهى الدافع لعمارة الأرض على الطريقة الربانية المستنيرة الراشدة ، التى تنشيئ حضارة (انسانية) شاملة، لا مادية ولا آليه متجردة عن الانسانية ... ".[٥]

---

(١) محمد أمين المصرى : لمحات فى وسائل التربية الاسلامية وغاياتها ، بيروت ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ ، ط٤ ، ص ٩١ .

(٢) حسن الترابى : الايمان أثره فى حياة الانسان ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٣هـ ، ط٤ ، ص ٢٥٥ .

(٣) محمد جلال كشك : الطريق الى مجتمع عصرى ، القاهرة ، المختار الاسلامى ، د.ت، د.ط، ص ٢٠ .

(٤) سيد قطب : أفراح الروح ، الدمام ، دار ابن القيم، ١٤٠٧هـ، ط٢ ، ص٢٣ .

(٥) محمد قطب : دراسات قرآنية ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ ، ط٤ ، ص ٢٦٩ .

ومن أجل ذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى جعل كل التنظيمات والتشريعات والتوجيهات مرتبطة بها ومنبثقة عنهـــا (١) .

سادسا : علاقة العقيدة الاسلامية بالإيمـــــان

سبق أن ذكر الباحث عند الكلام عن المعنى الاصطلاحي للعقيدة لدى بعـــض العلماء المسلمين القدامى والمحدثين أن العقيدة يقصد بها الأمور الاعتقاديـــة التي ليس لها دخل بالعمل، بمعنى أنها من أعمال القلوب وليست من أعمـــال الجـــــوارح .

أما الإيمان فقد جاء تعريفه بعدة ألفاظ، ولكنها تؤدي إلى معنى واحـــد ، فقد عرف بأنه : "إعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان" (٢) . وكذلك عرف بأنه : "التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح" (٣) .

ومن ذلك نلاحظ أن للإيمان ثلاثة عناصر :

١ - إعتقاد بالقلب . ٢- إقرار باللسان . ٣ - عمل بالجوارح .

فالاعتقاد إذن عنصر أساسي من عناصر الإيمان الثلاثة، فهو يمثل ثلـــث الإيمان إن صح التعبير بذلك، هذا الثلث يمثل "قاعدة الايمان وأصله، فالإيمـــان عقيدة تستقر في القلب إستقرارا يلازمه ولا ينفك عنه، ويعلن صاحبها بلسانه عـــن العقيدة المستكنة في قلبه، ويصدّق الإعتقاد والقول بالعمل" (٤) .

---

(١) محمد قطب: دراسات قرآنية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخـاري ، د.م، دار الفكر ، د.ت، ج١ ص ٤٦ .

(٣) يحيى بن شرف بن مرى النووي : صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٢هـ، ط٢، ج١ ص ١٤٧ .

(٤) عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤م ، ط٥ ، ص ١٦ .

وكذلك " لو أقر شخص بلسانه وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق إسم مؤمن ، ولو عرف وعمل وجحد بلسانه ، وكذّب ماعرف من التوحيد لا يستحق إسم مؤمن، وكذلك إذا أقرّ بالله تعالى ، وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنًا بالإطلاق "(١).

من ذلك نلاحظ أن العقيدة والإيمان لا يمكن فصلها عن بعض، فهما شيئان متلازمان لا يستغني أحدهما عن الآخر، ولا يمكن لأحدهما أن يكون دون الآخر ،

" فمثل الايمان كشجرة طيبة ضاربة بجذورها في الأرض الطيبة، وباسقة بسوقها في السماء ، مزهرة مثمرة معطاءة، تعطي أكلها كل حين بإذن ربها ، فالإيمان هو الشجرة، وجذورها هي العقيدة التي تغلغلت في قلب صاحبها ، والسوق والفروع والثمار هي العمل، ولا شك أن الجذور إذا خلعت أو تعفنت فسدت الشجرة وييبست، ولم يبق لها وجود ، وكذلك الإيمان لا يبقى له وجود إذا زالت العقيدة ، أما إذا قطعت الساق والفروع أو قطع بعض منها فإن الشجرة تضعف وتهزل ، وقد تموت كليا لأن وجود الفروع والأوراق ضروري كي تحافظ الشجرة على بقائها ، وكذلك الأعمال إذا تركت أو ترك جزء منها ، فإن الإيمان ينقص أو يزول "(٢) .

سابعا : التوحيد أساس العقيدة الاسلامية

لم يركز الدين الاسلامي على قضية الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى فقط، لأن هذه القضية قضية فطرية . قال تعالى : ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا))(٣) .

---

(١) يحيى بن شرف بن مرى النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج١ ص ١٤٧ .

(٢) عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله ، مرجع سابق ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢ .

ولكنه ركز غاية التركيز على قضية أخرى هى قضية التوحيد ، التى هى لب الاسلام وروح الاسلام (١) .

ذلك لأن الاسلام عندما ظهر في جزيرة العرب، كان الشرك ضاربا جذوره فى أعماق سكان هذه الجزيرة، فكانوا يعبدون الأصنام، ويعبدون الشمس والقمر .

قال تعالى :

((أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢))) .

وقال تعالى :

((وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣))) .

وكانت لهم بالإضافة إلى ذلك عادات ذميمة، وكانوا يعيشون حياة قبلية لا يوجد فيها أى نوع من النظم التى عرفت فيما بعد نتيجة تعاليم الاسلام .

وبالاضافة إلى ماسبق أيضا ، كانوا لا يؤمنون بالبعث والحساب والجزاء.

قال تعالى :

((زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٤))).

وقد كان الشرك لديهم يتمثل فى صورتين :

١ - فى صورته الإعتقادية . ٢ - وفى صورته العملية (٥) .

فهم يعتقدون بوجود آلهة أخرى مع الله سبحانه وتعالى ، ويتوجهون إلى

---

(١) يوسف القرضاوى : حقيقة التوحيد ، القاهرة، مكتبة وهبة ، ١٤٠٥هـ،ط٢، ص٥ .

(٢) سورة النجم ،آية : ١٩-٢٠ .

(٣) سورة فصلت ،آية : ٣٧ .

(٤) سورة التغابن ،آية : ٧ .

(٥) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق، ١٤٠٨هـ ، ط٢ ، ص٢٨ .

غير الله بالعبادة ، قال تعالى :

« وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ »(١) .

وقال تعالى :

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ »(٢) .

إن الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى هي من أهم القضايا التي جاء بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، من لدن نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ »(٣) .

وقال تعالى :

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ »(٤)

والتوحيد هو" إفراد المعبود ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبادة ، مع إعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأفعالا ، فلا تقبل ذاته الإنقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات ولا يدخل أفعاله الاشتراك ، فهو الخالق دون من سواه "(٥) .

---

(١) سورة يونس ، آية : ١٨ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٣ .

(٣) سورة النساء ، آية : ١٦٣ .

(٤) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٥) محمد بن أحمد السفاريني : لوامع الأنوار البهية ، مرجع سابق ، ج١ ص ٥٦ .

ويتمثل التوحيد في ثلاثة أنواع هي :

١ - توحيد الربوبية :

وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه وتعالى ، مثل الخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماته ، وغير ذلك . وهذا النوع من التوحيد لم ينكره الكفار في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بل أقرّوا به [١] . قال تعالى :

((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) [٢] .

وقال تعالى :

((قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ، قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ)) [٣] .

ولكن بالرغم من إقرارهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والرازق والمحيّي والمميت فإنه لم يدخلهم في الإسلام ، بل قاتلهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم وأموالهم [٤] لأنهم عبدوا غير الله مع الله .

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : خمس رسائل ، ضمن مجموعة كتاب الجامع الفريد ، قدم له زيد بن عبد العزيز بن فياض ، د . م ، د . ن ، د . ت ، د . ط ، ص ٣٤٦ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٣١ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٥ .

(٤) الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

٢ - توحيد الألوهيـــة :

وهو "توحيد الله تعالى بأفعال العباد"(١) التى تعبدهم بها وشرعها لهم ، ويسمى هذا النوع من التوحيد أيضا "بتوحيد العبادة، والتوحيد الفعلى ... لتضمنه لأفعال القلوب والجوارح كالصلاة والزكاة والحج"(٢)، "والدعاء، والنـــذر، والنحر، والرجاء ، والخوف، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة، والإنابة"(٣).

ويجب أن تكون هذه العبادات كلها خالصة لله وحده لا شريك له، ولا يجـوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى*. قال تعالى :

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَـــدًا ﴾(٤).

وقال تعالـــى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَـا فَاعْبُـدُونِ ﴾(٥).

وقال تعالـــى :

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَـيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِيـنَ إِلَّا فِي ضَـلَالٍ ﴾(٦).

وهذا النوع من التوحيد هو الذى أرسل الله به الرسل إلى أممهم، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٧)

---

(١) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : خمس رسائل ، مرجع سابق، ص٣٤٦.

(٢) عبد العزيز المحمد السلمان : الكواشف الجلية عن معانى الواسطية، الرياض، مطابع المجد التجارية ، ١٤٠١هـ، ط١١، ص٤١٨ .

(٣) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص ٣٤٦ .

(٤) سورة الجن ،آية : ١٨ . (٥) سورة الأنبياء ،آية : ٢٥ .

(٦) سورة الرعد ،آية : ١٤ . (٧) سورة النحل ،آية : ٣٦ .

* انظر : سوء مفهوم العبادة فى الفصل الرابع من هذا البحث .

وقال تعالى :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ » (١) .

وقال تعالى :

« وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ » (٢) .

وقال تعالى :

« وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » (٣) .

وقال تعالى :

« وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » (٤) .

وهو أيضا الذى وقع فيه النزاع بين الرسل وأممهم بسبب عبادة غير الله مع الله (٥) .

٣ - توحيد الأسماء والصفات :

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة من أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - على الحقيقة ، وعدم التعرض لأسماء الله ، وصفاته ، بشيء من التكييف أو التمثيل أو التشبيه ، أو التأويل أو التحريف ، أو التعطيل . واعتقاد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (٦) .

---

(١) سورة هود ، آية : ٢٥-٢٦ .

(٢) سورة هود ، آية : ٥٠ .

(٣) سورة هود ، آية : ٦١ .

(٤) سورة هود ، آية : ٨٤ .

(٥) عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : خمس رسائل ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

(٦) وزارة المعارف : كتاب العلوم الدينية ، الصف السادس الابتدائي ، الرياض ، وزارة المعارف ، ١٤٠٧هـ ، ط ٨ ، ص ٨ .

ويعرف هذا النوع من التوحيد بالتوحيد القولى الاعتقادى.(١)

قال تعالى :

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »(٢)

وقال تعالى :

« وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(٣).

وقال تعالى :

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ »(٤).

ويجب أن نلاحظ هنا أن جميع أنواع التوحيد متلازمة مع بعضها البعض، فمن أشرك فى نوع واحد من أنواع التوحيد يعتبر مشركا فى بقية الأنواع، مثال ذلك :

" دعاء غير الله وسؤاله مالا يقدر عليه إلا الله، فدعاؤه إياه عبادة.. صرفها لغير الله من دون الله فهذا شرك فى الإلهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع شر معتقدا أنه قادر على قضاء ذلك، هذا شرك فى الربوبية، حيث اعتقد أنه متصرف مع الله فى ملكوته، ثم إنه لم يدعُه هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب فى أى وقت كان وفى أى مكان ... وهو شرك فى الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعا محيطا بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك فى الإلهية الشرك فى الربوبية والأسماء والصفات ".(٥)

---

(١) عبد العزيز المحمد السليمان : الكواشف الجلية عن معانى الواسطية، مرجع سابق، ص ٤١٨.

(٢) سورة الشورى، آية : ١١.

(٣) سورة الأعراف، آية : ١٨٠.

(٤) سورة الأخلاص.

(٥) حافظ بن أحمد حكمى : ٢٠٠ سؤال وجواب فى العقيدة الاسلامية، القاهرة، دار الاعتصام، د.ت، د.ط، ص ٣٨.

ثامنا : خصائص العقيدة الاسلامية

١ - الربانية :

أول خاصية أو أهم خاصية تمتاز بها العقيدة الاسلامية هي خاصية "الربّانية" ، حيث انه لا توجد على وجه الأرض - اليوم - عقيدة تمتاز بهذه الخاصية غير العقيدة الاسلامية ، فالعقيدة الاسلامية هي العقيدة الوحيدة الباقية والصالحة للبشرية ، ذلك لأنها ربّانية المصدر ، وربّانية الهدف .(١)

فمن حيث أنها ربّانية المصدر ، فتعني أن العقيدة الاسلامية مستمدة من مصدرها الأساسي القرآن الكريم ، والسنة المشرفة ، فهي عقيدة موحى بها من عند الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :

« وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ».(٢)

وقال تعالى :

« وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ».(٣)

---

(١) يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ ، ط٢ ، ص ٩ .

(٢) سورة الشورى ، آية : ٥٢ - ٥٣ .

(٣) سورة يونس ، آية : ١٥ .

وقال تعالـــى :

« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »(١) .

لذلك نجدها أوثق وأضمن من غيرها ، ونجدها أيضاً مبرأة من النقص، ومبرأة من الجهل ، ومبرأة من الهوى ، ومحفوظة من الزوال .(٢) قال تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »(٣) .

وهذا بعكس بقية الديانات السماوية الأخرى ، فالعقائد السماوية التي جاءت بها الديانات قبل العقيدة الاسلامية ، قد دخلها التحريف كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية ، والنصرانية في الوقت الحاضر ، حيث إنه قد أضيف إلى أصول الكتب المنزلة والخاصة بالديانتين اليهودية ، والنصرانية ، شرح وتصورات ، وتأويلات ، وزيادات(٤) وآراء بشرية خاضعة للعوامل السياسية ، والخلافات العنصرية ، والمذهبية(٥) أدت إلى فقدان خاصية الربانية من هاتين العقيدتين .

ولعل العداء للدين وللفكر الديني الذي نشأ في المجتمعات التي تدين بهاتين الديانتين ، إنما كان سببه هو فقدان خاصية الربانية - ربانية المصدر - من هاتين العقيدتين ، والذي كان بسبب تدخل الفكر البشري - الذي ليس له قدرة البث في مثل هذه الأمور - بتأويلاته وتحريفاته في الأصل الرباني لهاتين العقيدتين .

أما من حيث أنها ربانية الهدف ، فالقصد من ذلك أن العقيدة الاسلامية تجعل معتنقها يعرف الغاية من وجوده ، ويعرف وجهته التي يسير عليها ، ويعرف رسالته في الحياة التي يعيش فيها .

---

(١) سورة النجم ، أية : ١ - ٤ .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، الكويت ، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الاسلامية ، ١٣٩٨ هـ ، د .ط ، القسم الأول ، ص ٧٤ .

(٣) سورة الحجر ، آية : ٩ .

(٤) سيد قطب ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

قال تعالى :
« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »(١) .

وقال تعالى :
« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين »(٢) .

وقال تعالى :
« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة »(٣) .

وقال تعالى :
« هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها »(٤) .

ونتيجة لهذه المعرفة فإن إنسان العقيدة الاسلامية " يحس أن لحياته قيمة ومعنى ، وليعشه طعما ومذاقا ، وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في القضاء ، ولا مخلوقا سائبا يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء ، كالذين جحدوا الله أو شكوا فيه ، فلم يعرفوا لماذا وجدوا ؟ ولماذا يعيشون ؟ ولماذا يموتون ؟ "(٥) .

٢ - الثبات :

الخاصية الثانية التي تختص بها العقيدة الاسلامية هي خاصية " الثبات " فالعقيدة الاسلامية ، بما أنها ربانية المصدر ، فهي تبعا لذلك ثابتة في جميع تصوراتها ، وثابتة في أصولها ، وثابتة في مقاييسها الأخلاقية ، فلا تتغير مع مرور الزمن ، ولا تتبدل بتبدل المكان(٦) ولا تتغير بتغير الأفراد(٧) لأنها من صنع الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الزاريات ، آية : ٥٦ .
(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٦٢ .
(٣) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(٤) سورة هود ، آية : ٦١ .
(٥) يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للأسلام ، مرجع سابق ، ص ١٢ .
(٦) أحمد نوفل ، وآخرون : في الثقافة الاسلامية ، عمان ، دار عمّار للنشور والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٧١ .
(٧) محمد أبو الفيط الفرت ، محمد رواس قلعه جي : العقيدة الاسلامية في مواجهة المذاهب الهادمة ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٢ .

قال تعالـــــى :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُـــدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ »(١) .

وقال تعالـــــى :

« وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ »(٢) .

وقال تعالـــــى :

« وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَـــيْرُهُ »(٣) .

وقال تعالـــــى :

« وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـــهٍ غَـــيْرُهُ »(٤) * .

فمن حيث الثبات فى التصورات، فإن العقيدة الاسلامية تجعل معتنقها علـى مر العصور يحمل تصورا ثابتا عن الحقيقة الإلـهيـة، وعن علاقة الانسان بالله، وعـن الكون وعلاقته بالله، وعلاقة الانسان به، وعلاقته بالانسان، وعن الحياة وأرتباطاتهـا وأهدافهـا(٥)، هذا التصور عن الحقيقة الإلـهية، وعن علاقة الانسان بالله ، وعـــن الكون وعلاقته بالله، وعلاقة الانسان به، وعلاقته بالانسان، وعن الحياة وارتباطاتهـا

---

(١) سورة هـــود ، آية : ٢٥-٢٦ .

(٢) سورة هـــود ، آية : ٥٠ .

(٣) سورة هـــود ، آية : ٦١ .

(٤) سورة هـــود ، آية : ٨٤ .

(٥) محمد قطب: جاهلية القرن العشرين ، بيروت، القاهرة، دار الشـــروق ، ١٣٩٥هـ، د.ط ، ص ٦٣ .

* يجب ان نلاحظ أن عقيدة التوحيد واحدة من لدن نوح عليه السلام الـــى محمد صلى الله عليه وسلم .

وأهدافها* هو نفسه الذي كان يحمله الصحابة، وهو نفسه الذي يجب أن يحمله الانسان المؤمن اليوم .

وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على ثبات العقيدة الاسلامية، وعدم تحريفها، والسبب في ذلك هو حفظ الله . قال تعالى :

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»(١) .

أما من حيث الثبات في الأصول، فإن للعقيدة الاسلامية أصولا ثابتة لا تتغير بتغير الزمان ، ولا تتبدل بتبدل المكان، ولا تتغير بتغير الأشخاص . هذه الأصول التي يتمثل فيها الثبات هي . التصديق " بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر"(٢) والتصديق بالقدر خيره وشره، قال تعالى :

«لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ»(٣) .

وقال تعالى :

«إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»(٤) .

كما يتمثل الثبات أيضا في الأركان العملية الخمسة للاسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام(٥) .

---

(١) سورة الحجر، آية : ٩ .

(٢) يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للاسلام، مرجع سابق، ص ٢٢٠ .

(٣) سورة البقرة، آية : ١٧٧ . (٤) سورة القمر، آية : ٤٩ .

(٥) يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص ٢٢٠ .

* للمزيد من الاطلاع أنظر :

أ - حامد صادق قنيبي : الكون والانسان في التصور الاسلامي، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٠ هـ .

ب - صلاح عبدالقادر البكري : القرآن وبناء الانسان، جدة، تهامة، ١٤٠٢ هـ .

جـ - عثمان جمعة ضميرة : التصور الاسلامي للكون والحياة والانسان، الكويت، دار الأرقم، د.ت، د.ط .

فهذه الأصول هي التي كان يؤمن بها الجيل الأول من الصحابة، وماتزال هذه الأصول حتى اليوم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها هي التي يؤمن بها المؤمنون اليوم، وكذلك الحال في الأركان العملية الخمسة للاسلام .

أما من حيث الثبات في المقاييس الأخلاقية، فنحن كما نعلم أن العنصر الأخلاقي في كل إنسان عنصر فطري (١) ولكن بالرغم من كون العنصر الأخلاقي عنصر فطري في الانسان، إلا أن الاسلام ربطه بالعقيدة (٢) إرتباط الجزء بالكل، لذلك نجد أن الاخلاق في الاسلام ثابتة بثبات العقيدة (٣)، فنجد الثبات في الأخلاق متمثلا في " الصدق، والأمانة، والعفة، والصبر، والوفاء بالعهد، والحياء" (٤) وغير ذلك من القيم الأخلاقية، فجميع القيم الأخلاقية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان ولا تتبدل بتبدل المكان، ولا تتغير بتغير الأشخاص .

وهذا بعكس الأخلاق عند غير المسلمين، من شرقيين وغربيين، حيث إن الأخلاق عند هؤلاء البشر يتمسك بها حسب المصلحة، فحينما تحقق قيمة خلقية مصلحة لهم حرصوا على التمسك بها ، وخير شاهد على ذلك مثلهم المشهور " الأمانة أحسن سياسة "،" فالأمانة قيمة خلقية تحقق مصلحة حينما يسوسون بها الغير، فإن اقتضت المصلحة غير الأمانة، فالخيانة والقتل وإبادة الشعوب بدلا عنها ولا حرج (٥) " .

---

(١) عابد توفيق الهاشمي : مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة ، عمان، دار الفرقان ، ١٤٠٢هـ، ص ١٥٨ .
وانظر أيضا : سيد قطب : دراسات اسلامية ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٣٩٣هـ، د . ط، ص ٤٩ .

(٢) عابد توفيق الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ .

(٣) أنور الجندي : تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة، د . م، دار الاعتصام د . ت، د . ط، ص ٤٥٦ .

(٤) يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للاسلام، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

(٥) عابد توفيق الهاشمي ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

هذه هى العقيدة الاسلامية، نجدها ثابتة فى تصوراتها، وثابتة فى أصولها، وثابتة فى مقاييسها الأخلاقية. وهذا لا يعنى أن الدين الاسلامى غير قابل للتطور، ولا يعنى أيضا أنه يعوق التقدم، بل إن الدين الاسلامى يدفع إلى كل تقدم فيه صالح البشرية، ولكنه فى نفس الوقت يضع المبادئ التى توجه إلى الخير، وتمنع الإنحراف، فيتمثل فيه الثبات والتطور فى وقت واحد (١). ثبات فى العقائد والشرائع، وتطور فى النظم القابلة للتطوير، كالنظم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحضارية، لكنه تطور مرتبط برباط من الفطرة، "رباط يجعل له هدفا صالحا راشدا بانيا يتفق مع إتجاه الفطرة السوية، رباط يمنع الخلل والإنحراف أثناء عملية التطور" (٢).

٣ - الإيجابية :

الخاصية الثالثة للعقيدة الإسلامية هى خاصية "الإيجابية".

فالعقيدة الاسلامية تجعل معتنقها يتعامل مع إله واحد موجود، كامل الإيجابية والفاعلية، إليه يرجع الأمر كله، فهو الخالق، والمريد، والمدبر، والمهيمن القادر، ولا يتم فى هذا الكون شئ إلا بإرادته وعلمه، وتقديره، وتدبيره، وهو سبحانه وتعالى مباشر بإرادته وعلمه وتدبيره لكل عبد من عباده، فى كل حال من أحواله، ولكل حى ولكل شيئ فى هذا الوجود (٣).

قال تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

---

(١) محمد قطب: التطور والثبات فى حياة البشر، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ، ط٤، ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٣.

(٣) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامى ومقوماته، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

(٤) سورة الاعراف، آية: ٥٤.

وقال تعالى :

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (١) .

وقال تعالى :

« اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ » (٢) .

وقال تعالى :

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا » (٣) .

وقال تعالى :

« مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٤) .

ونتيجة لذلك فالعقيدة الاسلامية تجعل معتنقها يستشعر وجود الله سبحانه وتعالى معه في كل صغيرة وكبيرة ، في جميع أحواله اليومية ، وأعماله الشخصية وحياته الفردية والجماعية .(٥) هذا الإستشعار بوجود الله سبحانه وتعالى ، وهيمنته على كل شئ ، يجعل الانسان المسلم يُسلِّم أمره كله لله ، " ومن هذا التسليم الخالص لله يستمد الانسان ايجابيته الكاملة"(٦) الفاعلة في هذه الأرض ،

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

(٢) سورة الرعد ، آية : ٨ - ٩ .

(٣) سورة فاطر ، آية : ٤٤ .

(٤) سورة المجادلة ، آية : ٧ .

(٥) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٥٦ .

(٦) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ، ط٧ ، جـ١ ، ص ١٧٧ .

حيث إن التسليم الكامل لله يعطي النفس الإنسانية قوة عجيبة تكافح بها كل شيء وتنشيء بها ماتريد (١). لذلك نجد أن المسلمين الأوائل أنشأوا نظما لم يسبقهم اليها أحد في كل الأرض فأنشأوا نظما سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وفكرية، وحضارية، تسير بمقتضى المنهج الرباني بدافع العقيدة الاسلامية التي اعتنقوها " وليس نتيجة حتمية لشيء من ظروف الأرض " (٢).

٤ - الواقعية :

الخاصية الرابعة للعقيدة الاسلامية هي خاصية " الواقعية* ".

تتضح واقعية العقيدة الاسلامية في كل ماينبثق عنها من تصورات، وفي منهجها الذي توجه به معتنقيها، فهي تجعل معتنقها " يتعامل مع الحقيقة الإلهية، متمثلة في آثارها الإيجابية، وفاعليتها الواقعية، ويتعامل مع الحقيقة الكونية في مشاهدها المحسوسة المؤثرة أو المتأثرة، ويتعامل مع الحقيقة الانسانية متمثلة في الأناسي كما هم في عالم الواقع " (٣).

فالحقيقة الإلهية لدى تصور الشخص المعتنق للعقيدة الاسلامية" حقيقة فاعلة في هذا الوجود " (٤) يستطيع أن يرى آثارها الواقعية في هذا الوجود ليتعرف على الخصائص الإلهية ممثلة في الصنعة الإلهية (٥). وهذا مايفصله ويوضحه القرآن الكريم وهو يصف الحقيقة الإلهية للناس.

قال تعالى :
« فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ .
(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .
(٣) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .
* المقصود بالواقعية أن العقيدة الاسلامية يمكن أن تتحقق في عالم الواقع.
انظر: أحمد نوفل وآخرون : في الثقافة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ، وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١) .

وقال تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ، فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (٢) .

وقال تعالى :

« فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ، يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ،

---

(١) سورة الروم ، آية : ١٧-٢٧ .   (٢) سورة الانعام ، آية : ٩٥-٩٩ .

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (١) .

أما الحقيقة الكونية لدى إنسان العقيدة الاسلامية، فالكون أمامه حقيقة واقعية يدركه بالحواس التي وهبه إياها الله سبحانه وتعالى، فهو هذه السموات والأرض بما فيهما من نجوم وكواكب، وليل ونهار، ومافيهما من خلائق من إبداع الله سبحانه وتعالى (٢). هذا الكون بكل مافيه من مخلوقات - لدى إنسان العقيدة الاسلامية - خاضع لله سبحانه وتعالى، عابد له، مسخر لأوامره، لأنه من صنعه سبحانه وتعالى، ودال على قدرته، قال تعالى :

((إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً، وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ، إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ)) (٣) .

وقال تعالى :

((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً، وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً)) (٤)

وهكذا نرى العقيدة الاسلامية، لا تجعل معتنقها يتعامل مع كون هو مجرد فكرة ناتجة عن تصورات ذهنية من غير دليل، بل تجعل معتنقها يتعامل مع كون له وجود واقعي محسوس في هذا العالم (٥).

---

(١) سورة الشورى، آية : ١١-١٢ .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته، مرجع سابق، ص ٢٨٥ .

(٣) سورة يونس، آية : ٣-٦ .

(٤) سورة النحل، آية : ٨١ .

(٥) سيد قطب : المرجع السابق، ص ٢٩٠ .

والحقيقة الإنسانية لدى إنسان العقيدة الاسلامية ، هى أن الإنسان مخلوق مكرّم ، ومستخلف ، قال تعالى :

« الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (١) .

وقال تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً » (٢)

وأنه مكوّن من جسم وعقل وروح . قال تعالى :

« فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » (٣)

وأن له نوازع وأشواق وله رغائب وضرورات يقوم بإشباعها حسب المنهج الذى ترسمه له عقيدته الاسلامية ، وله فاعليته ، وله إنفعاله ، وله تأثره ، وله تأثيراته (٤) .

قال تعالى :

« وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٥) .

وقال تعالى :

« وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ، ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ، لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ، إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » (٦) .

---

(١) سورة السجدة ، آية : ٧-٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(٣) سورة ص ، آية : ٧٢ .

(٤) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .

(٥) سورة يونس ، آية : ١٢ .

(٦) سورة هود ، آية : ٩-١٢ .

أما من حيث المنهج الذى توجه به العقيدة الاسلامية معتنقيها ، فهو منهج واقعى لأنه موجه إلى إنسان واقعى ، له نوازع ، وأشواق ، ورغبات [١] ، لذلك نجده يأخذ فى إعتباره حاجات الانسان الفطرية ، فهو بذلك "منهج حركى تنطبق حدوده على حدود طاقات الانسان ، وتكوينه وواقعيته " [٢] . وكذلك هو منهج تلائم واقعيته واقعية الانسان . قال تعالى :

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] .

وقال تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [٥] .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٢٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٢٣ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ - ١٣٤ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٣١ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

إن الوقعية فى منهج العقيدة الاسلامية ملائمة لواقعية الانسان ، فهو منهج لا يكبت طاقة واحدة من طاقات الإنسان ، ولا يكلف النفس أكبر من وسعها ، ولا يكلفها ماليس من طبعها وفطرتها (١) .

وهكذا لاحظنا خاصية " الواقعية " فى العقيدة الاسلامية ، لاحظناها فى حقيقة الإلهية ، وحقيقة الكون ، وحقيقة الإنسان ، ولاحظناها فى المنهج الذى توجه به العقيدة الاسلامية معتنقيها . ويجب أن نلاحظ هنا أنه لا يوجد تناقض بين ماتقتضيه العقيدة الاسلامية من تصورات وبين المنهج العملى الذى توجه به معتنقيها (٢) .

تاسعا : أسس العقيدة الاسلامية

قال تعالى :

((لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)) (٣) .

وقال تعالى : ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) (٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم - فى حديث جبريل المشهور - عند ما سأله عن الإيمان قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره) (٥) .

من هاتين الآيتين ، ومن هذا الحديث النبوى ، يمكن لنا أن نستدل على أسس العقيدة الاسلامية ، حيث إنه يتضح من الآيتين الكريمتين ، والحديث النبوى الشريف أن العقيدة الاسلامية تقوم على عدة أسس هى :

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ومقوماته ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

(٤) سورة القمر ، آية : ٤٩ .

(٥) رواه مسلم .

الأساس الاول : الإيمان بالله . الأساس الثانى : الإيمان بالملائكة .

الأساس الثالث : الإيمان بالكتب . الأساس الرابع : الإيمان بالرسل .

الأساس الخامس: الإيمان باليوم الآخر . الأساس السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره.

وسوف يقوم الباحث بتوضيح موجز لكل أساس من هذه الأسس كلا على حده .

الأساس الاول : الايمان بالله :

الإيمان بالله هو "الإعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق المحيي المميت وأنه المستحق لأن يفرد بالعبودية والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه من كل عيب ونقص" (١) .

والإيمان بالله يقتضي :

١ - الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى. ٢ - الإيمان بروبيته .

٣ - الإيمان بألوهيته . ٤ - الإيمان بأسمائه وصفاته (٢) .

١ - الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى :

الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى أمر فطرى ، حيث إن كل مخلوق فطر على الإيمان بوجود خالقه قال صلى الله عليه وسلم (مامن مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (٣) .

كما أن الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى أمر عقلى ، حيث "أن كل مُحْدَث لا بد له من مُحْدِث ، وكل مفعول ومصنوع لا بد له من فاعل وصانع" (٤) .

---

(١) عبدالعزيز المحمد السلمان : الأسئلة والأجوبة الأصولية ، د . م ، د . ن ، ١٤٠٣ هـ ، ط ١٢ ، ص ٢٥ .

(٢) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٦ هـ ، ط ٢ ، ص ١١ .

(٣) رواه البخارى .

(٤) عبدالعزيز المحمد السلمان : الكواشف الجلية عن معانى الواسطية ، د . م ، د . ن ، ١٤٠١ هـ ، ط ١١ ، ص ٥٥ .

فجميع المخلوقات المادية الصرفة ، والمادية الروحية ، والنورانية، والنارية ، والحيوانية ، والنباتية ، وغيرها مما لا نعلمه ، لا بد لها من خالق أوجدها - هو الله سبحانه وتعالى - حيث إن جميع هذه المخلوقات لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، كما أنه لا يمكن أن تكون قد وجدت صدفة ، قال تعالى :

« أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ » (١)

٢ - الايمان بربوبيته :

الإيمان بربوبية الله سبحانه وتعالى يعني الإعتقاد الجازم من قِبَل العبد بأن الله هو " الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير " (٢) والإماتة والإحياء، والعطاء والمنع ، والضر والنفع، والإعزاز والإذلال ، وإنزال الغيث وغير ذلك .

والإيمان بربوبية الله سبحانه وتعالى أمر فطرى ، حيث إنه لم يعلم أن أحدا من الخلق فى أى مكان وزمان أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى ، إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى عند ما ظهر المذهب الشيوعى الماركسى . (٣) ولكن بالرغم من ظهور هذا المذهب الا أنه لن يستطيع تغيير الشعور الفطرى فى الانسان (٤) .

وبالجملة فإن الإيمان بربوبية الله يعني أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل فى الكون : بالخلق والتدبير والتغيير، والتيسير، والزيادة والنقص والإماتة والإحياء ، وإنزال الغيث وغير ذلك من الأفعال لا يشاركه أحد فى ربوبيته سبحانه .

وكما أن الله سبحانه وتعالى مدبر الكون وسيره حسب ما يريد وحسب ماتقتضيه حكمته" فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته ، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعا فى العبادات أو حاكما فى المعاملات

---

(١) سورة الطور ، آية : ٣٥ .

(٢) عبد العزيز المحمد السلمان : الاسئلة والأجوبة الأصولية ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

(٣،٤) أبو بكر جابر الجزائرى : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

فقد أشرك به ولم يحقق الايمان (١) .

٣ - الايمان بألوهيته :

الايمان بألوهية الله سبحانه وتعالى هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده الإله الحق ، وأنه وحده ذو الألوهية على خلقه أجمعين ، وأنه وحده المستحق للعبادة (٢) .

والايمان بألوهية الله يقتضي إخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، بحيث تكون العبادة بمفهومها العام ، الظاهرة والباطنة خالصة كلها لله سبحانه وتعالى .

٤ - الايمان بأسمائه وصفاته :

الإيمان بأسماء الله وصفاته هو :

" الإعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال ، ومتنزه عن جميع صفات النقص ، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات ، وذلك باثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها ، أو معانيها ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله عز وجل ، ولا تكييفها بتحديد كنهها وإثبات كيفية معينة لها ، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين " (٣) .

قال تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ » (٤) .

وقال تعالى :
« وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٥) .

---

(١) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٢) عبد العزيز محمد السلمان : الاسئلة والأجوبة الأصولية ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٣) محمد نعيم ياسين : كتاب الايمان ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ١١ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ١٨٠ .

وقال تعالى :
« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » (١)

فالمؤمن بالله سبحانه وتعالى يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى سميع بصير ، عليم حكيم ، قوى عزيز ، لطيف خبير ، شكور حليم وغفور رحيم ، وأنه كلم موسى تكليما ، وأنه استوى على العرش ، وأنه خلق بيديه ، وأنه يحب المحسنين ، ويرضى عن المؤمنين ، إلى غير ذلك من الصفات الذاتية كمجيئه تعالى ونزوله وإتيانه ، مما أنزله فى كتابه ونطق به رسوله صلى الله عليه وسلم . (٢)

ويجب أن يلاحظ هنا أن المؤمن بالله الذى يؤمن بأسمائه وصفاته ، لا يعتقد أبدا أنه يجوز أن يتسمى أى مخلوق باسم من أسماء الله تعالى ، وأنه لا يعتقد أبدا أيضا ، ولا حتى يخطر بباله أن يد الله تبارك وتعالى مثلا تشبه يد المخلوق ، وأن سمع الله تعالى مثلا يشبه سمع المخلوق ، فى أى معنى من المعانى غير مجرد التسمية ، وذلك لمباينة الخالق للمخلوق فى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله . (٣)

الأساس الثانى : الايمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة عابدين موجودين ، ولا يعلم عددهم إلا الله ، وأنهم مخلوقين من نور ، وأنهم من أشرف خلق الله ، وأنهم لا يعصون الله أبدا ، وأنهم قائمون بوظائف كلفهم بها الله ، وأنهم ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيئ . (٤) كما أنهم لا يتصفون بأى صفة من صفات الله سبحانه وتعالى التى وصف الله بها نفسه ووصفه بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يتسمون بأى اسم من اسماء الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الأخلاص بكاملها .

(٢) أبو بكر جابر الجزائرى : منهاج المسلم ، د . م ، دار الفكر ، ١٣٩٦هـ ، ط٧ ، ص ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٤) محمد بن صالح بن عيثمين : رسائل فى العقيدة ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

والايمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:[1]

١ - الإيمان بأنهم موجودين ، وذلك بإخبار الله عنهم :

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[3] .

وفي هذه الآية نلاحظ أن الله أمر الملائكة بالسجود ، ومعنى ذلك أنهم موجودون ، لأن الأمر لا يوجه إلا لشئ موجود والتنفيذ لا يتم الا من شيئ موجود[4] .

٢ - الايمان بما علمنا اسمه منهم :

كجبريل وميكائيل ، واسرافيل ، وعزرائيل ، وغيرهم عليهم السلام أجمعين ، وكذلك الإيمان بمن لم نعلم اسمه ، فاننا نؤمن بهم إجمالا[5] .

٣ - الايمان بما علمنا من صفاتهم:

كعظم خلقهم وتفاوتهم فيه[6] ، فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل على هيئته التى خلق عليها ، وله ستمائة جناح وقد سد الأفق[7] .

وهناك من الملائكة من له جناحان ، ومنهم من له ثلاث ، ومنهم من له أربعة أجنحة .

---

(١) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل العقيدة ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٣٤ .

(٤) أبو بكر الجزائرى : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

(٥) محمد بن صالح بن عثيمين : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٦) أبو بكر جابر الجزائرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٧) أنظر ، صحيح البخارى : باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالـــــى :

((الحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِـــــى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)) (١).

ولقد رتهم على التحول بأمر الله إلى هيئة رجل ، وكطاعتهم المطلقة لله سبحانـــه وتعالى . ومن صفاتهم التي نؤمن بها أيضا أنهم يستحون ، ويتأذ ون ، وأنهـــم منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع والمرض والتعب، والأكل والشرب والنوم ، وأنهـم يحبون من أحبه الله (٢).

٤ - الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى .

فجبريل عليه السلام هو الأمين على وحي الله ، يرسله الله به إلى الأنبيـــاء والرسل . وميكائيل وظيفته التي وكله الله بها هي المطر والنبات. وإسرافيـــل وظيفته التي وكل بها هي النفخ في الصور يوم القيامة. وعزرائيل وظيفته الـــتي وكل بها هي قبض الأرواح عند الموت. هذا الى غير ذلك من الأعمال الـــتي يقوم بها الملائكة (٣).

الاساس الثالث: الايمان بالكتـــب .

الإيمان بالكتب هو " التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامـــه الخاص إلى من اصطفى من رسله عليهم السلام ، فجمع ودون فكان صحفا مطهـــرة ، وكتبا قيمة . فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلا ، ومالم يعرف آمن به إجمالا" (٤).

" والكتب : جمع كتاب بمعنى مكتوب" (٥)، والصحف أوراق حوت كلام الله عز وجـــل الذى أوحاه إلى رسله ولم تجمع في كتاب (٦).

---

(١) سورة فاطر ،آية : ١ .

(٢) أبو بكر جابر الجزائرى : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ - ٢٠٧ .

(٣) لمزيد من الأطلاع أنظر : أبو بكر الجزائرى : المرجع السابق، ص١٨٦ - ٢٠٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٥) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٦) أبو بكر جابر الجزائرى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

والمراد بالكتب هنا الكتب التى أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلــــق وهداية لهم ليصلوا بها الى سعادة الدنيا والآخرة .(١)

قال تعالـــى :
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾(٢) .

والمؤمن بالله سبحانه وتعالى يؤمن بالكتب التى أنزلها الله على الرســـل عليهم الصلاة والسلام، والتى أخبر الله بها وسماها بأسمائها، وأما التى لم تعلم أسماؤها فانه يؤمن بها اجمالا(٣) .

فهو يؤمن بالقرآن الكريم وأنه أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

ويؤمن بالتورات التى أنزلها الله على موسى عليه السلام .

ويؤمن بالزبور المنزل على نبى الله داود عليه الســـلام .

ويؤمن بالإنجيل المنزل على عبد الله رسوله عيسى عليه السلام .

ويؤمن بصحف ابراهيم وموســـــى .*

قال تعالـــى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَــــزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾(٤) .

وقال تعالــــى :
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْــزَلَ الْفُرْقَـــانَ ﴾(٥) .

---

(١) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة، مرجع سابق، ص ٢٣ .
(٢) سورة الحديد، آية : ٢٥ .
(٣) محمد بن صالح بن عثيمين، المرجع السابق، ص ٢٣ .
(٤) سورة النساء، آية : ١٣٦ .
(٥) سورة آل عمران، آية : ٢، ٣، ٤ .
* جميع الكتب السماوية حرفت ماعدا القرآن الكريم لأن الله تعهد بحفظه .

وقال تعالـــى :

« وَآتَيْنَـــا دَاوُدَ زَبُـــوراً » (١) .

وقال تعالـــى :

« إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِـيمَ وَمُوسَـى » (٢) .

فالموءمن بالله سبحانه وتعالى لا يوءمن ببعض الكتب ويكفر ببعض الكتب تعصبـا وضلال ، كما هو حال اليهود والنصارى الذين آمنوا بالتوراة المحرفة والأنجيـل المبدل المغيّر ، وكفروا بالقرآن المحفوظ (٣) .

الأساس الرابع : الايمان بالرســل :

الايمان بالرسل هــو :

" التصديق الجازم بأن لله رسلا أرسلهم لارشاد الخلق فـي معاشهم ومعادهم ، اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمـل خلقه بل أرسل اليهم رسلا مبشرين ومنذرين ، فيجب علينـا الايمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل ، والايمـان جملة بأن لله رسلا غيرهم وأنبياء لا يحصى عددهم الا اللـه ، ولا يعلم أسماؤهم الا هو جل وعلا " (٤) .

" والرسل جمع رسول بمعنى مرسل أى مبعوث بابلاغ شيئ " (٥) والرسول هو "من أوحى اليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه " (٦) ، والرسل بشر مخلوقين ، وليس لهم مـن خصائص الربوبية والألوهية شيئ (٧) ، بل يجرى عليهم الكثير من الأعراض البشريـة

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٦٣ .

(٢) سورة الأعلى ، آية : ١٨ - ١٩ .

(٣) أبو بكر جابر الجزائرى : عقيدة الموءمن ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

(٤) عبدالعزيز محمد السلمان : الأسئلة والأجوبة الأصولية ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٥) محمد بن صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٦) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٧) المرجع السابق ، نفس المكان .

فهم يأكلون ويشربون ، ويمرضون ويصحون ، وينسون ويذكرون ، ويتناكحون ويتناسلون، (١)
ولكن بالرغم من هذا كله فهم أكمل خلق الله على الإطلاق وأفضلهم بلا إستثناء . (٢)

ولم تخل أمة من الأمم إلا وبعث فيها رسول . قال تعالى :
« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (٣)

وقال تعالى :
« وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » (٤)

والأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن عددهم خمسة وعشرون نبيا رسولا وهم : آدم ونوح ، ادريس ، هود ، صالح ، ابراهيم ، لوط ، اسماعيل ، اسحاق ، يعقوب ، يوسف ، شعيب ، أيوب ، ذو الكفل ، موسى ، هارون ، داود ، سليمان ، إلياس ، اليسع ، يونس ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى :
« وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ » . (٥)

وقال تعالى :
« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ » . (٦)

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم ، مرجع سابق ، ص ٣١ .
(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .
(٣) سورة النحل ، آية : ٣٦ .
(٤) سورة فاطر ، آية : ٢٤ .
(٥) سورة الأنعام ، آية : ٨٣ - ٨٦ .
(٦) سورة آل عمران ، آية : ٣٣ .

وقال تعالى :

« وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ »(١) .

وقال تعالى :

« وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ... »(٢) .

وقال تعالى :

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا »(٣)

وقال تعالى :

« وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ »(٤)

وقال تعالى :

« وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ »(٥)

وقال تعالى :

« مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا »(٦) .

فالمؤمن بالله سبحانه وتعالى يؤمن بهؤلاء واحدا واحدا على التفصيل ، ولا يكفر بواحد منهم ، إذ الكفر بواحد من هؤلاء الأنبياء والمرسلين يعتبر كفرا بهم جميعا(٧) .

أما الأنبياء والرسل الذين لم يذكرهم الله في القرآن ، فقد أمر المؤمن أن يؤمن بهم إجمالا ، قال تعالى :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٨٥ . (٢) سورة الأعراف ، آية : ٧٤ .

(٣) سورة مريم ، آية : ٥٦ . (٤) سورة هود ، آية : ٥٠ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٨٥ . (٦) سورة الأحزاب ، آية : ٤٠ .

(٧) أبو بكر جابر الجزائري : عقيدة المؤمن ، مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » (١).

الأساس الخامس : الايمان باليوم الآخر :

الايمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بأن هناك يوما آخرا يبعث الله فيه الخلائق بعد موتهم، ثم يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، ومن ثم يجازى الأبرار بالنعيم المقيم فى الجنة، ويجازى الفجار بالعذاب المهين فى النار (٢). وسمى اليوم الآخر بذلك لأنه لا يوم بعده (٣).

والإيمان باليوم الآخر يقتضى الإيمان بالبعث، ويقتضى الإيمان بالحساب والجزاء، ويقتضى الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدى للخلق (٤).

١ - الإيمان بالبعث :

والإيمان بالبعث معناه التصديق بأن الله سبحانه وتعالى يعيد أبدان الأموات ويدخل فيها أرواحهم، فيخرجون من القبور أحياء كأنهم جراد منتشر (٥).

قال تعالى :
« خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ » (٦)

وقال تعالى :
« وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُ نَاقُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ » (٧).

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢٨٥ .

(٢) أبو جابر الجزائرى : منهاج المسلم، مرجع سابق، ص ٣٩ .

(٣) محمد صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة، مرجع سابق، ٢٩ - ٣٠ .

(٤) المرجع السابق، نفس المكان .

(٥) عبد العزيز المحمد السلمان : الكواشف الجلية، مرجع سابق، ص ٧٨-٧٩ .

(٦) سورة القمر، آية : ٧ .

(٧) سورة الاسراء، آية : ٤٩ - ٥١ .

وقال تعالى :
« ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ » (١) .

فالبعث حق ثابت دل عليه القرآن الكريم والسنة المشرفة، واجماع المسلمين .

قال تعالى :
« كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » (٢) .

وأجمع المسلمون على ثبوت البعث، حيث أنه مقتضى الحكمة الالهية، التي تقتضي أن يجعل الله سبحانه وتعالى لهذه الخليقة معادا يجازيهم فيه على جميع ما كلفهم به على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (٣) .

٢ - الإيمان بالحساب والجزاء .

والايمان بالحساب والجزاء معناه : التصديق الجازم بأن الله سبحانه وتعالى سوف يحاسب جميع العباد على أعمالهم التي عملوها في الدنيا ثم بعد ذلك يجازيهم عليها . وقد دل على ذلك القرآن الكريم، والسنة المشرفة، وإجماع المسلمين.

قال تعالى :
« إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم » (٤) .

وقال تعالى :
« وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ » (٥) .

وقال تعالى :
« فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً وَيَصْلَىٰ سَعِيراً » (٦) .

---

(١) سورة المؤمنون، آية : ١٦ . (٢) سورة الأنبياء، آية : ١٠٤ .
(٣) محمد صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة، مرجع سابق، ص ٢٩ .
(٤) سورة الغاشية، آية : ٢٦ .
(٥) سورة الأنبياء، آية : ٤٧ .
(٦) سورة الأنشقاق، آية : ٧ - ١٢ .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى أنه قد هلك قال سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق)(١) .

وقال تعالى :

« هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ »(٢) .

وقد أجمع علماء المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال التي يعملها العباد ، وهو مقتضى الحكمة ، فان الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل وفرض على العباد قبول ما جاءوا به والعمل بما يجب العمل به منه ، ولو لم يكن هناك حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الله سبحانه وتعالى عنه(٣) . قال تعالى :

« فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ »(٤) .

٣ - الايمان بالجنة والنار :

والايمان بالجنة والنار فمعناه " الاعتقاد الجازم بأن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ، وأن الجنة دار أوليائه أعدها الله وما فيها من النعيم المقيم لهم والنار دار لأعدائه أعدها الله وما فيها من أنواع العذاب لهم "(٥) .

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة هود ، آية : ١٨ .

(٣) محمد صالح بن عثيمين : رسائل في العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٦ ، ٧ .

(٥) عبد العزيز المحمد السلمان : الاسئلة والأجوبة الاصولية ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

قال تعالى :
« وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا » (١)

وقال تعالى :
« جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا » (٢)

وقال تعالى :
« فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ » (٣)

الأساس السادس: الايمان بالقدر خيره وشره :

الايمان بالقدر معناه :

" التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره وأنه الفعال لما يريد ،لا يكون شيئ إلا بإرادته ولا يخرج عن مشيئته، وليس في العالم شيئ يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر ولا يتجاوز ماخط في اللوح المحفوظ، وأنه خالق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها، بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإرادتهم ، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته ،لا يسأل عما يفعل وهم يسألون" (٤) .

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة :

قال تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » (٥) .

وقال تعالى :
« وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » (٦)

---

(١) سورة هود ،آية : ١٠٨ .

(٢) سورة مريم ،آية : ٦١ .

(٣) سورة هود ،آية : ١٠٦ .

(٤) عبدالعزيز المحمد السلمان :الكواكشف الجلية عن معاني الواسطية ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(٥) سورة القمر ،آية : ٤٩ .   (٦) سورة الحجر ،آية : ٢١ .

وقال تعالى :

((مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)) (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس :

(يا غلام إنى أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيئ لم يضروك إلا بشيئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(احتج آدم وموسى ، قال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة . فقال آدم : أنت موسى اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده ، تلومنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقنى بأربعين عاما فحج آدم موسى) (٣) * .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وكان وعرشه على الماء) (٤) .

والايمان بالقدر يتضمن ثلاثة أمور (٥) :

١ - الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى علم بكل شيئ جملة وتفصيلا أزلا وأبدا سواء كان ذلك فيما يتعلق بأفعاله أو بأفعال العباد ، وأنه كتب ذلك فى

---

(١) سورة الحديد ، آية : ٢٢ .

(٢) رواه الترمذى وصححه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

(٥) محمد صالح بن عثيمين : رسائل فى العقيدة ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

* أنظر : سوء مفهوم القضاء والقدر فى الفصل الرابع من هذا البحث .

اللوح المحفوظ ، قال تعالى :

« أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (١) .

٢ - الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى سواء كانت مما يتعلق بفعله أم بفعل المخلوقين ، قال تعالى فيما يتعلق بفعله :

« وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ » (٢) . وقال « وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ » (٣) .

وقال : « هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ » (٤) .

وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين :

« وَلَوْ شَاءَ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ » (٥) .

٣ - الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق جميع الكائنات بذواتها وصفاتها وحركاتها ، قال تعالى :

« اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ » (٦) .

وقال : « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا » (٧) .

أثر العقيدة الاسلامية في تربية العقل

١ - تعريف العقل في اللغة ، وعند بعض علماء المسلمين :

العقل في اللغة " مأخوذ من عقال البعير ، يمنع ذوى العقول من العدول عن سواء السبيل " (٨) ، وسمى " عقل الانسان - وهو تميزه الذى به فارق جميع الحيوان -

---

(١) سورة الحج ، آية : ٧٠ . (٢) سورة القصص ، آية : ٦٨ .

(٣) سورة ابراهيم ، آية : ٢٧ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ٦ .

(٥) سورة النساء ، آية : ٩٠ .

(٦) سورة الزمر ، آية : ٦٢ .

(٧) سورة الفرقان ، آية : ٢ .

(٨) على بن محمد بن على الجرجانى : التعريفات ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

عقلا لأنه يعقله ، أي يمنعه من التورط في الهلكة ، كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه ".(١)

أما في اصطلاح علماء المسلمين ، فقد وردت للعقل عدة تعريفات ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلي :

فقد عرفه الغزالي بأنه تلك الملكة الفطرية في الانسان التي يستطيع بها أن يرتب محصول الحواس ، وأن يدرك ماوراءها من المعاني المجردة ، وأن يميز بطرق ومناهج معينة بين ماهو حق وماهو باطل ، وأن يستنبط المصالح والأغراض.(٢)

وعرفه ابن الجوزي بقوله : " العقل غريزة ، كأنها نورٌ يقذف في القلب ، فيستعد لادراك الأشياء فيتعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، ويتلمح عواقب الامور".(٣)

وقد أجمل الدكتور مقداد يالجن النصوص الاسلامية المتعددة التي وردت في تعريف العقل وخرج بقوله :

" ان العقل قوة مدركة في الانسان خلقها الله فيه ليكون مسئولا عن أعماله ، على أساس قدرته للادراك والتمييز بين الحق والباطل والخير والشر والحسن والقبح ، ثم تكليفه بناءًا على ذلك أن يتبع طريق الحق والخير والحسن ، وأن يتجنب طريق الباطل والشر والقبح والضلال والانحراف . وعلى الانسان بناءًا على هذا وذاك أن يستخدم هذه القدرة ويعمل بها كما أرشده خالقه ، والا كانت عاقبته الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة ".(٤)

---

(١) محمد بن أحمد الازهري : تهذيب اللغة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، د . م ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٣٨٤هـ ، جـ١ ص ٢٤٠ .

(٢) أبو حامد الغزالي : معيار العلم ، تحقيق سليمان دنيا ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦١م ، د . ط ، ص ٢٨٦ .

(٣) عبدالرحمن بن الجوزي : ذم الهوى ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، مراجعة محمد الغزالي ، د . م ، د . ن ، ١٣٨١هـ ، ص ٥ .

(٤) مقداد يلجن : جوانب التربية الاسلامية الأساسية ، مرجع سابق ، ص ٨٧-٨٨ .

والعقل والفكر واللب تأتي بمعنى واحد في التعابير القرآنية، حيث إن هذه الألفاظ الثلاثة "تشترك في التعبير عن القضايا العقلية بحيث لو رفعنا لفظا ووضعنا مكانه لفظا آخر لأدى الى نفس المعنى مع فرق طفيف يوحى به اللفظ نفسه، أو توحى به المعاني التي وردت قبله أو بعده".(١)

٢ ـ أهمية العقل :

ان الشيئ الذى يتميز به الانسان عن غيره من المخلوقات هو "العقل" وبه كرم الله سبحانه وتعالى الانسان، حيث أنه وهبه هذه النعمة دون غيره من المخلوقات ومن أجل العقل فضل الله سبحانه وتعالى الانسان على كل المخلوقات، والعقل هو أداة الفهم للتكاليف الشرعية، اذ بدون العقل لا يستطيع الانسان أن يقوم بأداء التكاليف الشرعية، ولا تقبل التكاليف الشرعية الا من انسان مسلم عاقل بالغ، وفي ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

(رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستقيظ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يكبر).(٢)

والعقل هو وسيلة العلماء في تحصيل العلم، وهو الجوهر الأساسى في عملية التفكير.(٣)

ويوضح أبو بكر الرازى أهمية العقل بقوله :

"... إن البارى عز اسمه انما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه . وأنه أعظم نعم الله عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجداها علينا ... ،

---

(١) محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٣م، ط٢، ص ١٢٢ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) محمد على الجوزو، المرجع السابق، ص ١٢٢، ١٣١ .

فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسسناها وذللناها وصرفناها في الوجوه العائدة منافعها علينا وعليها . وبالعقل أدركنا جميع مايرفعنا ، ويحسن ويطيب به عيشنا ، ونصل به الى بغيتنا ومرادنا ، فانا بالعقل أدركنا صناعة السفن واستعمالها حتى وصلنا بها الى ماقطع رجال البحر دوننا ودونه . وبه نلنا صناعة الطب الذى فيه الكثير من مصالح أجسادنا ، وسائر الصناعات العائدة علينا النافعة لنا . وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة منا المستورة عنا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظم الشمس والقمر وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها . وبه وصلنا الى معرفة البارى عز وجل الذى هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أصبنا . وبالجملة فانه الشيء الذى لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والاطفال والمجانين ، والذى به نتصور أفعالنا العقلية قبل ظهورها للحس فنراها كأن قد أحسسناها ، ثم نتمثل بأفعالنا الحسية صورها فتظهر مطابقة لما تمثلناه وتخيلناه منها ... ".(١)

وقد أوضح الامام ابن القيم ثمرة العقل بقوله :

هو " ... الذى به عرف الله سبحانه وتعالى واسماؤه وصفات كماله ونعوت جلاله ، وبه آمن المؤمنون بكتبه ورسله ولقائه وملائكته ، وبه عرفت آيات ربوبيته وأدلة وحدانيته ومعجزات رسله ، وبه امتثلت أوامره واجتنبت نواهية ، وهو الذى تلمح العواقب فراقبها ، وعمل بمقتضى مصالحها ، وقاوم الهوى فردّ جيشه مغلولا ، وساعد الصبر حتى ظفر به بعد أن كان بسهامه مقتولا ، وحثّ على الفضائل ، ونهى عن الرذائل ، وفتق المعانى وأدرك الغوامض ، وشدّ أزْرَ العزم فاستوى على سوقه ، وقوّى أزْرَ الحزم حتى حظى من الله بتوفيقه ، فاستجلب مايزين ونفى مايشين ".(٢)

---

(١) أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : الطب الروحانى ، نقلا عن : سعيد اسماعيل على : دراسات فى التربية الاسلامية ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢م ، د.ط ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مكة المكرمة ، دار الباز للطباعة والنشر ، د.ت ، د.ط ، ص ٧ .

وقالت عائشة رضي الله عنها : " قد أفلح من جعل الله له عقــــلا ".(١)

وقال يوسف بن أسباط : " العقل سراج مابطن ، وزينة ماظهر ، وسائس الجســـد ، وملاك أمر العبد ، ولا تصلح الحياة الا به ، ولا تدور الأمور الا عليه ".(٢)

٣ ـ بيان أثر العقيدة الاسلامية في تربية العقل :

العقل عنصر أساسي من عناصر تكوين أى اعتقاد ، والعقيدة الاسلامية لا تكــره الناس على اعتناقها ، قال تعالى :

« لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »(٣)

وقال تعالـى :

« فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ »(٤)

بل دعت كل من يرغب فى اعتناقها أن يستخدم عقله ـ أو الحجة العقلية ـ لكــى يعتنقها عن اقتناع منطقي ، وفى ذلك يقول محمود شلتوت :

" وفى سبيل الحجة العقلية ـ طلبت العقيدة الاسلامية مــن معتنقيها أن ينظروا و يتفكروا فى هذا الكون ـ فى أرضه وسمائـه ، وما أودع فيه من أسرار ، وبنى عليه من نظام وإحكام ، وأفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات .. الأمر الذى يحيل فى نظـر العقل صدور الكون عن نفسه ، أو عن قوى متضادة متعارضـــة ، ـ وتوجب ـ فى الوقت نفسه الاعتراف القلبي بأنه لا بد لهذا الكـون ـ البديع المتسق المترابط السائر بحكم نظام واحد لا يلحقه خلـل ولا انتكاس ـ من مصدر خالق مدبر له ، مهيمن عليه ، متصرف فيـه عن طريق العلم الشامل ، والقدرة النافذة والحكمة البالغة ، وأن

---

(١) ابن قيم الجوزية : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٥٦ .

(٤) سورة الكهف ، آية : ٢٩ .

هذا الكون سائر بتدبير هذا الخالق الى الغاية التى حددها له بعلمه وحكمته "(١).

وقد نعت العقيدة الاسلامية على الذين لا يستخدمون عقولهم، ووصفتهم بالدواب والأنعام، قال تعالى :

« إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢) »

وقال تعالى :

« أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » (٣).

وتدم العقيدة الاسلامية الذين يتبعون الآباء والأجداد ، وتنهى عن التقليد والخضوع الأعمى للسادة والكبراء . قال تعالى :

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ » (٤).

ولقد تأثرت العقلية الاسلامية بالعقيدة الاسلامية تأثرا قويا منذ الوهلة الأولى لنزول الوحى ، بحيث أصبح العقل المسلم من أرقى العقول ، وذلك لأن العقيدة الاسلامية أوضحت له الحقائق التى يحتاج الى معرفتها ، والتى من أهمها حقيقة الكون والانسان والحياة . هذه الحقائق التى تاهت فى معرفتها كثير من الفلسفات والمعتقدات المحرفة ، كما أن للعقيدة الاسلامية الأثر الواضح فى تربية العقل المسلم حيث أنها قد :

أ ـ اثارت الحواس فى الانسان باعتبارها نوافذ للعقل (٥).

---

(١) محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٢٢ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٤٤ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ١٧٠ .

(٥) محمود عبد الوهاب فايد : التربية فى كتاب الله ، د . م ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ، ط٥ ، ص ١٤ .

ب ـ وحددت للعقل المجال الذى يحق له أن يفكر فيه ، أو أن يستخدم عقله فيه (١) .

جـ ـ وجهت العقل الى التأمل فى الكون (١) .

د ـ وجهت العقل الى النظر فى سنن الله فى الأرض وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ (١) .

هـ ـ وجهت العقل الى النظر فى حكمة التشريع (١) .

وفيما يلى توضيح للنقاط السابقة :

أ ـ العقيدة الاسلامية أثارت الحواس فى الانسان باعتبارها نوافذ للعقل .

نحن كما نعلم أن الحواس وحدها لا تتم بها المعرفة ، انما تتم المعرفة اذا انتقلت محصولات الحواس الى العقل ، حيث يقوم هو بدوره بترتيب هذه المحصولات ترتيبا جيدا ، ومن ثم تتم نتيجة هذا الترتيب المعرفة ، وكذلك فان العقل وحده لا تتم له المعرفة الا عن طريق الحواس ، حيث إن الحواس تعتبر نوافذ للعقل ، اذا تعطل العقل تعطلت الحواس ، واذا تعطلت الحواس تعطل العقل (٢) .

والعلم يعتمد على السمع والبصر والعقل وعلى رأس هذه كلها الوحى ، ولقد منح الله الانسان هذه الحواس ، قال تعالى :

((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (٣) .

وقال تعالى :

((قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)) (٤)

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ ، ط ٧ ، ص ٧٥ - ٩٧ .

(٢) محمد على الجوزو : مفهوم العقل والقلب فى القرآن والسنة ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٧٨ . (٤) سورة الملك ، آية : ٢٣ .

ففى الآية الأولى والثانية نلاحظ ان الله سبحانه وتعالى قدم السمع والأبصار على الأفئدة، وذلك لأن هاتين الحاستين تعتبران مصدر الاشارات الفكرية ، ومنفذ المعلومات العقلية (١) .

ويقول أبو السعود فى تفسير الآية الأولى :

إن الله سبحانه وتعالى "جعل لكم هذه الأشياء السمع والأبصار والأفئدة آلات تحصلوا بها العلم ،بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء ، وتدركوها بأفئدتكم وتنتبهوا لما بينهما من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية " (٢) .

ويقول فى تفسير الآية الثانية :

"إن الله جعل لكم (السمع) لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الأوامر والنواهى ، وتتعضوا بمواعضها ، وجعل لكم (الأبصار) لتنظروا الى آيات الله التكوينية الشاهدة بشئون الله عز وجل ، وجعل لكم (الأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية ، وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة " (٣) .

والقرآن الكريم يعبر بالقلب ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الانسان الواعية ، وهى تشمل ما أصطلح على أنه العقل (٤) .

ولقد حثت العقيدة الاسلامية معتنقيها على استخدام الحواس التى منحهم الله اياها ، باعتبار أن معطياتها تشكل الركيزة الأساسية فى بناء المعرفة

---

(١) محمود عبد الوهاب فايد : التربية فى كتاب الله ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٢) الامام أبى السعود محمد بن محمد العمادى (ت ٩٥١ هـ) :تفسير أبى السعود . المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ، بيروت ، دار احياء التراث العربى ، د .ت ، د . ط ، جـ٥ ص ١٣١-١٣٢ .

(٣) المرجع السابق ، جـ٩ ص ٩ .

(٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ ، ط . ١ ، المجلد الرابع ، ص ٢١٨٦ .

الانسانية ، وباعتبار أنها أول طريق العلم [١]. قال تعالى :

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » [٢].

وقال تعالى : « قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ » [٣].

وقال تعالى : « قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ » [٤].

ومما يؤكد أيضا على أن العقيدة الاسلامية حثت معتنقيها على استخدام الحواس، أن الفعل (سمع) ومشتقاته قد ورد في القرآن الكريم في تسعة وسبعين موضعا [٥]. وهذا يدل على أهمية هذه الحاسة ، باعتبار أنها من أجود الوسائل في مجال الاستيعاب العلمي [٦]، لأنه عن طريق السمع ادخال المعلومات للنفس ، ومن ثم يمكنها أن تربط المعارف المختلفة بعضها ببعض [٧]. وأن الأفعال (عاين ، ونظر ، ورأى) ومشتقاتها قد وردت في القرآن الكريم حوالي " الف وبضع وثمانين كلمة " [٨] وهذا ان دل على شيئ أيضا فانما يدل على أهمية هذه الحاسة ، لأن كل مايراه الانسان عن طريق حاسة البصر يقع في جوهر نفسه ، فيبدأ بمعرفة كنه الأشياء وتراكيبها ، وبذلك تتحقق المعرفة

---

(١) حسن ابراهيم عبد العال : مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية ، الرياض ، عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ ، د . ط ، ص ١٦٧ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٤٦ .

(٣) سورة العنكبوت ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة يونس ، آية : ١٠١ .

(٥) شاكر عبد الجبار : المنهج العلمي للاعتقاد ، بغداد ، مكتبة القدس ، ١٩٨٤ هـ ، ص ٣٧ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(٧) سعد الدين الجيزاوي : فصول في تربية الشخصية الاسلامية ، نقلا عن : عبد الحكيم قاسم : الايديولوجية والتربية بين المسيحية والاسلام ، د . م ، دار الفكر العربي ، د . ت ، د . ط ، ص ١١٢ .

(٨) شاكر عبد الجبار : المنهج العلمي للاعتقاد ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

وبانتفاء حاسة البصر لا يمكن للانسان أن يتعرف على الكون[(١)] .

واحتراما لسلطان الحواس أجاب الله سيدنا ابراهيم عليه السلام - حين قال[(٢)] :

((رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ؟ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[(٣)])) .

ب - العقيدة الاسلامية حددت للعقل المجال الذى يحق أن يفكر فيه :

لقد حددت العقيدة الاسلامية مجال النظر العقلى ، وذلك صيانة للطاقة العقلية من أن تتبدد فى البحث وراء الغيبيات التى لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها[(٤)] . وقد جعلت العقيدة الاسلامية مجال النظر العقلى محدودا بكل مايدرك بالعقل ويشاهد بالحس ، فهى قد حثت معتنقيها على أن يتأملوا فى الكون ، وينظروا فى سنن الله فى الأرض ، وينظروا فى حكمة التشريع ، ولكنها فى نفس الوقت نهتهم عن التفكير فى ذات الله سبحانه وتعالى . وفى ذلك يقول محمد قطب :

" ان الله لم يكلف الناس أن يبحثوا فى ذاته سبحانه ، لم يكلفهم الجهد الذى يعلم - سبحانه - أنهم لن يقدروا عليه قط ، وأن قصارى مايحدث لهم حين يحاولونه أن تنفجر طاقتهم وتتبدد . كما تنفجر طاقة الذرة التى انحرفت عن مسارها ، فتتحطم وتحطم ماتلقاه فى الطريق "[(٥)] .

---

(١) سعد الدين الجيزاوى : فصول فى تربية الشخصية الاسلامية ، نقلا عن عبد الحكيم قاسم : الايديولوجية والتربية ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

(٢) محمود عبد الوهاب فايد : التربية فى كتاب الله ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٦٠ .

(٤) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، جا ص ٧٧ .

(٥) محمد قطب : قبسات من الرسول ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٤ هـ ، ط٩ ، ص ٧٤ .

كما نهتهم عن البحث والتفكير في كيفية عرش الله على الماء، وعن البحث والتفكير في كيفية الاستواء، وعن البحث والتفكير في الروح، وعن البحث والتفكير في المعجزات، وعن البحث والتفكير في الغيبيات، وعن البحث والتفكير في الكشف عن القانون التشريعي والقانون الأخلاقي.(١) ولكن حين نهت العقيدة الاسلامية الاسلامية أتباعها عن البحث والتفكير في هذه المسائل لم تكن "تحجر" على تفكيرهم أو تضع عليه القيود، كلا انما كانت توفر جهودهم للنافع من الأعمال، وكانت تصون هذا الجهد أن يتبدد سدى، ويؤدي الى الضلال. كانت تريد للناس أن ينفقوا طاقتهم - بعد أن يقضوا حظهم من تدبر آيات الله في الكون والاهتداء اليه - في تعمير الأرض وزيادة الانتاج.(٢)

ولكن بالرغم من هذا النهي فان العقيدة الاسلامية قد وجهت العقل وهدته في المسائل التالية :

١ - في ماوراء الطبيعة : أي في الأمور المتعلقة بالله سبحانه وتعالى، وبالرسل، وباليوم الآخر وبالغيب الالهي على وجه العموم.

٢ - في مسائل الأخلاق : أي فيما يتعلق بالخير والفضيلة، وماينبغي أن يكون عليه السلوك الانساني ليكون الشخص صالحا.

٣ - في مسائل التشريع الذي ينتظم به المجتمع وتسعد به الانسانية.(٣)

من ذلك نلاحظ أن العقيدة الاسلامية جاءت هادية للعقل في هذه المسائل بالذات، لأن العقل لو خاض وبحث في هذه المسائل مستقلا بنفسه فانه لن يصل

---

(١) عماد الدين خليل : معاول في جدار العلمانية، مقال في مجلة الوعي الاسلامي، العدد ٥٥، ١٣٨٩هـ، ص ٥١ .

(٢) محمد قطب : قبسات من الرسول، مرجع سابق، ص ٧٤ .

(٣) بشير حاج التوم : محاضرة في مادة فلسفة التربية، جامعة أم القرى الفصل الدراسي الأول، ١٤٠٥هـ .

الى نتيجة يتفق عليها الجميع، أى أنه لو ترك الناس وعقولهم فى هذه المسائل فانهم يختلفون ويتفرقون فرقا عديدة، ويتنازعون، ولا ينتهى الأمر بهم الى الوحدة والانسجام، ولا الى الهدوء والطمأنينة. لذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى كشف للانسان عن الغيبيات، وعن مسائل الأخلاق، وعن مسائل التشريع، أما فى مجال العلوم الطبيعية فانه سبحانه وتعالى لحكمة تربوية ...

" لم يكشف للانسان عن قوانينها ، لأنه لو كشف له عن قوانينها فهذا يعنى اهمالا لطاقات الانسان - الفعالة - وقدرتها على الكشف والابتكار، ولو حدث وأن وجد الانسان نفسه فجأة أمام القوانين الطبيعية على حقيقتها لألغيت اذن ... كل قدراته ومحاولاته ولأسلم نفسه لكسل فكرى واتكالية لم يرد الله للانسان أن يقع فى اسارها ".(١)

أيضا نلاحظ أن العقيدة الاسلامية تعترف بقيمة العقل وتكرمه ، ولكنها لا تورّطه ولا تتركه يغرق فى التيه الذى غرقت فيه الفلسفة من قبل من الجرى وراء الأمور الغيبية التى لم تصل نتيجة البحث فيها الى شيء حقيقى يستحق مابذل فيه من جهد .

مما سبق نؤكد أن الفكر الاسلامى - المتأثر بالعقيدة الاسلامية -

" لم يكن (عاطلا) ولا محجورا عليه - انما كان - فيما عدا القلة الشاذة التى انحرفت بتأثير الفلسفة الاغريقية بعض الانحراف لا كله - يتجه الى خير الناس فى الأرض . ويسعى الى سعادتهم بكل وسائل السعى . ويرى أنه حين يبحث فى العلوم - البحتة أو التطبيقية - وحين يتعمق فى الفقه الذى يشمل سياسة الحكم وسياسة الاقتصاد ، وموقف الفرد وموقف الدولة ، وموقف المجتمع ، وعلاقات بعضهم ببعض فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة اليومية والحياة العامة ، كما يشمل العبادات بكل تفريعاتها ،

---

(١) عماد الدين خليل : معاول فى جدار العلمانية ، مقال فى مجلة الوعى الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

وحين يعمل فى ميدان الجمال الفنى فى صوره التى كانت ميسرة لهم من رسم وزخرفة وعمارة وشعر ونثر .. الخ . يكون قد قام بواجبه الأمثل وحقق وجوده الكامل ، وأنه ترجم التدبر فى آيات الله الى فكر نافع وعمل نافع وقيم حية متحركة فى واقع الأرض لا فى الابراج العاجية ، ولا فى عالم المثاليات ... وكان ناجحا فى رسالته التى استمدها من كتاب الله وسنة رسوله" (١).

جـ ـ العقيدة الاسلامية وجهت العقل المسلم الى التأمل فى الكون :

" الكون هو كل ماعدا الله سبحانه وتعالى ، من أفلاك وسماوات وأراضين ، وكواكب ، ونجوم ، وجبال ، وسهول وأنهار ووديان ، ونبات وحيوان وانسان ...... ، ومخلوقات مادية وغير مادية" (٢).

والعقيدة الاسلامية تدفع الطاقات العقلية لذى معتنقيها الى التأمل والتفكر والامعان فى اسرار هذا الكون ، ليخلص الانسان بذلك الى الايمان بالله (٣). حيث إن الغاية من التأمل فى الكون هى اصلاح القلب البشرى ، واقامة الحياة الانسانية على أسس من الحق والعدل الأزليين الكامنين فى بنية الكون وبنية الحياة (٤). لذلك نجد أن العقيدة الاسلامية تهتم اهتماما بالغا بلفت الحس البشرى الى التأمل فى الكون ، والتأمل فى الكائنات الأرضية بكل ماتشمله من جمادات ونباتات وحيوانات ، والتأمل فى الانسان وأحواله وأطواره المختلفة ونفسه (٥).

---

(١) محمد قطب : قبسات من الرسول ، مرجع سابق ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ، طرابلس ، المنشأة العامة للنشر ، ١٩٨٦م ، ط٦ ، ص ٣٩ .

(٣) باقر شريف القرشى : النظام التربوى فى الاسلام ، بيروت ، دار التعارف ، ١٤٠٣هـ ، د. ط ، ص ٢٠٨ .

(٤) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، جـ١ ص ٨٠ .

(٥) حسن ابراهيم عبد العال : مقدمة فى فلسفة التربية ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

فالتأمل في الكون وأسراره بعمق وصدق يملأ القلب اشراقا وايمانا ووثوقا بالله سبحانه وتعالى (١). قال تعالى :

((أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)) (٢).

وقال تعالى :

((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ، رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)) (٣).

وفي هذه الآيات يقول محمد قطب :

فألوا الألباب هم الذين يستخدمون قواهم العقلية في تدبر وتأمل آيات الله في الكون ، ولكنهم لا يتأملون تأملا مجردا ذاهلا عن الواقع المحسوس، ولا يتأملون بمعزل عن الله ، فيضلوا ، انما يتأملون وهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (٤).

---

(١) باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) سورة ق ، آية : ٦-٧ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٩٠ - ١٩٥ .

(٤) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، جـ١ ص ٨٢ .

وهذه هي روح المؤمن الذي يتفكر في خلق السموات والأرض، ويصل نتيجة تفكره ذلك الى اكتشاف قوانين ونظريات وحقائق وتطبيقات، تفيده في تعمير الأرض وهو يمشي في مناكبها (١) .

ويقول أيضا :

" إن هذه الآيات هي المنهج الكامل للتأمل الاسلامي في ملكوت الله وهي التوجيه الذي يوجه العقل في أول مهمة من مهامه : مهمة تدبر آيات الله في الكون، إنها تبدأ بالتفكر وتنتهي بالعمل (٢) .

أما التأمل في الكائنات الأرضية بكل ماتشمله من جمادات ونباتات وحيوانات، فانه يبعث على الايمان بالله سبحانه وتعالى، ويصقل النفس من الأوهام والشكوك (٣)

ولقد دعا القرآن الى التأمل في الكائنات الأرضية .

قال تعالى :

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٤) » .

وقال تعالى :

« فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٥) » .

وقال تعالى :

« هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦) » .

---

(١) محمد قطب : قبسات من الرسول ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٢) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، جـ١ ص ٨٣ .

(٣) باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

(٤) سورة الغاشية ، آية : ١٧ - ٢٠ . (٥) سورة عبس ، آية : ٢٤-٣١ .

(٦) سورة النحل ، آية : ١٠ - ١١ .

وقال تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »(١) .

كما أن التأمل فى الانسان وأحواله وأطواره المختلفة ونفسه، يجعل الانسان يستشعر فى نفسه عظمة الله وقدرته، ويبعث أيضا على الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

قال تعالى :

« وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »(٢) .

وقال تعالى :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ »(٣) .

ولو تأملنا فى الكون أيضا أكثر فأكثر لرأينا فى كل شيئ ....

" كبير أو صغير .... جليل أو ضئيل .... آثار القدرة والنظام .. نرى القصد المتيقن .... والإرادة الكاملة .... والإحكام المطلق .... والدقة البالغة .... تشمل كل شيئ .... حتى الخلية .... وحتى الذرة البالغة الضآلة .... ففيها إحكام ودقة ونظام كنظام وإحكام ودقة المجرة "(٤) .

وحين يقيس الانسان المنصف هذا اللون من التوجيه الاسلامى للطاقة العقلية - فى التأمل فى الكون - بالفلسفات قديمها وحديثها والمعاضلات الذهنية

---

(١) سورة الرعد، آية : ٣ .

(٢) سورة الذاريات، آية : ٢٠ - ٢١ .

(٣) سورة المؤمنون، آية : ١٢ - ١٤ .

(٤) عبد الجواد رجب: الايمان بالبرهان، د . م، دار التراث العربى، د . ت ، د . ط ، ص ٧٧ .

المنبثة فى تضاعيفها يدرك فى الحال عظم الفرق وعظمة المنهج الاسلامى فى تربية العقل البشرى (١) .

د ـ العقيدة الاسلامية وجهت العقل الى النظر فى سنن الله فى الارض، وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ :

قال تعالى :
« قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ » (٢) .

وقال تعالى :
« أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ، وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ، فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ » (٣) .

وقال تعالى :
« قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ » (٤) .

وقال تعالى :
« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ » (٥) .

وقال تعالى :
« أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ ، كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِى الأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ » (٦) .

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، جـ١ ص ٨٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٣٧-١٣٨ .

(٣) سورة الانعام ، آية : ٦ .

(٤) سورة الانعام ، آية : ١١ .

(٥) سورة الاعراف ، آية : ٩٦ .

(٦) سورة غافر ، آية : ٢١ .

ان هذه الدعوة المتكررة - من الله سبحانه وتعالى - التي يدعو فيها الناس أن ينظروا في تاريخ من قبلهم من الأمم والشعوب، تدل على أن الله سبحانه وتعالى يلفت الأنظار لدراسة عوامل الفناء والبقاء (السنن) في المجتمعات، وذلك لغرض النظر والاعتبار، وللاستفادة من تجارب الأمم والشعوب السابقين (١). قال تعالى :

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (٢).

والسنة (القانون) هي التي على أساسها تنمو وتزدهر المجتمعات أو تنخفض وتباد، وعلى أساسها أيضا يكافئ الله ويعاقب (٣).

والعقيدة الاسلامية توجه معتنقيها أن يتفهموا السنن ويدركوها، لكي يستطيعوا أن يسيروا على هدى وبصيرة ولكي تتحقق فيهم سنة الله الخالدة، وهي سنة التمكين اذا هم آمنوا بالله الايمان الحق، "لأن رأس سنن الله أن يطاع، وأن من لا يطيع - الله - يهلك، وسنن الله لا تتخلف" (٤).

وتعتبر سنة الماضين حسب منهج القرآن دعما للبشر، ومساعدا لهم في الابتعاد عن الوقوع في الخطأ مرة أخرى. وكل التجارب البشرية العريقة في القدم، والموزعة على أقطار البسيطة، تراث من العبر لكل الناس إذا أرادوا أن ينظروا اليها. وكل الذين لا يتذكرون ما وقع فيه الماضون من أخطاء، يكونون معرّضين لاعادة دفع ثمن جهلهم اجتماعيا في حياتهم الدنيا، كما هم معرضون لخسارة النفس في الآخرة حين يقولون (٥) :

---

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية، مرجع سابق، جـ١ ص ٩٤.

(٢) سورة فاطر، آية : ٤٣.

(٣) جودت سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم، دمشق، دار الثقافة للجميع، ١٣٩٥هـ، ط٢، ص ١٢٩.

(٤) محمد أحمد الغمراوي : الاسلام في عصر العلم، د.م، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٣هـ، د.ط، ص ٩٥.

(٥) جودت سعيد، المرجع السابق، ص ١٣٠.

قال تعالى :
« وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ »(١)

" وقد بين القرآن العظيم أن من سنن الله تعالى التى أجرى نظام المجتمع فى ظل سلطانها ، أنه اذا اعتصم المجتمع - أى مجتمع - بحبل الله ، واستمسك بالتقوى ، واستقام فى منهج حياته على طريق الخير والحق تنزلت عليه بركات الله ورحماته وإنعاماته من السماء ، وتفتحت له الأرض عن خيراتها وكنوزها . قال تعالى :
« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ »(٢) . أما اذا أمالت بهم شهواتهم عن مهيع الايمان والاستقامة فان الله - سبحانه وتعالى - يأخذهم بذنوبهم وإفسادهم فى الأرض »(٣) " .

قال تعالى :
« وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »(٤) .

والعقيدة الاسلامية توجه العقل المسلم أن ينظر فى عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ، ويستخدم طاقته الواعية فى تدبرها والبحث فى أسبابها ونتائجها . بما تعرض عليه من الأمثلة التاريخية المتعددة التى تحققت فيها سنة الله الخالدة(٥) .

" سنة التمكين للمؤمنين - حين يؤمنون الايمان الحق - والتدمير على الكافرين ولو استكبروا بباطلهم بعض الوقت وعتوا فى الأرض مفسدين . سنة دائمة لا تتغير . النصر للايمان والخذلان للكفر(٦) " .

---

(١) سورة الملك ، آية : ١٠ .　　(٢) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٣) محمد الصادق عرجون : سنن الله فى المجتمع من خلال القرآن ، جدة ، الدار السعودية ، ١٤٠٤هـ ، ط٣ ، ص ٤١ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٥) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج١ ص ٩٦ .

(٦) المرجع السابق ، نفس المكان .

هـ ـ العقيدة الاسلامية وجهت العقل الى النظر فى حكمة التشريع :

نحن عندما نقرأ بعض آيات الأحكام الشرعية ، نلاحظ أنها غالبا ماتنتهى بكلمة " تعلمون " و " تتفكرون " و " تعقلون " .

قال تعالى :
((وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) (١) .

وقال تعالى :
((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ . قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)) (٢) .

وقال تعالى :
((وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) (٣) .

وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى ـ منزل العقيدة الاسلامية ـ يطالبنا بأن نعى ونفهم الحكمة من هذه الأحكام الشرعية ، لأن عدم معرفة الحكمة من التشريع تجعلنا لا نطبق الأحكام الشرعية التطبيق الأمثل .

وفى ذلك يقول الأستاذ محمد قطب : " إن الانسان إذا لم يكن فاهما للحكمة الكامنة وراء التشريعات وفاهما لترابط التشريعات فى مجموعها ، فلن يتمكن من تطبيقها فى تلك الحالات المختلفة التى تعرض للبشر فى حياتهم الواقعية " (٤) .

ولذلك فان العقيدة الاسلامية وجهت عقول معتنقيها إلى النظر والتدبر فى معرفة الحكمة من التشريع ، ولم تطالبهم بأن يعملوا عقولهم لوضع قوانين تشريعية ، لأنها تعلم بأن ذلك فوق طاقة عقولهم البشرية .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢١٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ج ١ ص ٨٧ .

وفيما يلي سوف أستعرض بعض آيات الأحكام الشرعية ، ثم بعد ذلك أقوم بايضاح الحكمة من تلك التشريعات. قال تعالى :

« يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ » (١) .

وقال تعالى :

« الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٢) .

ففي الآية الأولى ، وهي تختص بأحكام المواريث، نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى ، ونحن المسلمين مطالبين بتطبيق هذا الحكم الشرعي في قضايا المواريث، ومطالبين أيضا باعمال عقولنا لمعرفة الحكمة من هذا الحكم الشرعي . فما هي الحكمة اذن من هذا الحكم الشرعي الذي جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى ؟

يقول علي أحمد الجرجاوي :

" والحكمة في أن نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى . أن الذكر يكد ويكدح في طلب الرزق على بيته وأولاده ومن تجب عليه نفقته شرعا ... بخلاف الأنثى التي هي دائما متوارية بالحجاب، لا عمل لها الا تدبير شئون المنزل الداخلية، وهي التي ينفق عليها زوجها ، ويكلف بذلك شرعا ولو كانت في سعة من المال وصلاح الحال" (٣) .

وكذلك لأن الرجل اذا أراد أن يتزوج نلاحظ أن الشرع يطالبه بدفع صداق للمرأة،

---

(١) سورة النساء ، آية : ١١ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٥ .

(٣) علي احمد الجرجاوي : حكمة التشريع وفلسفته ، د .م ، د .ن ، ١٣٨١ هـ ، ط ٥ ، جـ ٢ ص ٤٠٣ .

ويطالبه أيضا بالنفقه عليها ،أما المرأة فلم يطالبها بأن تدفع شيئا للرجل .وبذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى عندما جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل في قضايا المواريث، فانه قد جعل لها أبواب أخرى تدخل لها المال مثل باب الصداق وباب النفقة .

وفي الآية الثانية نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى أباح للمسلم أن ينكح المرأة المحصنة من أهل الكتاب* ، وحرم عليه في موضع آخر من القرآن نكاح المرأة المشركة. قال تعالى : « وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ » (١) .

فما هي الحكمة من اباحة نكاح المرأة الكتابية ؟ ؟ وماهي الحكمة أيضا من عدم اباحة نكاح المرأة المشركة ؟ .

أما الحكمة من اباحة نكاح المرأة الكتابية فهي أن أهل الكتاب أقرب الناس الى الهدى اذا سطع لهم البرهان ـ لأنهم مؤمنين بالله ومصدقين بالرسل ـ ولما علم الله سبحانه وتعالى ذلك أباح للمسلم أن ينكح الكتابية (٢) ، وكذلك هناك حكمة أخرى وهي " أن المرأة الكتابية اذا عاشرت زوجها المسلم تجد عدل الاسلام يبدوا أمامها كل يوم ويزداد في عينها فربما تسرب نور الاسلام الى قلبها فتعتنق الدين الحنيف وتُهدى بهديه " (٣) . والحكمة من عدم اباحة نكاح المرأة المشركة هي أن المرأة المشركة لا تؤمن بإله واحد يُعبد ، ولا تؤمن بكتاب أصلا ، فكانت العداوة متأصلة في نفسها ضد الاسلام ،فلو تزوج المسلم بمشركة مع قيام العداوة الدينية فانه لا يحصل السكن والمودة بينهما وهما قوام مقاصد النكاح في الاسلام (٤) .

---

(١) سورة البقرة ،آية : ٢٢١ .

(٢) على أحمد الجرجاوى : حكمة التشريع وفلسفته ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٦ .

* أهل الكتاب هم الذين يدينون بدين وكتاب سماوى ـ غير محرف ـ منزل من عند الله سبحانه وتعالى .

لذلك فان الله سبحانه وتعالى لم يبح للمسلم أن ينكح المرأة المشركة .

أثر العقيدة الاسلامية في تربية الخلق

١ - أهمية الأخلاق :

تحتل الأخلاق فى الإسلام مكانة عليا شامخة لا مثيل لها فى غيره من الأديان والشرائع، ولا فى الفلسفات والنظريات قديمها وحديثها . وتعتبر محاسن الأخلاق النفسية ثمرة من ثمار العقيدة الاسلامية الصحيحة، والعبودية الخالصة لله تعالى وحده، قال صلى الله عليه وسلم :

(الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء من الإيمان)(١) .

كما يعتبر السلوك الأخلاقى - القولى والعملى - أيضا ثمرة من ثمار العقيدة الإسلامية، عن أبى شريح الدعوى قال : سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قال : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يصمت)(٢) .

وأثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بحسن خلقه فقال : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »(٣) .

وأمره بمحاسن الأخلاق فقال :

« ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ »(٤) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة القلم، آية : ٤ .

(٤) سورة فصلت، آية : ٣٤ .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الأخلاق الفاضلة سببا تنال به الجنة (١) .

قال تعالـــى :

« وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٢) .

وكذلك فان النبى محمد صلى الله عليه وسلم قد بين أهمية محاسن الأخلاق وفضلها ، فقـــال :

(ان من أحبكم الىّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) (٣) .

وقال : (ما من شيئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وان الله ليبغض الفاحش البذئ) (٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(البر حسن الخلق) (٥)

وتنبع أهمية الأخلاق فى الاسلام لكون القيم الأخلاقية تستمد من القرآن والسنة ، فهما مصدرا القيم الأخلاقية الاسلامية ، والمسلمون مطالبون بأن يأخذوا قيمهم الخلقية من هذين المصدرين . وقد ورد فى القرآن الكريم " الف وخمسمائة وأربع آيات تتصل بالأخلاق " (٦) .

---

(١) أبو بكر جابر الجزائرى : منهاج المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ .
(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٣٣ - ١٣٤ .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه أحمد وأبو داود .
(٥) رواه البخارى .
(٦) عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

وتتضح أهمية الأخلاق أيضا في كونها تحقق للانسان نموا اجتماعيا ونموا حضاريا[١]، فاذا ما تمسك كل فرد في المجتمع بالقيم الأخلاقية الحسنة - من صدق، وأمانة، وعدل، وعدم أكل أموال الغير بالباطل، وعدم النجوى، وعدم الجهر بالسوء، وعدم التعاون على الشر، وعدم فعل الفاحشة، والمخادنة، وعدم الفخر والرياء، وعدم البخل والحسد - أثناء تعامله مع أفراد مجتمعه، فان ذلك سوف ينعكس ايجابيا على المجتمع، لأن المجتمع ماهو الا مجموعة من الأفراد، فاذا تمسك كل فرد من أفراد المجتمع بالقيم الأخلاقية الحسنة، فان المجتمع يصبح مترابطا ترابطا أخلاقيا، وفي هذا يقول الدكتور مقداد يالجن :

> "إن الأخلاق هي الرابطة بين لبنات البناء - الاجتماعي - اذا شبهنا المجتمع بالبناء والأفراد باللبنات، فاذا زالت الأخلاق انفصمت هذه الرابطة وانقطعت الصلات، ومن ثم أدى الأمر الى.. انهدام البناء الاجتماعي. وكل عمل غير أخلاقي يصدر عن الفرد يضعف هذه الرابطة بينه وبين غيره، إذ أن ذلك العمل يعد بمثابة ضربة توجه الى لبنات هذا البناء ... وكلما زادت الأعمال غير الأخلاقية أوهنت أو أضعفت البناء الاجتماعي الى أن ينهدم ويصبح خاويا على عرشه"[٢].

ونتيجة لهذا الترابط الأخلاقي الناتج عن الالتزام بالقيم الأخلاقية الحسنة من قِبَل أفراد المجتمع فانه سوف يتحقق في المجتمع الأمن والاستقرار وهما مطلبان أساسيان لكل نمو اجتماعي[٣]، وكما أن الأمن والاستقرار مطلبان أساسيان لكل نمو اجتماعي، فانهما بالاضافة الى المجتمع يشكلون عناصر رئيسية لأي نمو حضاري[٤]،

---

(١) أبو اليزيد أبو زيد العجمي : السلوك الخلقي للمسلم، ملحق مجلة الجندي المسلم، المملكة العربية السعودية، وزارة الدفاع والطيران، العدد -٣٩، ص١٣ .

(٢) مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٦ .

(٣) أبو اليزيد أبو زيد العجمي، المرجع السابق، ص ١٣ .

(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤٠٧هـ، ص ٨٧ .

حيث إنه لا يحدث أى نمو حضارى اذا فقد الأمن والاستقرار فى أى مجتمع . وفى ذلك يقول ابن خلدون :

" إعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها ، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، واذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك ، وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب ، فاذا كان الاعتداء كثيرا عامّا فى جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك ، لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها ، وإن كان الاعتداء يسيرًا كان الانقباض عن الكسب على نسبته ، والعُمرانُ ووفُورُه ونَفَاق أسواقه انما هو بالأعمال ... فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب - بسبب العدوان والظلم - كسدت أسواق العمران وانتقصت الأحوال وانذعر الناس فى الآفاق ... فى طلب الرزق ... فخف ساكن القطر وخلت دياره .. واختل باختلاله حال الدولة ... لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورةً .(١)

وأعظم من ذلك فى الظلم وإفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بأبخس الأثمان ثم فرض البضائع عليهم بأرفع الأثمان على وجه الغصب والاكراه فى الشراء والبيع ".(٢)

فابن خلدون أوضح أن فقدان القيم الأخلاقية الحسنة ، وانتشار القيم الأخلاقية السيئة - فى أى مجتمع أو دولة - كالجور والظلم ، يطيح بآمال الناس ويفرقهم فى الآفاق ، لطلب الرزق فى أقطار اكثر أمنا وعدلا ، مما ينتج عن هذا العمل قلة السكان فى المكان الذى ينتشر فيه الظلم ، وينتج عنه أيضا كسادا فى

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨١م ، ط٤ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

الأسواق ، وانهيارا للدولة . ويحدث عكس ذلك اذا انتشرت القيم الأخلاقية الحسنة بين أفراد أى مجتمع أو دولة ، حيث يؤدى انتشار القيم الأخلاقية الحسنة الى حفظ المجتمع من الدمار ، كما يؤدى الى حفظ الدولة من الانهيار ، ويؤدى أيضا الى التقدم والنمو الحضارى .(١)

٢ ـ تعريف الخلق فى اللغة :

" الخلق " بسكون اللام وضمها السجية .(٢)

٣ ـ تعريف الخلق لدى بعض قدماء العلماء المسلمين :

أ ـ يعرف ابن مسكويه الخلق على أنه " حال للنفس داعية لها الى أفعالها من غير فكر ولا روية ".(٣)

ب ـ أما الامام الغزالى فيعرفه بأنه عبارة عن :

"هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية ، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا ، وان كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا ".(٤)

٤ ـ تعريف الخلق لدى بعض علماء المسلمين المحدثين :

أ ـ يعرف سيد قطب ـ يرحمه الله ـ الخلق بأنه : " فطرة فى الفرد ... ووظيفة

---

(١) مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

(٢) محمد بن أبى بكر الرازى : مختار الصحاح ، مرجع سابق ، ص ١٨٧ .

(٣) أحمد بن محمد بن مسكويه : تهذيب الأخلاق فى التربية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠١هـ ، ص ٢٥ .

(٤) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : احياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، د.ط ، جـ٣ ص ٥٣ .

الدين هي مجرد تنظيم هذا العنصر الفطرى وتوجيهه ، ووضع المعايير الثابتة له"[١].

ب - أما أحمد أمين فيقول : "الخلق صفة نفسية لا شيئ خارجي ، أما المظهر الخارجي للخلق فيسمى (سلوكا) أو معاملة ، والسلوك دليل الخلق ومظهره"[٢].

جـ - ويعرف الشيخ أبو بكر الجزائرى الخلق بأنه :

" هيئة راسخة فى النفس، تصدر عنها الأفعال الارادية الاختيارية من حسنة وسيئة ، وجميلة وقبيحة ، وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها ، فاذا ماربيت هذه الهيئة على ايثار الفضيلة والحق ، وحب المعروف ، والرغبة فى الخير ، وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح ، وأصبح ذلك طبعا لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة دون تكلف قيل فيه خلق حسن "[٣].

د - ويعرفه عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى بأنه : "صفة مستقرة فى النفس فطرية أو مكتسبة ، ذات آثار فى السلوك محمودة أو مذمومة "[٤].

مما سبق نلاحظ أن الخلق - لدى بعض قدماء العلماء المسلمين ، وبعض العلماء المسلمين المحدثين - جاء بعدة مفاهيم هى :

أ - أن الخلق صفة طبيعية فى خلقة الانسان الفطرية .

ب - أن الخلق يطلق أحيانا على الصفة المكتسبة ، والتى أصبحت عادة فى السلوك .

---

(١) سيد قطب : دراسات اسلامية ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٣٩٣هـ ، د .ط ، ص ١٥ .

(٢) أحمد أمين : كتاب الأخلاق ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٤م ، د .ط ، ص ٦٣ .

(٣) أبو بكر جابر الجزائرى : منهاج المسلم ، د .م ، دار الفكر ، ١٣٩٦ ، ط ٨ ، ص ١٣٤ .

(٤) عبد الرحم حسن حبنكة الميدانى : أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، ١٤٠٠هـ ، ط ٢ ، ص ٦٣ .

جـ - أن الخلق له جانبان ، جانب نفسي باطني ، وجانب سلوكي ظاهري.[1]

د - أن الخلق يطلق على السلوك الحسن ، والسلوك السيئ ، فان كان السلوك الصادر عن الخلق حسنا سمي هذا السلوك خلقا حسنا ، وان كان السلوك الصادر عن الخلق سيئا سمي هذا السلوك خلقا سيئا .

٥ - تعريف الأخلاق في الاسلام:

" هي عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الانساني ، التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الانسان ، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على اكمل وجه ".[2]

٦ - مفهوم الأخلاق في الاسلام :

إن مفهوم الأخلاف في الاسلام يختلف اختلافا جذريا عن مفهومه في الأديان والفلسفات الأخرى ، حيث إن الأخلاق في مفهوم الاسلام " قاسم مشترك على المجتمع، والقانون ، والسياسة ، والاقتصاد ، والأدب ، والتربية ، لا سبيل الى عزله عن هذه المقومات "[3] وفي ذلك يقول سيد قطب يرحمه الله :

" ان العنصر الأخلاقي أصيل وعميق في كيان التصور الاسلامي وفي كيان المجتمع المسلم ، بحيث لا يخلو منه جانب من جوانب الحياة ونشاطها كله ... - لأن المجتمع الاسلامي - مجتمع يقوم على العبودية لله وحده ، فهو مجتمع متحرر اذن من كل عبودية للعبيد ، في أية صورة من صور العبودية ، المتحققة في كل نظام على وجه الأرض، ماعدا النظام الاسلامي ، الذى تتوحد فيه الألوهية

---

(١) مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الأسلامية ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٣) أنور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الاسلام ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ ، ص ١١٣ .

وتتمحض لله ، فلا تخلع خاصية من خواصها على أحد من عباده ، ولا يدين بها الناس لأحد من عبيده ... ومن هذه الحرية تنطلق الفضائل كلها ، وتنطلق الأخلاقيات كلها ، لأن مرجعها جميعا الى ابتغاء رضوان الله ، ومرتقاها ممتد الى التحلي بأخلاق الله ، وهي مبرأة اذن من النفاق والرياء ، والتطلع الى غير وجه الله ... وهذا هو الأصل الكبير في أخلاقية الاسلام ، وفي فضائل المجتمع المسلم "(١) .

وفي الأخلاق الاسلامية يتكامل الجانب النظري مع الجانب العملي ، ويتكامل الجانب الظاهري مع الجانب الباطني من حيث القيمة والمفهوم " ذلك أن قيمة العمل الأخلاقي تظهر بصورة متكاملة عندما يجتمع النظر الأخلاقي مع العمل الأخلاقي ، وتقترن صورة العمل مع باطن الذات الفاعلة"(٢) أي أنه لكي يكون العمل حسنا لا بد أن تكون النية والارادة والغاية حسنة .

وقد نظر المسلمون الى الأخلاق على أنها منهاج - سلوكي - عملي غايته التعاون في الحياة على البر والتقوى ، قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٣) .

بحيث تتمثل التقوى في هذا المنهاج الأخلاقي عملا وسلوكا ولا تقف عند الجوانب النظرية وحدها(٤) . والأخلاق الاسلامية أخلاق تقوى ، حيث انها تجعل أداء العمل الطيب واجبا حتميا يقوم بعمله المسلم ، كما تجعل تجنب العمل الضار واجبا حتميا يقوم باجتنابه المسلم ، وتجعل الخوف من الله أقوى من الخوف من القوانين

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، المجلد الاول ، ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

(٢) مقداد يالجن : التربية الاخلاقية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٢ .

(٤) أنور الجندي : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي ، د . م ، دار الاعتصام ، د . ت ، د . ط ، ص ٢٣ .

والعقوبات الوضعية (١). وبهذه النظرة للأخلاق من قِبَل المسلمين نجد أن الأخلاق انما هي "سلوك تتفاعل في صنعه العقيدة والعقل والعاطفة ..." (٢).

ولقد وسع الاسلام نطاق تطبيق الأخلاق عمليا حين أخضع جميع جوانب حياة الانسان الى نظريته الأخلاقية، ولروح الأخلاق بصفة عامة (٣). فقد أخضع الاسلام علاقة الانسان بالله للأخلاق، وأخضع علاقة الانسان بأخيه الانسان في جميع النواحي للأخلاق، وأخضع علاقة الانسان بالحيوان للأخلاق (٤).

وتُستمد القيم الأخلاقية في الاسلام من المصدرين الأساسيين للدين وهما القرآن الكريم، والسنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام كما أن القيم الأخلاقية الاسلامية في الاسلام ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص، لأنها ثابتة المصدر والهدف والغاية (٥).

ومجمل القول أن الأخلاق في مفهوم الأسلام

> "تقوم على رقابة الله وتقواه في مختلف التصرفات، وتدخل كعنصر أساسي في المجتمع والاقتصاد والسياسة والتربية ولا تنفصل عنها، وتستمد كيانها من التوحيد أساسا، فلا تنعزل عن الاسلام بل ترتبط به، وهي أخلاق تقوى... تحمل طابع الايثار والتضحية بمصلحة الفرد لمصلحة المجتمع، وهي أخلاق قوة وعمل مع المحافظة على رقابة الله، واعلاء الخير والبر والوفاء" (٦).

---

(١) أنور الجندي: مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الاسلام، د.م، دار الاعتصام، د.ت، د.ط، ص ٢٢ .

(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية، ليبيا - تونس، الدار العربية للكتاب، د.ت، د.ط، ص ٦٥١ .

(٣) مقداد يالجن: التربية الأخلاقية الاسلامية، مرجع سابق، ص ٧٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ٧٩، ٨١ .

(٥) أنظر خاصية الثبات في خصائص العقيدة الاسلامية .

(٦) أنور الجندي: الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي، مرجع سابق، ص ٢٤ .

٧ ـ بيان أثر العقيدة الاسلامية فى تربية الخلق :

إن العقيدة الاسلامية هى الدافع للتخلق بالأخلاق الربّانية التى ينبغى أن يكون عليها الشخص المسلم (١). فالايمان بالعقيدة الاسلامية لا يكون تامّا ، ولا يكون معتدًا به الا اذا بلغ مكانة فى النفس، بحيث يصير دافعا الى السلوك (٢)، وقد بين القرآن هذه الحقيقة عندما يربط دائما بين الايمان والعمل الصالح .قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ » (٣).

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » (٤).

وترتبط الأخلاق فى الاسلام بالعقيدة الاسلامية ارتباط الجزء بالكل (٥).

فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ـ للرجل الذى قال له قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك : (قل آمنت بالله ثم استقم) (٦).

فمن هذا القول الجامع نجد أن الاستقامة لا تتم ولا تحدث بدون ايمان ، لأن الاستقامة هنا تعنى فعل الأوامر التى أمر الله بها واجتناب النواهى التى نهى الله عنها ، ولا بد اذن لحدوث الاستقامة بمعناها الاسلامى من الايمان ، اذ الايمان متى ترسّخ فى نفس الانسان ، فانه يدفعه الى الاستقامة فى جميع جوانب

---

(١) محمد قطب : دراسات قرآنية،بيروت، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ، ط٤ ، ص٢٦٩ .
(٢) عبد المجيد النجار : العقل والسلوك فى البنية الاسلامية ، مدنين ، مطبعة الجنوب ، د .ت، د .ط، ص ١٥٠ .
(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٧٧ .
(٤) سورة التوبة ، آية : ١١٩ .
(٥) أنور الجندى : تصحيح المفاهيم فى ضوء الكتاب والسنة ، د .م، د .ت، د .ط، ص ٤٥٦ .
(٦) رواه مسلم .

الحياة المختلفة ، وبذلك يتضح أن الايمان بمعناه الاصطلاحي يتضمن كل الأعمال الصالحة الناتجة عن الاعتقاد والقول .

وفي ذلك يقول ابن خلدون :

" ... ان الايمان الذي هو أصل التكاليف وينبوعها ... ذو مراتب أولها التصديق القلبي ... وأعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني ".(١)

وأي سلوك لا يكون دافعه الايمان ، فانه لا يعتبر سلوكا مقبولا من الوجهة الاسلامية ، وإن كان هذا السلوك في ظاهره يلائم الأوامر التي أمر الله بها والنواهي التي نها الله عنها.(٢) قال تعالى :

((وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا)).(٣)

وقال تعالى :

((وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)).(٤)

ويتضح ذلك أيضا من قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي - عندما سأله عن الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، من الذي في سبيل الله - (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).(٥)

لذلك نجد أن العقيدة الاسلامية الصحيحة متى رسخت في قلب الفرد استقام سلوكه وحسن خلقه . " وقد دلت التجارب أن صلاح سلوك الفرد يتناسب طردا مع

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤٦١ .
(٢) عبد المجيد النجار : العقل والسلوك في البنية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .
(٣) سورة الفرقان ، آية ٢٣ .   (٤) سورة النور ، آية : ٣٩ .
(٥) متفق عليه .

مدى سلامة أفكاره ومعتقداته ، وأن فساد سلوك الفرد يتناسب عكسا مع مدى تضاؤل العقائد السليمة فى كيانه الفكرى واحتلال العقائد الفاسدة محلها " .(١)

وترتبط الاخلاق فى الاسلام بالعقيدة الاسلامية ارتباطا وثيقا ، حيث إن الاخلاق فى مفهوم الاسلام ثمرة من ثمرات الايمان والعبادة(٢)، فالايمان بالله سبحانه وتعالى يعنى الاعتراف بالحقيقة الالهية ، والاعتراف بالحقيقة الالهية فضيلة ... كما أنه اعتراف بانعام المنعم سبحانه وتعالى ، والاعتراف بانعام المنعم يستوجب الشكر ، وعدم الاعتراف بالحقيقة الإلٰهية مكابرة وجحود ، وخروج على الخلق الحسن.(٣) كما أن الايمان بالله سبحانه وتعالى من شأنه أن يربى فى النفس ملكة المراقبة ، وكذلك من شأنه أن يباعد بين الانسان وبين الردئ من الأعمال(٤).

والايمان بالملائكة يدعوا الانسان الى التشبه بهم فى عدم معصية الله ، وفى التعاون على الحق والخيروالوعى الكامل واليقظة التامة ، بحيث لا يصدر منه الا ماهو خير ولا يتصرف الا لهدف أسمى .

والايمان بالكتب ، يدعو الانسان الى العرفان لله سبحانه وتعالى بالمنهج الرشيد المتكامل الذى رسمه للانسان كى يصل بالسيرعليه الى كماله المادى والأدبى .

والايمان بالرسل ، من شأنه أن يجعل الانسان يترسم خطاهم ، ويتخلق بأخلاقهم والتأسى بهم ، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة ، والحياة الطاهرة التى أرادها الله لبنى البشر .

---

(١) محمود أحمد خفاجى : فى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، تحليل ونقد مرجع سابق ، د.م ، د.ن ، ١٣٩٩هـ ، جـ١ ص ١٣ .

(٢) عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ .

(٣) مقداد يالجن : التربية الاخلاقية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٤) محمد أبو الفيط الفرت ، محمد روّاس قلعة جى : العقيدة الاسلامية فى مواجهة المذاهب الهدامة ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣هـ ، ص١٢ .

والايمان باليوم الآخر هو أقوى باعث للانسان على فعل الخير وترك الشر .

والايمان بقضاء الله وقدره من شأنه أن يزود الأنسان بقوى وطاقات تتحدى كل العقبات والصعاب، وتصغر دونها الأحداث الجسام (١) .

أما العبادة فلها ثمار أخلاقية كثيرة . فالصلاة اعتراف على بألوهية الله سبحانه وتعالى وعبودية الانسان (٢) فاذا أتى بها الانسان كاملة، فانه يتحقق الهدف منها ، وهو عدم عمل الفواحش والمنكرات، قال تعالى :

« إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ » (٣) .

والزكاة من شأنها أن تطهر نفوس الأفراد من الذنوب والاثام ، ومن أرجاس البخل والدناءة والطمع وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية، فهي بذلك تزكي النفوس وتعليها وتخلصها من الشح (٤) .

والصيام الخالص لله سبحانه وتعالى يعوّد الشخص الصبر والكرم (٥)، كما أن الله سبحانه وتعالى حدد الغاية من الصوم، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٦) .

" أي تتخذوا الصيام وقاية تحول بينكم وبين الميول المرذولة والمنكرات " (٧) .

---

(١) محمد أبو الغيط الفرت، محمد روّاس قلعة جي : العقيدة الاسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٢) أبو اليزيد أبو زيد العجمي : السلوك الخلقي للمسلم ، مرجع سابق ، ص ٢٠ .

(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٥ .

(٤) عفيف عبد الفتاح طبّارة : روح الدين الاسلامي ، بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م، ط٢٥، ص ٣٤٣ .

(٥) محمد عبد العزيز الخولي : الأدب النبوي ، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥هـ، د .ط، ص ١٢٧ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ١٨٣ .

(٧) عفيف عبد الفتاح طبّارة : روح الدين الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

والحج المبرور من شأنه أن ينمى خلق الصبر، وحسن العشرة، والتعاون[١].

ويجب أن نلاحظ هنا أن برهان الصدق فى العبادات والاخلاص فيها "كرم الأخلاق" وآية التقصير فى العبادات" سوء الأخلاق"[٢].

---

(١) محمد عبد العزيز الخولى : الأدب النبوى، مرجع سابق، ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق، نفس المكان .

الفصـــــل الثانـــــــــى

أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال العلمـــــى

- مفهوم العلم فى الاســــــلام .
- أهمية العلم فى الاســــــلام .

أولا : أثر الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى حياة الإمام أحمد بن حنبل وإنتاجه العلمى.

ثانيا : آثار عامة فى المجال العلمـــــــى :

١ : ظهور علوم جديـــــدة .

٢ : نشاط حركة الترجمـــــة .

٣ : إنشاء المدارس العلميـــة .

٤ : إنشـــــاء المكتبـــــات .

٥ : إبتكار المنهج العلمى التجريبى .

تمهيــــد :

بعد أن أوضح الباحث الأساس العقائدي الاسلامي في الفصل الأول ، وأوضح أثر هذا الأساس في تربية العقل والخلق ، سوف يتناول الباحث الحديث عن أهم آثار الإلتزام بالعقيدة الاسلامية في المجال العلمي . وقبيل إبراز أهم آثار الإلتزام بالعقيدة الاسلامية في المجال العلمي سوف يتحدث عن مفهوم العلم في الاسلام ، وأهمية العلم في الاسلام ، ثم يتحدث بعد ذلك عن سيرة شخصية إسلامية التزمت بالعقيدة الاسلامية لإيضاح مدى تأثر هذه الشخصية بالعقيدة الاسلامية وذلك من خلال مواقفها في الحياة ومؤلفاتها العلمية .

مفهوم العلم في الاســـلام .

تعريف العلــم :

" العلم نقيض الجهل"[1] وهو "إدراك نسبة مجزوم بها وبوقوعها مع وجود دليل عليها"[2]. أما إذا كانت هناك نسبة مجزوم بها وهي واقعة ولكن لا نستطيع أن ندلل عليها فذلك هو التقليد[3]. وإن كان الإدراك غير مطابق للواقع المرئي أو الصورة الخارجية فهو الجهل.[4] وأما إن كان " العلم غير جازم المطابقة فإنه إما أن يستوي طرفاه وهو الشك ، وإما أن يرجح أحدهما الآخر، فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم"[5].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق ، جـ١٥ ، ص ٣١١ .

(٢) محمد متولي الشعراوي : منهج التربية في الاسلام، د .م. ، دار المسلم، د .ت. ، د .ط، ص ٢٩ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) أبو بكر الجزائري : العلم والعلماء ، القاهرة، دار الكتب السلفية، د .ت. ، د .ط، ص ١٢ .

(٥) أبو بكر الجزائري : العلم والعلماء ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

وقيل ان العلم هو" معرفة المعلوم من الذوات والصفات والمعاني على ماهو عليه في الواقع"(١). وقيل أيضا هو "ادراك الشيئ على ماهو عليه في الواقع سواء كان ذلك الشيئ من المحسوسات أو المغيبات"(٢).

ولهذا فان جميع الظنون والنظريات والفرضيات لا تعتبر علما مجزوما به، وانما تعتبر جميعها طريق الى العلم لم يتم بعد، ولا بد من اجتيازها لكى يتحقق العلم(٣).

وقسم علماء الاسلام العلم الى قسمين :

أ - ضروري .   ب - مكتسب(٤) .

أولا : الضروري : وهو " مالا يمكن للعالم أن يشكك فيه نفسه ولا يدخل فيه على نفسه شبهة، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر، ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل، كالعلم باستحالة كون الشيئ متحركا ساكنا، أو قائما قاعدا، أو مريضا صحيحا في حال واحدة، ومن الضروري أيضا وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس، كذوق الشيئ يعلم به المرارة والحلاوة ضرورة اذا سلمت الجارحة من آفة "(٥).

ثانيا : المكتسب : وهو " ماكان طريقه الاستدلال والنظر، ومنه الخفي والجلي، فما قرب من العلوم الضرورية كان أجلى، وما بعد منها كان أخفى"(٦).

وقيل هو : " مايحتاج المرء فيه الى تأمل واعمال فكر "(٧).

---

(١) أبو بكر الجزائري : العلم والعلماء، مرجع سابق، ص ١٢ .

(٢) محمد سعيد رمضان البوطي : من أسرار المنهج الرباني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ، ط٢، ص ٢٠ .

(٣) المرجع السابق، نفس المكان .

(٤) يوسف بن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله، د.م، دار الفكر، د.ت، د.ط، ج٢ ص ٤٦ .

(٥) المرجع السابق، نفس المكان .

(٦) المرجع السابق، نفس المكان .

(٧) ابو بكر الجزائري، مرجع سابق، ص ١١ .

وقيل أيضا هو : " الذى لا يحصل الا بالدليل العقلى "(١).

وهناك طريقان لمعرفة العلوم :

أ ـ طريق النقل . ب ـ طريق العقل .

فالعلوم التى تستند الى الخبر عن الواضع الشرعى ، ولا مجال فيها للعقل تسمى علوم نقلية ، أما العلوم التى يمكن أن يقف عليها الانسان بعقله ويهتدى الى موضوعاتها ومسائلها وبراهينها بمداركة البشرية فتسمى العلوم العقلية .

وهذا مابينه ابن خلدون حين قال :

" اعلم أن العلوم التى يخوض فيها البشر ويتداولونها فى الأمصار تحصيلا وتعليما هى على صنفين :

١ ـ صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره .

٢ ـ صنف نقلى يأخذه عمن وضعه .

والأول هى العلوم الحِكْمِيَّة ... وهى التى يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة فكرة ويهتدى بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو انسان ذو فكر . والثانى هى العلوم النقلية الوضعية وهى كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالأصول "(٢).

ويختلف مفهوم العلم فى الاسلام عن غيره فى المذاهب الفكرية ، فالاسلام لا يفصل بين الدين والعلم ، بل ان العلم فى مفهوم الاسلام جزء من الدين (٣).

ولم يحدث فى الاسلام ذلك الصراع البغيض الذى حدث فى أوربا بين الكنيسة

---

(١) على الطنطاوى : تعريف عام بدين الاسلام ، بيروت ، موسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ ، ط١ ، ص ٤١ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص٤٣٥ .

(٣) محمد أحمد الغمراوى : الاسلام فى عصر العلم ، د . م ، دار الكتب الحديثة ، د . ت ، د . ط ، ص ٥٧ .

والعلم ،لأن الاسلام لم يكن في يوم من الأيام عقبة كؤودا في سبيل التقدم العلمي ، بل ان الاسلام بتعاليمه هو الذي حث المسلمين على طلب العلم ، وهذا بعكس الدين الذي قاومته أوربا في عصر النهضة ،فالدين الذي قاومته أوربا ـ ليس الدين الحق بمفهومه الجامع ـ كان دينا كهنوتيا يقوم على تفسيرات مشوهة ، أعاقت التقدم العلمي والحضاري.(١) " فالعلم على اطلاقه لم يكبر في دين من الأديان كما كبر في الاسلام ، وان دينا لم يلزم أهله بالعلم كما ألزم الاسلام المسلمين".(٢)

والاسلام كذلك " لا يفصل العلم عن بقية حياة الانسان ، ولا يجعله شيئا قائما بذاته ولا يرفع شعار العلم للعلم"(٣) انما يجعل العلم هو أساس الأعمال والأقوال ، فهو يحث المسلم على أن تكون جميع أعماله وأقواله نابعة عن علم لا عن تقليد أعمى ،لأن " العلم أداة ضرورية من أدوات عمارة الأرض والسعي وراء الرزق والقيام بدور الخلافة في الأرض".(٤)

فالعلم في الاسلام ليس هدفا في حد ذاته انما هو وسيلة لخدمة أمور أمرنا بها ولا نستطيع القيام بها الا بالعلم ، وبذلك فان الانسان المسلم لا يستطيع أن يؤدي الدور الذي خلق من أجله الا بالعلم ، وبذلك أيضا يصبح العلم في الاسلام موافقا للاتجاهات الفطرية ، وموافقا للحاجات النفسية والحيوية لدى الانسان وهذا بعكس ماحدث في الكنيسة الأوربية .

والعلم في الاسلام عبادة يتقرب بها الانسان المسلم الى الله ،لأنه يعتبر نشاطا انسانيا . والعبادة بمفهومها الواسع تشمل كل نشاط خيّر للانسان على وجه الأرض . وتعلم العلوم النافعة يعتبر نشاطا انسانيا خيّرا، فهو بذلك عبادة يتقرب بها الى الله . والمسلمون الأوائل حينما تربوا على الاسلام أدركوا أن

---

(١) أنور الجندي :تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص١٨٣ .

(٢) محمد أحمد الغمراوي :الاسلام في عصر العلم ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

(٣) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

(٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

قضية الاهتمام بالناحية العلمية من قبل الاسلام هى قضية تعبدية بالدرجة الأولى ، وليست للاستعلاء والتسلط فى هذه الدنيا[(١)] .

وكذلك فان علماء المسلمين الأوائل لم يفرقوا بين العلوم التجريبية والعلوم الشرعية ، بل كان الواحد منهم فلكيا ومفسرا وطبيبا وفقيها فى آن واحد[(٢)] . وهذا مما يؤكد لنا أن علماء المسلمين لم يعتبروا طلب العلوم الشرعية فقط عبادة ، بل اعتبروا كل علم يساعدهم على تنفيذ أوامر الله عبادة . وفى هذا يقول محمد قطب:

" ولا يحسبن أحد (أن طلب العلم الشرعى فقط يعتبر عبادة يتقرب بها الانسان الى الله) وان كان العلم الشرعى فريضة بديهية على كل مسلم ، ليعرف كيف يعبد الله العبادة الصحيحة ، ويعرف الحلال والحرام ، وماينبغى عمله وماينبغى الانتهاء عنه . انما ينطبق هذا الوصف على كل العلم ، مادام لا يخرج عن الحدود التى رسمها الله . والا فانظر معى كيف ينفذ المسلمون هذا الأمر الربانى :
((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ))[(٣)] .
هل يستطيعون ذلك بغير علم يشمل اليوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والميكانيكا ، وعشرات غيرها من العلوم ؟
وكيف ينفذون أمره تعالى :
((هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ))[(٤)]
هل يمشون بغير علم ؟ وهل يأكلون من رزقه بغير علم ؟ وانظر الى قوله تعالى :
((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ))[(٥)]

---

(١) أنور الجندى : العودة الى المنابع ، د . م ، دار الاعتصام ، د . ت ، د . ط ، ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

(٤) سورة الملك ، آية : ١٥ .

(٥) سورة الجاثية ، آية : ١٣ .

هل يتحقق التسخير بغير علم ؟ هل يقول الانسان للشيئ كن فيكون ؟ !! أم يحتاج تحقيق التسخير الى جهد علمي ؟ !! وعشرات الأمور تقطع بأن العلم (الذى يتعبد به) ليس هو العلم الشرعي وحده، انما هو كل علم نافع" (١).

وتقوم نظرة الاسلام الى العلم على أساسين رئيسيين :

الأول : ايماني . والثاني : تجريبي .

فالاساس الايماني يتعلق بما أخبر به الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي، وأما الأساس التجريبي فيتعلق بما لفت القرآن اليه أذهان الناس وحثهم على البحث فيه، واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم (٢). " وكان من أثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والرازي وغيرهم ممن كانوا أساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء " (٣).

والعلم في الاسلام يعتمد على خمسة مصادر رئيسية هي : الحس، والعقل، والحدس، والالهام، والوحي (٤).

والاسلام عندما يعترف بهذه المصادر جميعا فانه يقدر لكل مصدر منها أهميته في مجال العلم الذي يناسبه، فأنسب المصادر لاكتساب العلوم الحسية هو الحس أو الادراك الحسي، وأنسب المصادر للعلوم العقلية هو العقل، وأنسب المصادر لاكتساب العلوم الذوقية والعاطفية هو الحدس والالهام، وانسب المصادر لاكتساب العلوم الدينية والخلقية والغيبية هو الوحي (٥).

" والاسلام وان اعترف بجميع مصادر (العلم) فانه لا يبالغ في

---

(١) محمد قطب: واقعنا المعاصر ، مرجع سابق، ص ٩٣، ٩٤ .

(٢) مازن المبارك: مجلة الوعي الاسلامي ، السنة العاشرة، العدد ١١٤، ص ٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٤) عمر محمد التومي الشيباني : فلسفة التربية الاسلامية، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٥) المرجع السابق ، نفس المكان .

تأكيد أهميتها بالنسبة لجميع (العلوم) ... بل أعطى كلا منها حقه من الأهمية والتأكيد ، فأعلى من شأن الحس والعقل (ولكن هذا الاعلاء للحس والعقل لا يجعلهما) يصلان الى درجة الاكتفاء بهما هاديين فى جميع الأمور بدون هداية الدين وتوجيهه . فالمسلم يملك أن يتلقى معارفه المتصلة بكافة العلوم الطبيعية ... من المصادر الحسية والعقلية ، ولكنه لا يملك ان يتلقى معارفه - المتعلقة بحقائق العقيدة أو بالتصور العام للوجود ، أو بالعبادة وأحكام الشريعة ، أو بالقيم الأخلاقية ، أو بالمبادئ والأصول العامة فى النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى - الا من الدين أو الوحى ، ذلك المصدر الربانى الذى جاء يرشد الناس ويهديهم الى الصراط المستقيم ". (١)

لقد فهم المسلمون الأوائل هذا المفهوم الاسلامى للعلم ، والتزموا به خير التزام ، لذلك نجد أنه لم يحدث فى العالم الاسلامى - على مر عدة قرون - ذلك العداء بين العلم والدين " أو بين العلم والعقيدة " لأن العلم والدين كلاهما نزعة فطرية فى الانسان " فتوجه الفطرة لخالقها بالعبادة فطرة .. والرغبة فى المعرفة والرغبة فى التفاعل مع الكون المادى واستخدام ثمار المعرفة فى تيسير الحياة وتحسينها وتجميلها فطرة كذلك ". (٢)

والاسلام يأخذ الانسان " على حقيقته الشاملة ، كلا مترابط الأجزاء متناسق النشاط يعمل بجميع نزعاته ومجالات نشاطه فى اتجاه موحد ، لا تصطدم فيه نزعة بنزعة ، ولا يتعارض مجال للنشاط مع مجال آخر لأنها كلها متجهة الى عبادة الله بالمعنى الشامل الواسع ". (٣)

ولا يقول لمن أراد العلم عليك بترك الدين ، ولا لمن أراد الدين عليك بترك

---

(١) عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٩٥ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٦ .

العلم ، بل حث معتنقيه على طلب العلم ، واعتبره عبادة يتقرب بها الى الله ، لذلك نجد ان علماء المسلمين استطاعوا فك " القيود الروحية الجامدة التى عطلت حرية البحث العلمى خلال العصور القديمة والوسيطة ، ـ وهذا ـ على العكس من البلاد الغربية التى كانت تعذب العلماء وتقتل فيهم "(١) .

" فقد عوقب العالم (جاليلو) بالحبس والقتل لأنه اعتقد بدوران الأرض، وسجن (دى ملش) فى روما حتى مات، وبعد موته حكم على جثته وكتبه بالحرق ،لا لشيئ الا أنه قال ان قوس قزح ليس قوسا مرسلا من عند الله لعقاب عباده ، بل هو حقيقه علمية نتيجة لانعكاس ضوء الشمس على نقاط الماء فى السماء .
وحكم على (غايتى) فى تولوز ـ فى فرنسا ـ بالنار لأن آراءه العلمية خالفت تعاليم الكنيسة وقتئذ "(٢) .

وبينما كانت أوربا على هذا النحو فى تلك العصور ، كان الخلفاء المسلمون يتفاخرون بتقريب العلماء ، وبانشاء المدارس الضخمة ، وبنشر العلم فى جميع أنحاء الدولة الاسلامية(٣) .

والدين الاسلامى منهج كامل للحياة ، يسعى الى تنظيم علاقات الانسان بكل ماله علاقة به ، فهو يسعى الى تنظيم علاقة الانسان بالطبيعة والنفس والاسرة والمجتمع والأمم والشعوب وجميع الأشياء(٤) . والعلاقة بين هذه الأشياء قائمة على الايمان بالله سبحانه وتعالى ، والالتزام بمنهجه ، " والعلم علاقة واحدة من مجموع علاقات جاء الاسلام لكى ينظمها ضمن نظام كامل قوامه تصور كامل (للانسان والكون والحياة) ومن ثم فليس للعلم أن يكون منهجا أو دينا للانسان ، لأن الجزء

---

(١) على عبد الله الدفاع : لمحات من تاريخ الحضارة العربية والاسلامية ، القاهرة، الرياض، الخانجى ، الرفاعى ، د .ت، د .ط، ص ٥٧ .
(٢) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، د .م، دار الفكر العربى ، ١٩٧٨ م، د .ط، ص ٥ ، ٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦ .
(٤) انور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

لا يستشرف الكل ، وأن علاقة واحدة لا تستطيع أن تحدد شكل ومضير علائق أخرى". (١)

ولم يحدث فى الاسلام أيضا أن استخدم العلم كوسيلة فى افساد الأخلاق، (٢) كيف يتم ذلك ونبى الاسلام عليه الصلاة والسلام يقول (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، ولو استخدم المسلمون العلم فى افساد الأخلاق فهذا يعنى أنهم خرجوا عن مفهوم العلم على أنه عبادة يتقرب بها الى الله . وافساد الأخلاق عمل لا يحبه الله ولا يرضاه ، وبذلك يكون بداهة أن العلم فى المفهوم الاسلامى لا يستخدم فى افساد الأخلاق .

لكن الجاهلية المعاصرة استخدمت العلم كوسيلة فى افساد الأخلاق ، ولعل أوضح مثال على ذلك :

" تيسير استخدام موانع الحمل ، وانتاجها على نطاق واسع اكبر بكثير جدا من حاجة البشرية الراشدة ، وتخفيض أسعارها حتى تصبح فى متناول أى فتاة تريد أن تحصل عليها ، واخراجها من دائرة المراقبة الصحية التى ممكن للأطباء أن يمارسوها ، وذلك ببيعها دون حاجة الى تذكرة الطبيب، على الرغم مما يقوله الأطباء أنفسهم من خطورة استخدامها بغير رقابة صحية .

والهدف من ذلك واضح ، فحين تأمن الفتاة نتائج اتصالاتها غير المشروعة ، فما الذى يمنعها أن تغرق فى هذه العلاقات الى آخر المدى ، ويتحقق للشياطين مايريدون من اشاعة الفاحشة على أوسع نطاق ". (٣)

وهذا أمر طبيعى ، لأن العلم فى الغرب لم تحده أخلاقيات ومثل ومعالم توجه العاملين فى حقله ، وهذا بعكس الاسلام الذى يقوم فيه العلم " على أساس الأخلاق والتقوى ، ولا ينفصل عنها ، ايمانا منه بأن العلم يصبح أداة شر اذا لم

---

(١) انور الجندى : قضايا العصر ومشكلات الفكر ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

تُحِطْهُ حصانة الايمان بالله ".[(١)]

ولم يحدث في الاسلام كذلك أن استخدم العلم كوسيلة للشر[(٢)]، لأن الانسان المسلم علم أنه خلق لغاية كبرى هي العبادة، فجميع أعماله التي يقوم بها يتقرب بها الى الله.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[(٣)].

والعلم جزء من الأعمال التي يقوم بها الانسان المسلم، فهو بذلك عبادة، اذاً هناك "حاجز عقيدي وأخلاقي يمنع - المسلم - من استخدام ثمار العلم في الشر".[(٤)]

وهذا بعكس الجاهلية المعاصرة التي تستخدم ثمار العلم في احداث الوان من الشر يعجز الانسان عن تصورها[(٥)]، والأمثلة على ذلك كثيرة، فقنبلتي هيروشيما ونجازاكي اللتين القيتا على اليابان قد "محت كل منهما آثار الحياة كلها من نبات وحيوان وانسان في دائرة واسعة حول المكان الذي ألقيت فيه".[(٦)]

والأسلحة النووية، والكيميائية، والجرثومية، التي تتسابق الدول الكبرى في انتاج كميات كبيرة منها، تشكل مخاطر كبيرة على الحياة بصفة عامة، والحياة البشرية بصفة خاصة، ولا تتورع الدول الكبرى من استخدامها ضد الشعوب الضعيفة ولو لغرض التجربة.

وفي هذا العام - ١٩٨٨م - قامت روسيا بزرع الغام كثيرة وبمختلف الأنواع في أفغانستان، والأدهى والامر من هذه الألغام تلك الألغام التي صنعتها بصفة خاصة للأطفال، والتي على شكل فراشة ملونة، لتغري بها اطفال المجاهدين

---

(١) أنور الجندي: سقوط العلمانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٣هـ، ص ١٨٩.

(٢) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٧.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٢، ١٦٣.

(٤) محمد قطب، المرجع السابق، ص ٩٨.

(٥) المرجع السابق، نفس المكان.

(٦) المرجع السابق، نفس المكان.

الأفغان ، فبمجرد أن يلمس الطفل هذه الفراشة المزيفة فانها تنفجر فيـــــه (١) .

والهدف من هذا العمل هو القضاء على اكبر عدد من أبناء المجاهديــــن الأفغان ، وكذلك لكى ينشأ المجتمع الأفغانى مشوها وعاجزا عن مقاومة أى سلطـة تسيطر عليه فيما بعد .

وهكذا لاحظنا أن روسيا قد استخدمت ثمار العلم ابشع استخدام ، وذلـــك لأنها دولة لا دينية ، وليس لديها أى مفهوم عن الأخلاق والرحمـة .

أهمية العلم فى الاســـلام

ان الناظر والمتأمل فى بعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث السنــــة الشريفة ، يجد أن هناك كثيرا من هذه الآيات والاحاديث التى تمجد العلــــم وتحث على طلبه والسعى اليه ، بل ان أول كلمة أنزلها الله على نبيه محمد صلـــى الله عليه وسلم هى كلمة ((اقرأ)) ، ونحن كما نعلم أن القراءة هى مفتاح العلــــم ، اذ بدون القراءة لا يستطيع الانسان أن يلم بما هو مكتوب فى داخل الكتب مـــن علم ، وهذا ان دل على شيئ فانما يدل على أهمية العلم فى الاسلام منذ الوهلــة الأولى . وتتضح لنا أهمية المعلم فى الاسلام اكثر عند استعراضنا لبعض الآيـــات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال بعض العلماء . قال تعالــــى :

((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)) (٢)

ففى هذه الآية الكريمة استشهد الله فى البداية بنفسه وثنى بالملائكة عليهـــم السلام وثلث بأولى العلم على أجلّ مشهود عليه وهو التوحيد ، وفى هذا دليـل على فضل العلم وشرف العلماء ، " ولو كان أحد اشرف من العلماء لقرنهم اللـــه

---

(١) مجلة الجهاد ، العدد الثامن والأربعون ، ربيع الأول ١٤٠٩هـ ، ص ١٤ - ١٨ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٨ .

باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلمـــاء ".(١)

وفي هذه الآية يقول الامام الغزالي : " فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفســه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفًا وفضلاً وجلاءً ونبلاً ".(٢)

وقال تعالى :

((يَرفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَـــاتٍ))(٣)

ذكر ابن مسعود رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى مدح العلماء في هذه الآية وقال : " يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله يقــول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس بعالم درجات ".(٤)

وقال ابن حجر في هذه الآيـــة : " يرفع الله المؤمن العالم على المؤمــن غير العالم ، ورفعة الدرجات تدل على الفضل ، اذ المراد به كثرة الثواب ، وبهــا ترتفع الدرجات ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت ، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة من الجنة ".(٥)

ومما يوضح أهمية العلم في الاسلام وفضله قول الله تعالى لنبيه محمد صلــى الله عليه وسلم ((وَقُل رَّبِّ زِدنِي عِلمًا))* فالله سبحانه وتعالى لم يأمر النبي محمــد صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء الا من العلم.(٦) لذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه :

---

(١) محمد بن أحمد الانصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٣هـ ، ط٢ ، جـ٤ ص ٤١ .

(٢) الامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي : احياء علوم الدين ، بـيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، د.ط ، جـ١ ص ٥ .

(٣) المجادلة ، آية : ١١ .

(٤) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢هـ ، ط٤ ، جـ٣ ص ٣٤١ .

(٥،٦) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح الامــام البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي ، اشرف علــى طبعه محب الدين الخطيب ، د.م ، المكتبة السلفية ، د.ت ، د.ط ، جـ١ ص ١٤١ .

* سورة طه ، آية : ١١٤ .

(اللهم انفعنى بما علمتنى وعلمنى ماينفعنى وزدنى علمـــــا)

وقال صلى الله عليه وسلم :

(من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنـة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع، وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثه الأنبياء ، وإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهمـــا ، انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابـــى) (٢)

وفى هذا الحديث يقول الامام الغزالى :

" فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبـــة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علــــم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة " (٣) .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى فضل العلم :

" العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلـــم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا بالانفاق " (٤) .

وقال ابن عباس رضى الله عنه :

" خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملــك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه " (٥) .

---

(١) سليمان بن الأشعث : سنن أبى داود ، مرجع سابق ، جـ٤ ص ١٥٣ .

(٢) أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامه وقال حسن صحيح .

(٣) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، مرجع سابق ، جـ١ ص ٦ .

(٤) المرجع السابق ، جـ١ ص ٧ .

(٥) المرجع السابق ، نفس المكان .

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه :

" تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقه ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة ، يقتدى بهم ، أدلة على الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى الحيتان فى البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد وبه يوحد ، وبه يمجد ، وبه يتورع ، وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء " (١).

وقال أبو الأسود :

" ليس شيئ أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك " (٢).

ويقول الامام الغزالى :

" فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم ، فهو أفضل الاعمال ... وثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى ، هذا فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم " (٣).

هذا ولقد بلغ من اهتمام الاسلام بالعلم أن جعله سببا للايمان بالله سبحانه

---

(١) الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، مرجع سابق ، جـ١ ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ، جـ١ ص ٧ .

(٣) المرجع السابق ، جـ١ ص ١٢ .

وتعالى ، لأن الايمان بالله لابد أن يقوم على العلم لا على التسليم الأعمى .

قال تعالى :

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ »(١)

« اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »(٢)

« وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ »(٣).

وفي هذا يقول يوسف القرضاوى :

" ان القرآن يعتبر العلم الحق داعية الى الايمان ودليلا عليه - ويستشهد بقول الله تعالى : « وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ »(٤). ثم يقول - ان هذه المعانى الثلاثة مترتب بعضها على بعض. فالعلم يتبعه الايمان تبعية ترتيب بلا تعقيب، ليعلموا فيؤمنوا . والايمان تتبعه حركة القلوب من الاخبات والخشوع لله تعالى ، وهكذا يثمر العلم الايمان ويثمر الايمان الاخبات والتواضع لله رب العالمين "(٥).

وكما أن الاسلام جعل العلم وسيلة للايمان بالله سبحانه وتعالى ، جعله أيضا شرطا لصحة الأقوال والأعمال . قال تعالى :

« فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ »(٦)

قال ابن المنير توضيحا لقول الامام البخارى عند قول الله تعالى « فَاعْلَمْ أَنَّهُ

---

(١) سورة محمد ، آية : ١٩ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٩٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٣٥ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٥٤ .

(٥) يوسف القرضاوى : الرسول والعلم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٤ - ١٥ .

(٦) سورة محمد ، آية : ١٩ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ » باب العلم قبل القول والعمل :

" أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران الا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ".(١)

وتتضح أهمية وقيمة العلم في الاسلام عندما نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى جعل صيد الكلب الجاهل ميتة يحرم أكلها وأباح صيد الكلب المعلم. وفي هذا يقول الامام ابن القيم :

" لا يباح الا صيد الكلب العالم، وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدل على شرف العلم وفضله .ـ قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ »(٢) ولولا مزية العلم والتعليم وشرفهما كان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء ".(٣)

ونختم حديثنا عن أهمية العلم في الاسلام بهذا القول المأثور :

" من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعلية بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم ".(٤)

فمن هذا التنوية بشأن العلم وفضله وشرفه انبثق ذلك الحماس العلمي والتفاني في سبيل العلم وطلبه في تاريخ الأمة الاسلامية . وانطلقت الحركة

---

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري ، مرجع سابق ، جـ١ ص١٦٠ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٤ .

(٣) الامام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت ، د.ط ، جـ١ ص ٥٥ .

(٤) نقلا عن : محمد نمر الخطيب : موقف الدين من العلم ، بيروت ، دار العربية ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٨ .

العلمية الاسلامية العالمية الخالدة، التى مساحتها الزمنية من أكبر المساحات الزمنية ومساحتها المكانية من أكبر المساحات المكانية ، ومساحتها المعنوية أوسع من كلتا المساحتين [١] .

بعد أن تحدث الباحث عن مفهوم العلم فى الاسلام، وعن أهمية العلم فى الاسلام سوف يتحدث عن أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال العلمى :

أولا : أثر الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى حياة الامام أحمد بن حنبل وإنتاجه العلمى :

مولده ونسبه :

ولد الإمام أحمد ببغداد [٢] ، فى شهر ربيع الأول من سنة ١٦٤ هـ [٣] .

وأما نسبه فهو :

" أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله ابن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر وائل ابن قاسط بن وهب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن النبت بن قيذار بن اسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليه وسلم " [٤] .

---

(١) أبو الحسن الندوى : الاسلام أثره فى الحضارة وفضله على الانسانية ، القاهرة، دار الصحوة ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٨٣ .

(٢) أحمد بن صالح الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، ج٤ ص ٤١٢ .

(٣) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، الاسكندرية ، موءسسة شباب الجامعة ، ١٤٠١ هـ، ص ٢٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

حياتــــــه :

نشأ الامام أحمد يتيم الأب ببغداد ، وتربى بها ، وقد وجهته أمه ـ التى كانت تتولى أمره بعد وفاة أبيه ـ منذ الصغر الى أن حفظ القرآن الكريم ، فحفظ القــرآن فى صباه ، وتعلم القراءة والكتابة أيضا ، وظهرت عليه آثار النبوغ والأمانة والتقوى منذ الصغر .. وبعد أن تم له حفظ القرآن ، وتعلم القراءة والكتابة ، وجهته أمه أيضـا الى تعلم علوم الدين الاسلامى .(١) وكانت بغداد فى أيامه تزخر بأنواع العلـــوم ، فكان فيها القراء والمحدثون ، والمتصوفة ، وعلماء اللغة ، والفقهاء ، والفلاسفـــة .(٢) فاتجه الى تعلم علوم الدين ، وهذا التوجة الى علوم الدين عائد الى ميوله النفسية ، والى ماكان قد وُجه اليه منذ الصغر عن طريق والدته ، فتعلم علوم اللغة العربيـــة فى البداية باعتبارها طريق علوم الدين .(٣) ثم بعد ذلك بدأ فى طلب الحديــث وهو ابن ستة عشر سنة .(٤)

وكان يتلقى الحديث على يد شيخه هُشَيم بن بشير ،(٥) وكان هُشَيم(٦) أعظم مــن أثر فيه من شيوخه فى الحديث ، وقد قال عنه أحمد : " لزمت هُشَيماً أربع سنـــين ماسألته عن شيئ الا مرتين هيبة له ، وكان كثير التسبيح ... ".(٧)

---

(١) محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره ـ آراوءه وفقهه ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د .ت ، د . ط ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠-٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٤) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٦) هو هُشَيم بن بشير بن أبى خازم ، ولد سنة أربع ومائة ، من كبار الحفاظ والمحدثين ، توفى فى شعبان سنة ١٨٣ هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ للذهبى ، جـ١ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٧) شمس الدين الذهبى : تذكرة الحفاظ للذهبى ، بيروت ، دار احيـــــاء التراث العربى ، د .ت ، د .ط ، جـ١ ص ٢٤٩ .

ولم يكتفى الامام أحمد بشيخه هُشَيم فى دراسة الحديث، بل كان فى بعض الأحيان يتلقى من غيره[(١)].

وفى أثناء طلبه للحديث كان يطلب علم الفقه والاستنباط، وقد تلقى ذلك عن الشافعى[(٢)] وغيرة[(٣)] وفى المقابل فان الامام الشافعى تعلم من الامام أحمد أشياء من علم الحديث، وكان يعتمد عليه فى تصحيح الأحاديث فيقول له مثلا :

"حديث كذا وكذا قوى الاسناد محفوظ ؟ فاذا قال أحمد نعم جعله أصلا وبنى عليه"[(٤)].

ولم يطلب غير الحديث، والفقه ، وعلوم اللغة العربية ،لأنه كان يرى أن علم الكلام، والفلسفة ليست جديرة بالعناية[(٥)] وكان أثناء طلبه للعلم مثال الجد والحرص والنشاط، حتى إنه برع فى فهم الحديث الصحيح من الحديث السقيم[(٦)].

---

(١) عبدالغنى الدقر: احمد بن حنبل امام أهل السنة، دمشق- بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩هـ ، ص٩٧ .

(٢) هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ولد سنة خمسين ومائة ونشأ بمكة، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، توفى بمصر فى آخر رجب من سنة أربع ومائتين، وكان عمره حين وفاته أربع وخمسين سنة .
انظر: ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ١٠ ص٢٥١ ، تذكرة الحفاظ للذهبى جـ١ ص٣٦١ .

(٣) محمد ابو زهرة: ابن حنبل حياته وعصره .. ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٤) عبدالرحمن بن أبى حاتم محمد الرازى: كتاب الجرح والتعديل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٢٧١هـ ، جـ١ ص٣٠٢ .

(٥) محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص٣٣ .

(٦) عبدالرحمن بن أبى حاتم محمد الرازى: المرجع السابق ، جـ١ ص٣٠٢ .

رحلاتـــه :

وقد رحل عدة رحلات علمية لطلب الحديث، لأن المحدثين كانوا منتشرين في معظم بقاع الدولة الاسلامية، وأول رحلة له كانت الى الكوفة، ثم بعد ذلك رحل الى البصرة، والحجاز، واليمن[١]، واستمر على الجد والطلب حتى بلغ مبلغ الامامة في الحديث، وعندما بلغ سن الأربعين بدأ بالتحديث والفتوى[٢].

محنتـــه :

وفى عام ٢١٨هـ، أصدر المأمون أمره الى نائبه ببغداد أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن[٣]، وكان الإمام أحمد من الذين امتحنوا بالقول بخلق القرآن، لكنه أمتنع من القول بخلق القرآن[٤] ونتيجة لموقفه هذا الذى يدل على فهمه الصحيح لعقيدته الاسلامية التى يعتنقها، وعلى شجاعته وعناده فى الحق، فانه واجه حربا ضروسا من قبل الوزراء والفقهاء والمتكلمين الذين ساقتهم الدولة العباسية لذلك. ولكنه بالرغم من ذلك فانه تمسك بموقفه الصلب الذى يرفض فيه القول بأن القرآن مخلوق، لأنه كان يعرف الآثار المترتبة على القول بأن القرآن مخلوق، والتى منها أن الناس سوف يقتدون به ويقرون بالقول بخلق القرآن، وبذلك يسيطر التفكير الفلسفى على الأمة بكاملها، ومن ثَم تنقطع صلتها تدريجيا عن منابع الدين الأولى، وتصبح الأمة بعد ذلك عرضة للآراء والقياسات، ومنها أيضا ضياع هيبة الله من القلوب، وافتقاد الخشية والخوف من كلام الله[٥]. وكان لموقف

---

(١) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) عبد الرحمن بن الجوزى : مناقب الامام أحمد بن حنبل، بيروت، خانجى وحمدان، د.ت، ط٢، ص ١٨٨.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، مرجع سابق، جـ١٠، ص ٢٧٢.

(٤) المرجع السابق، جـ١٠ ص ٢٧٤.

(٥) مصطفى حلمى : قواعد المنهج السلفى، الاسكندرية، دار الدعوة، ١٤٠٥هـ، ط٢، ص ١٠٠.

الامام أحمد الصلب فى وجة القائلين بخلق القرآن أثر كبير فى استمرار السنة وبقائها نقية صافية ، ولهذا قيل :

" أبو بكر يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة "(١)

شمائله :

وكان الامام أحمد بن حنبل كثير الزهد والورع ، من العلماء العاملين حيث كان يقول : " صاحب الحديث عندنا من يعمل به "(٢)

وكان شديد التمسك بالسنة ، حيث يعمل ماكان النبى محمد صلى الله عليه وسلم يعمله ، ولا يعمل مالم يعمله ، وهو فى ذلك يقول : " ماحدثت حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم الا وقد عملت به ، حتى مرّ بى أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم فأعطى أباطيبة دينارًا فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت "(٣) .

وهذا بالطبع ناتج عن تمسكه بعقيدته الاسلامية التى تحثه على العمل ، والتى لا يظهر لها أثر فى نفس الفرد والمجتمع ان لم يعمل بتعاليمها وتمارس فى عالم الواقع .

(ولكن شرط الأعمال أن تكون موافقه لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم) .

عقيدته :

عقيدة الامام أحمد هى عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهو يوضح لنا هذه العقيدة بقوله : " صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأقر بجميع ما أتت الانبياء والرسل وعقد قلبه على ماظهر من لسانه ، ولم يشك فى ايمانه ، ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب ، وأرجأ ماغاب عنه من الأمور الى الله ، وفوض أمره الى الله ، وفوض الأمور الى الله ، ولم يقطع الذنوب ، العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شيئ بقضاء الله وقدره الخير

---

(١) أحمد بن على الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، جـ٤ ص٤١٨ .

(٢) عبد الحليم الجندى : أحمد بن حنبل امام أهل السنة ، العراق ، لجنة التعريف بالاسلام ، الكتاب الخامس والستون ، ١٣٩٠هـ ، د .ط ، ص ١١٩ .

(٣) عبد الرحمن بن الجوزى : مناقب الامام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

والشر جميعا ، ورجا لمحسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتخوف على مسيئهم ، ولم ينزل أحدا من أمة محمد الجنة بالاحسان، ولا النار بذنب اكتسبه ، حتى يكون الله الذى ينزل خلقه حيث يشاء ، وعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقدم أبو بكر وعمر وعثمان ، وعرف حق على بن أبى طالب ، وترحم على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم صغيرهم وكبيرهم ، وحدث بفضائلهم ، وأمسك عن ماشجر بينهم ... ، والقرآن كلام الله وتنزيله ليس بمخلوق ، والايمان قول وعمل يزيد وينقص ، والجهاد ماضى منذ بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - الى آخر عصابة يقاتلون الدجال ، لا يضرهم جور جائر .

... والايمان بعذاب القبر والايمان بمنكر ونكير والايمان بالحوض والشفاعة ، والايمان أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ، وأن الموحدين يخرجون من النار بعدما أمتحنوا كما جاءت الأحاديث فى هذه الأشياء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا نضرب لها الأمثال . هذا ما اجتمع عليه العلماء فى الآفاق ".(١)

ثناء العلماء عليه :

قال عنه الامام الشافعى :

" خرجت من بغداد وماخلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه .. ولا أعلم من أحمد بن حنبل ".(٢)

وقال عنه أيضا :

" أحمد امام فى ثمان خصال : امام فى الحديث ، امام فى الفقه ، امام فى اللغة ، امام فى القرآن ، امام فى الفقر ، امام فى الزهد ،

---

(١) عبد الرحمن بن الجوزى ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) أحمد بن على الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، جـ٤ ص ٤١٩ . وانظر أيضا : تذكرة الحفاظ للذهبى ، جـ٢ ص ٤٣٢ .

امـام فى الـورع ، امام فى السنـــة ". (١)

وقال عنه أحمد بن سعيد الدارمى (٢) :

" ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم بفقهه ومعانيه ، من أبى عبد الله أحمد بن حنبل ". (٣)

وقال عنه أبو زرعة الرازى (٤) :

" كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديـــث ! ! ". (٥)

<u>بعض مؤلفاتــه :</u>

١ـ كتاب العلـل . ٢ ـ كتاب التفسـير . ٣ ـ كتاب الناسخ والمنسوخ .

٤ ـ كتاب الزهـد . ٥ ـ كتاب المسائل . ٦ ـ كتاب الفضائـل .

٧ ـ كتاب الفرائض . ٨ ـ كتاب المناسك . ٩ ـ كتاب الايمـان .

١٠ـ كتاب الاشربة . ١١ـ كتاب طاعة الرسول . ١٢ـ كتاب الرد على الجهمية .

١٣ـ كتاب المسند ، وهو يحتوى على نيف وأربعين ألف حديث . (٦)

---

(١) محمد بن أبى يعلى ؛ طبقات الحنابلة ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١هـ ، د . ط ، جـ١ ص ٥ .

(٢) هو أحمد بن سعيد بن صخر بن سليمان بن سعيد بن قيس ، أبو جعفر الدارمى ، وكان من حفاظ الحديث ، توفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين .
انظر : تاريخ بغداد ، جـ٤ ص ١٦٧-١٦٩ .

(٣) أحمد بن على الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، مرجع سابق ، جـ٤ ص٤١٩ .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشى مولاهم الرازى ، كان من أفراد الدهر حفظا وذكاء ودينا واخلاصا وعلما وعملا ، توفى فى آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين .
انظر : تذكرة الحفاظ ، جـ٢ ص ٥٥٧-٥٥٨ .

(٥) أحمد بن على الخطيب البغدادى ، المرجع السابق ، جـ٤ ص ٤١٩ .

(٦) ابن النديم : الفهرست ، مرجع سابق ، ص ٣٢٠ .

ومن أشهر هذه المؤلفات ثلاث كتب هي :

١ ـ المسند . ٢ ـ الرد على الجهمية. ٣ ـ الزهد .

وقد أوضح الامام أحمد في هذه الكتب الثلاثة بصفة خاصة وجهة نظره ـ الناتجة عن تفهمه لتعاليم العقيدة الاسلامية ـ في المسائل التي طفت على ثقافة العصر ـ الذي عاش فيه ـ واتجاهاته المختلفة [١]، كما قام أيضا في هذه الكتب بتدعيم المنهج السلفي الذي يشير عليه بالحجج والأدلة النقلية والعقلية. واعتبرت هذه الكتب الثلاثة الوعاء الذي يحفظ نظريات السلف وآراءهم وسط التيارات المختلفة السائدة في العالم الاسلامي حينذاك وحتى اليوم .

فكتاب " المسند " عني بحفظ الحديث، وكتاب " الرد على الجهمية" يحتوى الردود التي رد بها على الجهمية والزنادقة، ويتضح في هذا الكتاب حجاجه العقلي في أجلى وأدق صورة تكشف عن الاستعداد العقلي الممتاز الذي تميز به رجل العقيدة أحمد بن حنبل ، وكتاب " الزهد " وضعه الامام أحمد كوثيقة يدافع بها على طريقة الاقتداء ، وكأنه يعلن في هذا الكتاب أن من أراد الزهد حقا فعليه باتباع السلف [٢].

وفاة الامام أحمد :

توفي رحمه الله ، يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من سنة (٢٤١هـ) [٣]، وكان عمره حين وفاته سبعة وسبعين سنة [٤]، وقد شيع جنازته اكثر من ثمانمائة ألف رجل [٥].

---

(١) مصطفى حلمي : قواعد المنهج السلفي، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .
وانظر: ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ص ٣٤٠ .

(٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٥) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د .ت، د .ط، جـ١ ص ٦٥ .
وانظر: ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ص ٣٤١ .

ثانيا : آثار عامة فى المجال العلمــــى :

١ : ظهور علوم جديـدة :

كما ذكرنا سابقا أن تعاليم العقيدة الاسلامية حثت معتنقيها على العلــــم ، وفضّلت العلماء على الجهلاء ، مما كان له الأثر الكبير فى دفع المسلمين علــــى التسابق فى طلب العلم والسعى إليه ، وكان أهم شيئ يسعى إليه طلاب العلــم الذين اعتنقوا العقيدة الاسلامية هو تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف باعتبار أنهما أهم مصادر التشريع فى الاسلام ، وكذلك لأن المسلم المكلف يجب عليـه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه ، وهذه الأحكام مأخـــوذة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بالنص أو بالاجماع (١) .

وقد قامت المساجد بادئ الأمر بمهمة تعليم القرآن الكريم والحديث الشريـف خير قيام ، وهذا مما يجعلنا نؤكد أن الحركة العلمية الاسلامية استهدفت منـــذ البداية تعليم الناس القرآن الكريم والحديث الشريف (٢) . وتعليم القرآن الكريــــم والحديث الشريف يتطلب معرفة عدة علوم ، لذلك أصبح لزاما على العلماء المسلمين أن يضعوا عدة علوم جديدة فرضها عليهم واقعهم العلمى ، فوضعوا علم القراءات ، وعلم التفسير ، وعلم الحديث ، وغير ذلك من العلوم . ويوضح ذلك ابن خلدون حيث يقول إنه لابد للمسلم أن يتأمل كتاب الله ،

> " ببيان ألفاظه أولا وهذا علم التفسير ، ثم بإسناد نقله وروايته إلــى النبى صلى الله عليه وسلم الذى جاء به من عند الله ، واختـــلاف روايات القراء فى قراءته وهذا هو علم القراءات ، ثم بإسناد السنـة إلى صاحبها والكلام فى الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهـــم

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤٣٥ .

(٢) جلال مظهر : حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى ، القاهرة ، مكتبـة الخانجى ، ١٩٧٤م ، د . ط ، ص ٢٤٠ .

وعد التهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم مايجب العلم بمقتضاه من ذلك وهذه علوم الحديث، ثم لا بد من استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا علم وأصول الفقه ، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه ... "(١).

ومن أهم العلوم التي ابتكرها المسلمون :

١ - علم القراءات :

وهو من العلوم التي لها صلة وثيقة بالمصدر الأساسي الذي يعتبر المنبع الذي لا ينضب، والذي يستقي منه المسلمون تعاليمهم وتوجيهاتهم الربانية في جميع شئون حياتهم العبادية والعملية، والمسلم مطالب بأن يعرف كتاب الله ويتلوه حق التلاوة. والقرآن الكريم هو: " كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف المنقول الينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس "(٢).

والقرآن الكريم متواتر بين الأمة الاسلامية " الا أن الصحابة رضوان الله عليهم رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها "(٣). وهذا هو السبب في جعل روايات قرّاء القرآن مختلفة(٤)، وهذا هو السبب أيضا في وضع النواة الأولى لعلم القراءات .

وعلم القراءات هو :

" علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى ، من حيث وجوه

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ،ص ٤٣٥، ٤٣٦ .

(٢) محمد على الصابوني : التبيان في علوم القرآن ، طبع على نفقه حسن شربتلي، ١٤٠٠هـ، ط٢ ، ص ٦ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المرجع السابق ، ص ٤٣٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

الاختلافات المتواترة ، وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام ، من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة الى حد الشهرة ".(١)

وقيل هو :

" معرفة أوجه القراءات المختلفة الواردة فى بعض الكلمات القرآنية ، ونسبة كل وجه الى من رواه وقرأ به من القراء ، وتوجيه كل قراءة حيث يتحدد المعنى المراد من الآية على كل القراءات ولا يختلف عنها ".(٢)

والغرض من ابتكار هذا العلم هو :

" تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة ، وصون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير ".(٣)

ومن أشهر أئمة القراء من الصحابة :(٤)

ابو بكر الصديق(٥) ، وعمر بن الخطاب(٦) ، وعثمان بن عفان(٧) ،

---

(١) أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ ، جـ٢ ص ٦ .

(٢) ابو بكر الجزائرى : العلم والعلماء ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٣) أحمد بن مصطفى : مرجع سابق ، جـ٢ ص ٦ .

(٤) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٦ - ١٢ .

(٥) هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمى القرشى ، ابو بكر أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال ، وأول الخلفاء الراشدين ، ولد بمكة سنة ٥١ ق هـ ، وكان عالما بأنساب القبائل ، توفى سنة ١٣هـ . الاعلام ٤/١٠٢ .

(٦) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، صحابى جليل ، وهو ثانى الخلفاء الراشدين ، ولد سنة ٤٠ ق .هـ ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، قال عنه ابن مسعود : ماكنا نقدر نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، استشهد سنة ٢٣هـ . الاعلام ٥/٤٥ .

(٧) هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ولد سنة ٤٧ ق .هـ ، ذى النورين ، وهو ثالث الخلفاء الراشدين ، كان غنيا ، ومن أعظم أعماله فى الاسلام تجهيز =

علي بن أبي طالب [١] ، أبي بن كعب [٢] ، وزيد بن ثابت [٣] ،
عبد الله بن مسعود [٤] ، أبو الدرداء عويمر بن مالك [٥] ، أبو موسى الاشعري [٦] .

= نصف جيش العسرة بماله ، وفي عهده تم جمع القرآن ، استشهد سنة ٣٥هـ ،
الاعلام ٥/٤٥ .

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، ابن عم الرسول (ص) ولد سنة ٢٣ق .هـ بمكة ، وهو أول من أسلم من الناس بعد اسلام خديجة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين ، استشهد سنة ٤٠هـ بالكوفة . الاعلام ٤/٢٩٥ .

(٢) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، من بني النجار ، من الخزرج ، كان قبل الاسلام حبرا من أحبار اليهود ، وعندما أسلم كان من كتاب الوحي ، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة ٢١هـ بالمدينة المنورة . الأعلام ١/٨٢ .

(٣) زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي ، من أكابر الصحابة ، وكان من كتاب الوحي ، وكان عالما متفقها في الدين ، وكان من الذين كتبوا القرآن في المصاحف في عهد عثمان ، توفي سنة ٤٥هـ . الأعلام ٣/٥٧ .

(٤) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، صحابي جليل ، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب سره ، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ . الأعلام ٤/١٣٧ .

(٥) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي ، أبو الدرداء صحابي جليل ، قال ابن الجزري : كان من العلماء الحكماء ، مات بالشام سنة ٣٢هـ . الأعلام ٥/٩٨ .

(٦) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، أبو موسى ، من بني الأشعر من قحطان : صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين ، توفي بالكوفة سنة ٤٤هـ . الاعلام ٤/١١٤ .

أما من أخذ من الصحابة عن الصحابة فهم (١) :

عبد الله بن عباس (٢) ، أبو هريرة (٣) ، عبد الله بن السائب (٤) .

وقد ظهرت لقراءة القرآن سبع طرق ، كل طريقة منها تمثلها مدرسة معترف بها ، ترجع قراءتها الى امام ، وتستند فى أحاديث موثوق بها ، وعليها يجب أن يقتصر فى قراءة المصحف ، وأئمة القراءات السبع هم (٥) :-

١ - نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى (٦) .

٢ - الامام أبو معبد المالكى الدارى (٧) .

---

(١) أحمد بن مصطفى : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ١٢-١٤ .

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشى الهاشمى ، صحابى جليل ، قال عنه ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . سكن الطائف وتوفى بها سنة ٦٨هـ . الاعلام ٤/ ٩٥ .

(٣) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، صحابى جليل ، كان من اكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له ، أسلم عام خيبر وشهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم ، توفى بالمدينة سنة ٥٩هـ . الاعلام ٣/ ٣٠٨ .

(٤) عبد الله بن السائب بن أبى السائب بن صيفى بن عابد بن عمر بن مخزوم قارئ أهل مكة ، له صحبة ، روى القراءة عرضا عن أبىّ بن كعب ، وعمر بن الخطاب ، توفى فى حدود سنة ٧٠هـ .
طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، جـ٢ ص ١٤ .

(٥) أحمد بن مصطفى ، المرجع السابق ، جـ٢ ص ٢٣ .

(٦) نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى ، أحد القراء السبعة المشهورين ، كان حسن الخلق فيه دعابة ، اشتهر فى المدينة وانتهت اليه رياسة القراءة فيها ، وأقرأ الناس نيفا وسبعين سنة ، توفى بالمدينة سنة ١٦٩هـ ، الاعلام ٨/ ٥ .

(٧) هو عبد الله بن كثير ، كان مولى عمرو بن علقمة الكنانى ، ويقال له الدارانى لأنه كان عطارا ، توفى بمكة سنة ١٢٠هـ . الفهرست ص ٤٢-٤٣ .

٣ - أبو عمرو بن العــــلاء . (١)

٤ - عبد الله بن عامر بن يزيد . (٢)

٥ - عاصم بن بهدلة أبى النجود . (٣)

٦ - حمزة بن حبيب بن عمار . (٤)

٧ - على بن حمزة ،ابو الحسن الكسائى . (٥)

ب - علم التفســــــير :

من العلوم التى ابتكرها المسلمون علم التفسير، وهو " علم يعرف به فهم كتـــاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانية واستخراج أحكامه وحكمه".(٦)

---

(١) هو زبّان بن عمار التميمى المازنى البصرى، من أئمة اللغة والأدب، وأحـــد القراء السبعة، ولد بمكة سنة ٧٠هـ، وتوفى بالكوفة سنة ١٥٤هـ . الاعلام ٣/ ٤١ .

(٢) عبد الله بن عامر بن يزيد ،ابو عمران اليحصبى الشامى ،أحد القـــــراء السبعة، ولى قضاء دمشق فى خلافة الوليد بن عبد الملك، توفى بدمشـــق سنة ١١٨هـ . الاعلام ٤/ ٩٥ .

(٣) عاصم بن بهدلة، وقيل عاصم بن أبى النجود ،أحد القراء السبعة، كـــان ثقة فى القراءات، صدوقا فى الحديث . قيل : اسم أبيه عبيد ، وبهدلـــة اسم أمه . توفى بالكوفة سنة ١٢٧هـ . الاعلام ٣/ ٢٤٨ .

(٤) حمزة بن حبيب بن عامر، وقيل ابن عمارة بن اسماعيل التيمى ، الزيات، أحد القراء السبعة، قال الثورى : ماقرأ حمزة حرفا من كتاب الله الا بأثره، توفـــى بحلوان سنة ١٥٦هـ، وقيل ١٥٨ هـ . الاعلام ٢/ ٢٧٧ .

(٥) على بن حمزة بن عبد الله ،أبو الحسن الكسائى ،امام فى اللغة والنحـــو والقراءة ،له عدة تصانيف منها : " معانى القرآن " و " المصادر" و"الحروف" و " القراءات " وغير ذلك ،توفى بالرىّ سنة ١٨٩هـ . الاعلام ٤/ ٢٨٣ .

(٦) جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى : الاتقان فى علوم القـــرآن ، بيروت، دار الفكر ،د .ت، د ط، جـ٢ ص ١٧٤ .

وقيل هـو :

" علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها ، والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيّها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وعلم حلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها ... ".(١)

وقيل أيضا هـو :

"علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ".(٢)

وموضوع علم التفسير القرآن الكريم الذى هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.(٣)

وقد أيقن المسلمون بصدق الله سبحانه وتعالى حيث يصف القرآن فيقول :

﴿إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٤)

وأيقنوا أيضا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين يصف كتاب الله سبحانه وتعالى بقوله :

(فيه نبأ ماكان قبلكم ، وخبر مابعدكم وحكم مابينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾(٥) من قال به صدق ، ومن عمل

---

(١) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، ط٢ ، جـ٢ ص ١٤٨ .

(٢) محمد سلامة : منهج الفرقان ، جـ٢ ص ٦ ، نقلا عن أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٠٠ .

(٣) جلال الدين السيوطى ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ١٧٥ .

(٤) سورة الاسراء ، آية : ٩ . (٥) سورة الجن ، آية : ١ ، ٢ .

به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم"(١).

وأيقنوا أنهم لا يصلون الى كمال غايتهم من السعادة في الدنيا والآخرة الا بالعمل بتعاليم وتوجيهات القرآن الكريم، "لأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر الى العلوم الشرعية ... وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى"(٢).

والعمل بتعاليم القرآن وتوجيهاته لا يتأتى الا بعد فهم القرآن وتدبره. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٣)
وقال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٤)

والتفسير هو الذي عن طريقة يفهم كلام الله، وتعرف معانيه وأحكامه، والقرآن الكريم انما نزل بلسان عربي، وكان المسلمون الأوائل "يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الاكثر كسؤالهم لما نزل قوله تعالى ﴿ولم يلبسوا ايمانهم بظلم﴾ فقالوا وأينا لم يظلم نفسه، ففسره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك، واستدل عليه بقوله تعالى ﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾"(٥).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أيضا:

"يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه أصحابه، فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه ... ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وتداول ذلك التابعون من بعدهم، ونقل ذلك عنهم، ولم يزل متناقلا بين الصدر الأول والسلف حتى ... دونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك ونقلت

---

(١) الترمذي، جـ٢ ص ١٤٩ .
(٢) جلال الدين السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، مرجع سابق، جـ٢ ص ١٧٥ .
(٣) سورة ص، آية : ٢٩ .
(٤) سورة محمد، آية : ٢٤ .
(٥) جلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص ١٧٤ .

الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين ، وانتهى ذلك الى الطبرى والواقدى والثعالبى ... فكتبوا فيه ماشاء الله أن يكتبوه من الآثار "(١) .

والغرض من علم التفسير هو : "الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الحقيقية التى لا تفنى"(٢) .

وينقسم علم التفسير الى ثلاثة أقسام(٣) :

- التفسير بالرواية :

ويسمى التفسير بالنقل أو التفسير بالمأثور . وهو ماجاء فى القرآن الكريم ، أو السنة المشرفة ، أو كلام الصحابة رضوان الله عليهم ، بيانا لمراد الله تعالى ، فهو بذلك إما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن ، أو تفسير القرآن بالسنة أو تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم(٤) .

- التفسير بالدراية :

ويسمى التفسير بالرأى . وهو " مايعتمد فيه المفسر فى بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأى المجرد ، وليس منه الفهم الذى يتفق مع روح الشريعة ، ويستند الى نصوصها"(٥) .

وينقسم التفسير بالرأى الى قسمين(٦) :

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص ٤٣٩ .

(٢) جلال الدين السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص ١٧٥ .

(٣) محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٥) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن ، بيروت ، موسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ ، ط ٧ ، ص ٣٥١ .

(٦) محمد على الصابونى ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

١ - التفسير المحمــود :

" هو ماكان موافقا لغرض الشارع، بعيدا عن الجهالة والضلالة، متمشيا مــــع قواعد اللغة العربية معتمدا على أساليبها فى فهم النصوص القرآنية الكريمة ".(١)

فمن يفسر القرآن الكريم برأيه وهو ملتزما بهذه الأسس ،كان تفسيره جائزا وجديرا بأن يسمى التفسير المحمود.(٢)

٢ - التفسير المذمــوم :

هو " أن يفسّر القرآن بدون علم ،أو يفسره حسب الهوى ، مع الجهالة بقوانــين اللغة او الشريعة أو يحمل كلام الله على مذهبه الفاسد ، وبدعته الضالة،أو يخــوض فيما استأثر الله بعلمه ".(٣)

- التفسير بالإشــارة :

وهو الذى يسميه العلماء بالتفسير الإشارى . وهو " تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف مايظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكـــن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ".(٤)

وهناك شروط يجب أن تتوفر لقبول التفسير الإشارى ، وهذه الشروط هى :

" ١- أن لا يكون التفسير الإشارى منافيا للظاهر من النظم القرآنى الكريم .

٢- أن يكون له شاهد شرعى يوءيده .

٣- أن لا يكون له معارض شرعى أو عقلى .

٤ - أن لا يدعى أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر،

---

(١) محمد على الصابونى : التبيان فى علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) محمد حسين الذهبى :التفسير والمفسرون ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٦هـ، ط٢ ، ج٢ ص ٣٥٢ .

بل لا بد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولا ، اذ لا يطمع فى الوصول الى الباطن قبل إحكام الظاهر" (١).

ومعنى كون أن التفسير الإشارى مقبولا ، لا يعنى وجوب الأخذ به ، إنما يعنى عدم رفضه ، "لأنه غير مناف للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف وليس له ماينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية" (٢)، وعدم وجوب الأخذ به "فلأنه من قبيل الوجدانيات ، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند الى برهان ، وانما هى أمر يجده الصوفى من نفسه ، وسر بينه وبين ربه ، فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه ، دون أن يلزم به أحدًا من الناس سواه" (٣) *.

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة هم (٤): أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وأبىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن الزبير .

كما ظهرت للتفسير عدة مدارس منها (٥):

أ- مدرسة التفسير بمكة .

ب - مدرسة التفسير بالمدينة .

جـ - مدرسة التفسير بالعراق .

<u>ومن أهم كتب التفسير بالمأثور مايلى (٦):</u>

أ - جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى .

ب - بحر العلوم للسمرقندى .

---

(١) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٣٧٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٨ .

(٤) جلال الدين السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ١٨٧ .

(٥) محمد حسين الذهبى ، المرجع السابق ، جـ١ ص ١٠١-١١٨ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

* لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر : الذهبى : التفسير والمفسرون ، جـ٢ ص ٣٥٢ ومابعدها .

جـ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبى .

د ـ معالم التنزيل للبغوى .

هـ ـ المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .

و ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

ز ـ الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للثعالبى .

ح ـ الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى .

ومن أهم كتب التفسير بالرأى المحمود مايلى : (١)

أ ـ مفاتيح الغيب للرازى .

ب ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى .

جـ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى .

د ـ لباب التأويل فى معانى التنزيل للخازن .

هـ ـ البحر المحيط لابن حيان .

و ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى .

ز ـ تفسير الجلالين لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى .

ح ـ السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربينى .

ط ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود .

ى ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى .

ومن كتب التفسير بالرأى المذموم مايلى : (٢)

أ ـ تنزية القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار .

ب ـ أمالى الشريف المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد .

جـ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى .

---

(١) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، جـ١ ص ٢٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

ومن كتب التفسير الاشارى مايلـــى[(١)] :

أ ـ تفسير القرآن العظيم للتســترى .

ب ـ حقائق التفسير للسلمـــى .

جـ ـ عرائس البيان فى حقائق القرآن لأبى محمد الشيرازى .

هـ ـ علم الحديــــث :

ومن العلوم الجديدة التى ابتكرها المسلمون كذلك علم الحديث وهو : "علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم من حيث معرفة أحوال رواتها ، ضبطا وعدالة ، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك"[(٢)].

وقد اهتم المسلمون بهذا العلم ، لأن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تعتبر المصدر الثانى من مصادر التشريع لديهم بعد كتاب الله سبحانه وتعالــى . والمسلمون مطالبون بأن ينفذوا أوامر نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وذلـــك بأمر الله لهم ، قال تعالى :

((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُــذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْــهُ فَانْتَهُــــوا))[(٣)]

وقال : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـــــولَ))[(٤)]

كما أنهم مطالبون بأن يتمسكوا بسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وذلك بأمره صلى الله عليه وسلم حيث قال : (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ)[(٥)]. وقال أيضا : (أيها الناس انى تركت فيكـم

---

(١) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٣٧٩ .

(٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ؛ تدريب الراوى فى شـرح تقريب النواوى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة ، دار الكتـــب الحديثة ، ١٣٨٥هـ ، ط٢ ، جـ١ ص ٥-٦ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ٧ .

(٤) سورة محمد ، آية : ٣٣ .

(٥) رواه أبو داود والترمذى .

ما إن تمسكتم بـه فلـن تضلـوا أبـدا كتـاب الله وسـنتى)[١].

وقد حرص المسلمون منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم على حفظ السنة فى صدورهم ، والعمل على تطبيقها ونشرها فى مجتمعاتهم، وروايتها عند الحكم على نوازلهم وأحداثهم. واستمر الوضع على هذه الحالة حتى عصر الخلفاء الراشدين وكبار التابعين ، وكان كل رواة الحديث من الصحابة العدول أو من التابعين الثقاة، وعند أوائل المائة الثانية وجد من الرواة من كثر خطوءه، وكذلك ازدادت الأخطاء فى رواية الحديث بعد الخمسين والمائة فى عصر صغار التابعين وكبار أتباع التابعين ، ثم ظهرت الفرق السياسية، وانتشرت النحل والعصبيات، وظهر من يتعمد الكذب ترويجا لمذهبه ونحلته ، فاضطر علماء المسلمين إلى النظر والإجتهاد فى التفتيش عن الرواة ونقد الأسانيد[٢].

وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهرى، بأمر من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، ثم بعد ذلك كثر التدوين لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ثم التصنيف[٣].

وموضوع علم الحديث هو السند والمتن والغاية منه هى معرفة الأحاديث الصحيحة من غيرها ، وكذلك الفوز بسعادة الدارين[٤].

وينقسم علم الحديث الى قسمين :

- علم الحديث الخاص بالرواية :

وهو "علم يشتمل على أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وروايتها ، وضبطها وتحرير ألفاظها"[٥].

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) جلال الدين السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، مرجع سابق ، ص٣-٤ .

(٣) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى، مرجع سابق ، جـ١ ص ٢٠٨ .

(٤) جلال الدين السيوطى ، الاتقان فى علوم القرآن، مرجع سابق ، جـ ١ ص٤١ .

(٥) المرجع السابق ، جـ١ ص ٤٠ .

ـ علم الحديث الخاص بالدراية :

وهو "علم يعرف منه حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها وحال الرواة، وشروطهم وأصناف المرويات وما يتعلق بها" (١).

فحقيقة الرواية يقصد منها معرفة نقل الأحاديث ونحوها، وإسنادها الى من عزى إليه بتحديث أو إخبار أو غير ذلك، أما شروطها فهى أن يتحمل الراوى مايرويه بنوع من أنواع التحمل من سماع أو عرض أو إجازه ونحوها، أما أنواعها فهى إما متصلة أو منقطعة أو غير ذلك من الأنواع، وأحكامها هى القبول والرد، أما معرفة حال الرواة وشروطهم فيعنى معرفتهم من حيث العدالة والجرح، ومعرفة شروطهم فى التحمل والأداء، وكذلك معرفة أصناف المرويات ومايتعلق بها من حيث معرفة المصنفات من المسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها من الأحاديث والآثار، ومعرفة اصطلاح أهل كل نوع من أنواع المصنفات والمعاجم والأجزاء وماشابهها (٢).

ومن أشهر الكتب المصنفة فى علم الحديث :

١ ـ صحيح البخارى (٣).

٢ ـ صحيح مسلم (٤).

---

(١) جلال الدين السيوطى : تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، مرجع سابق، ج ١ ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٣) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى، ولد فى بخارى سنة ١٩٤هـ، وهو حبر الاسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم له عدة مصنفات منها : "الجامع الصحيح" و"الضعفاء" و "خلق أفعال العباد" و "والأدب المفرد"، توفى سنة ٢٥٦هـ . الاعلام ٦/ ٣٤ .

(٤) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤هـ، وهو من أئمة المحدثين، له عدة مصنفات منها "صحيح مسلم" و "المسند الكبير" و "الأقران" و "مشايخ الثورى" و "تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة" و "كتاب أولاد الصحابة" و "أوهام المحدثين" ... الخ ، توفى سنة ٢٦١هـ . الأعلام ٧/ ٢٢١ .

٣ - سنن أبى داود (١).

٤ - سنن الترمـذى (٢).

٥ - سنن النسائـى (٣).

٦ - سنن ابن ماجه (٤).

نشاط حركة الترجمـة :

كانت العناية فى صدر الاسلام من قِبَل المسلمين تقتصر على علوم الدين واللغة العربية، ونتيجة للفتوحات الإسلامية التى قام بها المسلمون حدث إحتكاك العرب المسلمين بغيرهم من شعوب البلاد المفتوحة، وبعد أن استقرت أمور الحكم فى أيدى المسلمين، وكثرت الأموال ونشطت التجارة، أخذ العرب المسلمون يتأملون

(١) هو سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدى السجستانى، ولد سنة ٢٠٢هـ، وهو إمام أهل الحديث فى زمانه، له عدة مصنفات من أهمهـا : "السنن" و "المراسيل" و "كتاب الزهد" مخطوط،..الخ، توفى بالبصرة سنة ٢٧٥هـ . الأعلام ٣/ ١٢٢ .

(٢) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذى، ولد سنة ٢٠٩هـ، وهو من أئمة علماء الحديث وحفاظه، تتلمذ للبخارى، وشاركه فى بعض شيوخه، وكان يضرب به المثل فى الحفظ، من تصانيفه "الجامع الكبير" المعروف بصحيح الترمذى، و"الشمائل النبوية" و "التاريخ" و "العلل" فى الحديث، توفى بترمذ سنة ٢٧٩هـ . الاعلام ٦/ ٣٢٢ .

(٣) هو أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائى القاضى الحافظ شيخ الاسلام، ولد سنة ٢١٥هـ، من تصانيفه "السنن الكبرى" فى الحديث، و"المجتبى" و هو السنن الصغرى، و "الضعفاء والمتروكون" فى رجال الحديث، و"خصائص على" و "مسند على" و "مسند مالك" وغير ذلك.. توفى سنة ٣٠٣هـ . الاعلام ١/ ١٧١ .

(٤) هو محمد بن يزيد الربعى القزوينى، أبو عبد الله، ابن ماجه، أحد الائمة فى علم الحديث، له عدة مصنفات منها "سنن ابن ماجه" و "تفسير القرآن" و "تاريخ قزوين" . توفى سنة ٢٧٣هـ . الاعلام ٧/ ١٤٤ .

فى ثقافات وحضارات الشعوب التى دانت لحكمهم من فرس وروم وأقباط وسريان.(١)
ونتيجة لهذا التأمل فان أول مابدأ به العرب المسلمون هو نقل علوم السابقين ، وذلك لشعورهم بأنهم فى حاجة ماسة إلى علومهم، وخاصة العقلية ذات الأثر المادى فى حياتهم كالطب والفلك والرياضة ، وهذا أمر مسلم به حيث إن العلوم العقلية تحتاجها الشعوب فى بداية نهضتها ،لأن بناءها العلمى والحضارى يتطلب هذا النوع من العلوم.(٢)

وبذلك فان النهضة العلمية التى احتضنها المسلمون ورعوها وطوروها تعتمد جل الاعتماد على الدراسات التى قام بها غيرهم ، والتى قاموا بنقلها الى لغتهم العربية(٣) ، بعد تنقيحها وترتيب علومها وشرحها والتعليق عليها ، وحذف ما لا تستسيغه عقولهم لمخالفته عقيدتهم الإسلامية ، وإضافة ماتوصلوا اليه من تجاربهم وخبراتهم.(٤)

واعتبر المترجمون حلقة الإتصال بين العرب المسلمين وعلوم غيرهم من الشعوب، وبمساعدتهم وعن طريقهم نقلت علوم اليونان والسريان والقبط والفرس والهنود الى اللغة العربية.(٥) وكانت عملية الترجمة تعتمد فى دقتها وأمانتها على تمكن المترجمين من اللغة العربية واتقانهم للغات الأجنبية التى ينقلونها.(٦)

---

(١) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية ،القاهرة ، دار المعارف ، ١٤٠٣هـ ،ص ٣٢ .

(٢) محمد الصادق عفيفى : تطور الفكر العلمى عند المسلمين ،القاهرة، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٦م،د .ط،ص ٤٠ .

(٣) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ـ نظمها ـ فلسفتها ـ تاريخها ،القاهرة، مكتبة النهضة ، ١٩٨٢م،ط٧،ص ١٦٢ .

(٤) أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ،ص ٣٢ .

(٥) أحمد شلبى : المرجع السابق ،ص ١٦٢ .

(٦) أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ،ص ٣٢ .

ويعتبر خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ)[١] أول من ترجمت له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء.[٢] ولكن الترجمة وصلت قمتها في بيت الحكمة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد،[٣] ومن بعده في عهد الخليفة المأمون،[٤] حيث إن الأول عين في بيت الحكمة طائفة كبيرة من المترجمين، وجلب اليها الكتب من بلاد الروم.[٥] ومن أشهر المترجمين في بيت الحكمة في عهد هارون الرشيد الفضل بن نوبخت،[٦] حيث إنه كان ينقل من الفارسي إلى العربي،[٧] ويوحنا بن ماسوية[٨] الذي قلده الرشيد

---

(١) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، حكيم قريش وعالمها في عصره، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم، كان موصوفا بالعلم والدين والعقل. توفي بدمشق سنة ٨٥هـ وقيل سنة ٩٠هـ. الاعلام ٢/ ٣٠٠.

(٢) محمد بن اسحاق بن النديم: الفهرست، بيروت، دار المعرفة، د.ت، د.ط، ص ٤٩٧.

(٣) هارون الرشيد، ابن محمد المهدي، ابن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، ولد بالري عام ١٤٩هـ، كان عالما بالأدب، وأخبار العرب والحديث والفقه، توفي سنة ١٩٣هـ. الاعلام ٨/ ٦٢.

(٤) هو عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وهو سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، ولي الخلافة بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ، فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة، توفي سنة ٢١٨هـ. الاعلام ٤/ ١٤٢.

(٥) سعيد اسماعيل علي: معاهد التربية الاسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦م، د.ط، ص ٥٧.

(٦) أبو سهل الفضل بن نوبخت، فارسي الأصل، كان يعمل في خزانة الحكمة لهارون الرشيد، له عدة مصنفات منها "كتاب الفأل النجومي" و"كتاب المواليد" وغير ذلك. الفهرست ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٧) محمد بن اسحاق بن النديم، مرجع سابق، ص ٣٨٢.

(٨) يوحنا بن ماسوية، أبو زكريا: من علماء الأطباء، عهد اليه الرشيد مع غيره بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، في انقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم، وجعله أمينا على الترجمة، توفي بسامرا سنة ٢٤٣هـ.

ترجمة الكتب القديمة التى وجدت بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين فتحهـــا المسلمون ، ووضعه أمينا على الترجمة [١] .

أما المأمون فقد كان عالما مثقفا ، فأولى النهضة العلمية عناية كبيرة ، حيث إنـه سعى فى الحصول على عدد ضخم من كتب القدماء ، فوفق فى الحصول على مجموعات نادرة من هذه الكتب ، فقام بوضعها فى بيت الحكمة وعين نخبة من خيرة المترجمين لينقلوها الى اللغة العربية [٢] ، منهم سلم [٣] ، اسحاق بن حنين [٤] ، وعمر بن الفرخان [٥] ، وحنين بن اسحـاق [٦] .

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د .ت ، د .ط ، ص ٢٤٦ .

(٢) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

(٣) اشتهر بسلم صاحب بيت الحكمة ، كان يعمل مع سهل بن هارون فى خزانة بيت الحكمة ، وله نقول من الفارسى الى العربى . الفهرست ص ١٧٤ .

(٤) هو اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادى ، طبيب مترجم ، أفاد العربية بما نقله اليها من كتب الحكمة وشروحها . ألف كتبا كثيرة من أهمها : " الادوية المفردة " و " آداب الفلاسفة ونوادرهم " و " تاريخ الأطبــاء " . وكان عارفا باليونانية والسريانية ، فصيحا بالعربية ، توفى ببغداد سنـة ٢٩٨هـ . الاعلام ١/٢٩٤ .

(٥) هو ابو حفص عمرو بن حفص ، المفسر لكتاب الأربعة لبطليموس ، وله من الكتب : كتاب المحاسن ، كتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم فى خطوط الكواكب . الفهرست ، ص ٣٨١ .

(٦) حنين بن اسحاق العبادى ، أبو زيد : طبيب ، موءرخ ، مترجم ، يجيـــد اليونانية والسريانية والفارسية ، جعله المأمون رئيسا لديوان الترجمـــة ، وكان المأمون يعطية من الذهب زنة ماينقله الى العربية من الكتـــب . توفى ببغداد سنة ٢٦٠هـ . الاعلام ٢/٢٨٧ .

ومـــــن أشهر المترجمين الذين نقلوا الى العربية :

١ - ثابت بن قـــــرة .(١)

٢ - قسطا بن لوقا البعلبكى .(٢)

٣ - أبو زكريا يحيى بن عدى .(٣)

ولم تقتصر عملية الترجمة على مايبذله الخلفاء عليها من أموال ، بل إن بعـــض الأفراد اهتموا بالترجمة إهتماما كبيرا ، ومن أمثال هوءلاء بنو شاكر ؛(٤) فقد كـــان

---

(١) ثابت بن قرة بن زهرون الحرانى ، طبيب حاسب فيلسوف ، ولد ونشأ بحران (بين دجلة والفرات) ، يجيد السريانية واكثر اللغات الشائعة فى عصره ، له مصنفات كثيرة من أشهرها " الذخيرة فى علم الطب" و " المبانى الهندسية" و " طبائع الكواكب" و " علة الكسوف والخسوف " وغير ذلك ، توفى فى بغداد سنة ٢٨٨ هـ . الأعلام ٢/ ٩٨ .

(٢) قسطا بن لوقا البعلبكى : فيلسوف رياضى ، رومى الأصل ، كان فصيحـــا باليونانية ، جيد العبارة بالعربية ، ترجم كثيرا من الكتب القديمة ، ولـــه تصانيف كثيرة منها " الفلاحة اليونانية" و " الأوزان والمكاييل" و " تدبـــير الأبدان فى السفر" و " البلغم وعلله " وغير ذلك . توفى فى أرمينية سنـــة ٣٠٠ هـ تقريبا . الأعلام ٥/ ١٩٦، ١٩٧ .

(٣) يحيى بن عدى بن حميد بن زكريا ، أبو زكريا : فيلسوف حكيم ، انتهت اليه الرياسة فى علم المنطق فى عصره ، وترجم عن السريانية كثيرا الى العربية ، له مصنفات كثيرة منها " تهذيب الأخلاق " و " شرح مقالة الاسكندر" فـــى الفرق بين الجنس والمادة ، ومما ترجمه عن السريانية الى العربيـــــة " النواميس " لأفلاطون ، و " مابعد الطبيعة " . توفى ببغداد سنة ٣٦٤هـ ، الاعلام ٨/ ١٥٦ .

(٤) وهم : محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر . وهوءلاء الأبناء ممن تناهى فى طلب العلوم القديمة ، وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا الى بلد الروم من أخرجهم اليهم ، فأحضروا النقلة من الأصقاع بالبذل السَنى ، فأظهـــروا عجائب الحكمة ، وكان الغالب عليهم من العلوم : الهندسة ، والحيـــل والحركات والموسيقى والنجوم . الفهرست ، ص ٣٧٨، ٣٧٩ .

لهم مترجمون ينقلون لهم ويلازمون العمل فى مكتبتهم، ومنهم حبيش بن الحسن (١)، وثابت بن قرة (٢). ويقول أبو معشر (٣): " حذاق الترجمة فى الاسلام أربعة حنين بن اسحاق، ويعقوب بن اسحاق الكندى (٤)، وثابت بن قرة، وعمر بن الفرخان الطبرى (٥) ".

ويعتبر هذا النشاط الضخم فى مجال الترجمة من قِبل الخلفاء والأفراد الذى شهدته الأرض الإسلامية من العوامل الرئيسية التى بذرت بذور الإبتكار والإبداع فى المجالين الثقافى والعلمى لدى مفكرى المسلمين، وذلك بما قدمته لهم من معين هائل أتاح لهم فرصة الإنطلاق فى مجالات جديدة، وأيضا أتاح لهم تكملة مابدأه المفكرون السابقون فى مختلف العلوم (٦).

---

(١) حبيش بن الحسن الدمشقى، ويعرف بحبيشى الأعسم، وهو ابن أخت حنين بن اسحاق، ومنه تعلم صناعة الطب. قال عنه حنين بن اسحاق: ان حبيشا زكى مطبوع على الفهم.. عيون الأنباء ص ٢٧٦.

(٢) أحمد شلبى: التربية الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٣) هو جعفر بن محمد البلخى، عالم فلكى مشهور، كان أولا من أصحاب الحديث، تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره، وكان اعلم الناس بتاريخ الفرس وأخبار سائر الأمم، له تصانيف كثيرة منها " كتاب الطبائع " و " الدول والملل " و " الملاحم " وغير ذلك، توفى بواسط سنة ٢٧٢هـ.
الفهرست، ص ٣٨٦، ٣٨٧. الاعلام ١٢٧/٢.

(٤) يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى، يسمى فيلسوف العرب، نشأ فى البصرة. وانتقل الى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. وألف وترجم وشرح كتبا كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة. توفى نحو عام ٢٦٠هـ.
الفهرست ص ٣٥٧، عيون الانباء ص ٢٨٥، الأعلام ١٩٥/٨.

(٥) محمد بن اسحاق بن النديم: الفهرست، مرجع سابق، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٦) سعيد اسماعيل على: معاهد التربية الاسلامية، مرجع سابق، ص ٥٤.

كما أن حركة الترجمة مكنت المفكرين المسلمين أن يسدوا كثيرا من وجوه النقص الذى شعروا به أثناء قراءتهم للانتاج الفكرى المترجم ، ومكنتهم أيضا من أن يقفوا بين نتائج وصل اليها السابقون ونتائج انتهى اليها المسلمون حسب عقيدتهم ، ونتيجة لهذا كله ازدهرت الحركة العلمية الاسلامية وانتقلت من طور الترجمة واستيعاب العلوم القديمة الى مرحلة التأليف العلمى والابتكار الأصيل (١) .

٣ : انشاء المدارس العلمية (٢) :

لم تظهر المدارس العلمية التى يتلقى فيها الطلاب العلوم بانتظام لدى المسلمين فى وقت مبكر ، وهذا لا يعنى أن المسلمين لم يعرفوا العلم والتعليم إلا فى وقت متأخر ، بل إن المسلمين عرفوا التعليم والمؤسسات التربوية منذ نزول الوحى على سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث تعتبر دار الأرقم بن أبى الأرقم أول مؤسسة تربوية فى الإسلام ، كما تعتبر هى والمسجد النواتان الأوليان للمدرسة فى الإسلام . وقبل إنتشار المدارس العلمية كانت تعقد حلقات العلم فى أمكنة مختلفة كالمساجد والكتاتيب وقصور الخلفاء والأمراء ، ومنازل العلماء والمكتبات ، ودكاكين الوراقين (٣) . وكانت المساجد تقوم بالدور الأكبر المنتظم فى نشر العلم ، حيث إن وظيفتها لم تقتصر على إقامة الصلاة فقط ، وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية ورسالة التعليم (٤) .

---

(١) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٢) يقصد بالمدارس فى التاريخ الاسلامى " تلك الدور المنتظمة التى يأوى اليها طلاب العلم ، وتدر عليهم فيها الأرزاق ، ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء يوسع عليهم فى الرزق "
انظر : سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى ، ص ١٢٩ .

(٣) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٩ - ١١٢ .

(٤) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى ، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٨م ، د . ط ، ص ٩٨ .

وعند ما ازداد الإقبال على حلقات العلم في المساجد ازداد عدد الحلقات في المسجد الواحد ، ونتيجة لهذا الإزدياد ازدادت أصوات المدرسين والطلاب مما أدى الى إحداث الضجيج في المساجد ، وبالتالي فإنه يؤثر على أداء الصلاة في المساجد على وجهها المطلوب .(١) ومن ثم ظهرت الحاجة إلى إنشاء أماكن أخرى للتدريس. وكذلك عند ما ازداد الإنفتاح العلمي لدى المسلمين على الثقافات الأجنبية ، تعرفوا على علوم لم تكن معروفة لديهم كالعلوم الطبيعية والكيميائية والرياضية وغيرها ، وأصبحت الحاجة لديهم ماسة لدراسة هذه العلوم ، وذلك بدافع من عقيدتهم الإسلامية ، ومثل هذه العلوم لا يمكن أن تدرس في المساجد لأنها تحتاج أثناء تدريسها إلى إستخدام بعض الأجهزة والآلات وبالتالي كان لزاما أن تخصص لها أماكن خاصة لمهمة التعليم فقط .(٢) فأنشئت المدارس العلمية التي تقوم بمهمة التعليم المنظم والمنتظم ، وكان يدرس بهذه المدارس العلوم الدينية والعربية ، وكذلك مختلف العلوم .

وهذا لا يعني أن المدارس لم تصبغ بالصبغة الدينية المذهبية ، بل إن الزعامات السياسية ـ كالسلاجقة والأيوبيين ـ كانت تعتني بنشر وتعليم مذاهب أهل السنة ، وذلك بدافع من عقيدتهم الاسلامية ، ليقاوموا المذاهب الأخرى المحرفة ، وبجانب تعلم فقه المذاهب الأربعة كانت تدرس معظم أنواع العلوم والفنون ، وهذا مما يؤكد أن عناية المسلمين بالعلوم والمعارف المختلفة لا تقل عن عنايتهم بعلوم الدين واللغة ، وخير شاهد على هذا ما أقاموه من مراصد وما أجروه من تجارب علمية تطبيقية ، وما ألفوه من كتب علمية في مختلف أنواع العلوم .(٣)

---

(١) أحمد شلبي : التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .

(٢) سعيد اسماعيل علي : معاهد التعليم الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

(٣) سعيد الديوه جي : التربية والتعليم في الاسلام ، الموصل ، مكتب التراث العربي ، د . ت ، د . ط ، ص ٨٣ .

وكانت بداية إنشاء المدارس العلمية المنظمة لدى المسلمين في القرن الرابع الهجري بخراسان ، ثم أسس الوزير نظام الملك (١) في بغداد المدرسة النظامية في منتصف القرن الخامس الهجري ، وبعد ذلك أسس لها فروعا في نيسابور وبلخ وهراة وأصبهان والبصرة ، ثم إن الملكين نور الدين زنكي (٢) وصلاح الدين الأيوبي (٣) قد أقبلا على تأسيس المدارس بالشام ومصر (٤) .

ومن أشهر المدارس التي أنشئت في العالم الاسلامي منذ بدء إنشاء المدارس مايلي :

(أ) مدارس بغداد :

تحدث ابن جبير عن مدارس بغداد فقال : " والمدارس بها نحو الثلاثين ،

---

(١) هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، ولد بطوس سنة ٤٠٨ هـ ، كان وزيرا للملك ألب أرسلان وولده ملكشاه ، واستمر في الوزارة تسعا وعشرين سنة ، كان من خيار الوزراء ، بنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرهما. اغتيل في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥ هـ . ابن كثير ١٢ / ١٤٠ .

(٢) هو نور الدين محمود بن الملك عماد الدين زنكي ، ولد بحلب عام ٥١١ هـ ، كان شهما شجاعا ذا همة عالية ، وقصد صالح ، بنى بدمشق مارستانا لم يبن في الشام قبله مثله ، واوقف أوقافا كثيرة على من يعلم الأيتام القراءة والكتابة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى المجاورين بالحرمين . قال عنه ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ، ولا اكثر تحريا للعدل والانصاف منه ، مات سنة ٥٦٩ هـ بدمشق .
ابن كثير ١٢ / ٢٧٧ ومابعدها .

(٣) هو يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر ، صلاح الدين الأيوبي ، ولد بتكريت سنة ٥٣٢ هـ ، كان رقيق النفس والقلب ، على شدة بطولته ، رجل سياسة وحرب بعيد النظر ، متواضعا مع جنده وأمراء جيشه ، استرد بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ ، توفي بدمشق سنة ٥٨٩ هـ .
ابن كثير ١٣ / ٢ ومابعدها . الاعلام ٨ / ٢٢٠ .

(٤) محمد الصادق عفيفي : تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٥٧ - ٥٨ .

وهى كلها بالشرقية ، ومافيها مدرسة إلا وهى يقصر القصر البديع عنهـــــا" (١) .

ومن أشهر مدارس بغداد :

ـ المدرسة النظاميـــة :

وهى التى أنشأها الوزير نظام الملك أبو على الحسن بن على بن اسحـــاق الطوسى ، وزير عضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود ، وقد كان وزير صدق يكرم العلماء والفقراء ، وقد شرع البناء فيها فى ذى الحجة سنة ٤٥٧هـ ، وأنتهى إعمارها فى سنة ٤٥٩هـ ، وبدأ التدريس فيها يوم السبت عاشر ذى القعدة (٢) .

ـ المدرسة الشرابيـــة :

وتنسب هذه المدرسة إلى إقبال الشرابى ، وتقع بسوق العجم ببغداد ، وافتتحت هذه المدرسة فى عام ٦٢٨هـ ، وحضر اقبال الشرابى أول درس ألقى بها ، وقـــد حضر افتتاح هذه المدرسة جميع المدرسين والمفتيين ببغداد . وقد عين فـــى هذه المدرسة خمسة وعشرين فقيهـــا (٣) .

ـ المدرسة المستنصريـــة :

أمر ببناء هذه المدرسة الخليفة المستنصر بالله العباسى ـ ت ٦٤٠هـ ـ أمـــير المؤمنين أبى جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد . وتعتبر هـــذه المدرسة من المدارس الضخمة ، حتى قيل إنه لم تبن مدرسة قبلها مثلها (٤) .

وقد اكتمل بناء هذه المدرسة سنة ٦٣١هـ ، " ووقفت على المذاهب الأربعـــة من كل طائفة اثنان وستون فقيها ، وأربعة معيدين ، ومدرس لكل مذهب ، وشيـــخ

---

(١) محمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ) : رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٠هـ ، د . ط ، ص ٢٠٥ .

(٢) اسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، بيروت ، مكتبـــة المعارف ، ١٩٧٧م ، ط٢ ، جـ١٢ ص ٩٠ - ٩٥ .

(٣) المرجع السابق ، جـ١٣ ص ١٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، جـ١٣ ص ١٣٩ .

حديث، وقارئان وعشرة مستمعين ، وشيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ومكتب للأيتام "(١). وفي داخل المدرسة حمام للطلبة ودار للوضوء (٢).
وقد حضر افتتاح هذه المدرسة الخليفة المستنصر بالله في يوم الخميس خامس رجب سنة ٦٣١هـ، وحضر معه رجال دولته من الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء (٣).
وقد وقفت على هذه المدرسة خزائن كتب لم يسمع بمثلها من قبل في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة فيها (٤).

(ب) مدارس دمشق :

ذكر ابن جبير أن في دمشق " نحو عشرين مدرسة "(٥)، وأن أشهر مدارسها مدرسة نور الدين - النورية الكبرى - حيث إنها تعتبر في ذلك الحين من أحسن مدارس الدنيا وقد وصفها ابن جبير بقوله : " وهي قصر من القصور الأنيقة، ينصب فيها الماء في شاذروان وسط نهر عظيم ، ثم يمتد الماء في ساقية مستطيلة إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار ، فتحار الأبصار في حسن ذلك المنظر، فكل من يبصره يجدد الدعاء لنور الدين (٦) "(٧).

ومن أشهر مدارس دمشق :

- المدرسة المعينية :

تقع المدرسة المعينية داخل باب الفرج بدمشق، وقد أوقفها معين الدين بن

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، جـ١٣ ص١٣٩ .
(٢) محمد بن عبد الله اللواتي : رحلة ابن بطولة، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، بيروت ، دار احياء العلوم ، ١٤٠٧هـ ، جـ١ ص٢٣٤ .
(٣) ابن كثير ، المرجع السابق ، جـ١٣ ص١٣٩ - ١٤٠ .
(٤) المرجع السابق ، جـ١٣ ص١٤٠ .
(٥) محمد بن احمد بن جبير : رحلة ابن جبير ، مرجع سابق ، ص٢٥٥ .
(٦) سبق ترجمته .
(٧) محمد بن احمد بن جبير ، المرجع السابق ، ص٢٥٦ .

أتابك العساكر (ت ٥٤٤هـ) وكان أحد مماليك طغتكين، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين[١].

- المدرسة الرواحية :

أنشأها بدمشق أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحه (ت ٦٢٣هـ) وكان من تجار دمشق، وقد فوض تدريسها الى الشيخ تقى الدين بن الصلاح السهرزورى[٢].

- المدرسة الأتابكية :

أوقفتها بالصالحية بجبل قاسيون بدمشق خاتون بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى آقسنقر الأتابكية (ت ٦٤٠هـ) كانت زوجة السلطان الملك الأشرف رحمه الله[٣].

- المدرسة الصاحبية :

أنشأتها بسفح قاسيون بدمشق الخاتون ربيعة خاتون بنت أيوب أخت ست الشام، وهى أخت السلطان صلاح الدين الأيوبى (ت ٦٤٣هـ) وعمرها أكثر من ثمانين سنة[٤].

- المدرسة الناصرية :

أوقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازى بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى فاتح بيت المقدس، وتقع داخل باب الفراديس بدمشق، وقد بدأ فيها التدريس سنة ٦٥٤هـ. وقد حضر افتتاح هذه المدرسة واقفها ومعه أمراء الدولة والعلماء وجمهور من أهل الحل والعقد بدمشق[٥].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، مرجع سابق، جـ١٢ ص ٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، جـ١٣ ص ١١٦ .

(٣) المرجع السابق، جـ ١٣ ص ١٦١-١٦٢ .

(٤) المرجع السابق، جـ١٢ص ٣١٧، جـ١٣ ص ١٢٨، ١٧٠ .

(٥) المرجع السابق، جـ١٣ ص ١٩٣ .

(جـ) مدارس القاهـــرة :

يقول ابن بطوطه عن مدارس مصر : " وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحــد بحصرها لكثرتها "(١) ، وقد أورد المقريزى فى كتابه الخطط اكثر من سبعين مدرسة (٢) .

ومن أشهر مدارس القاهـــرة :

- المدرسة الناصريـــة :

أمر بانشاء هذه المدرسة السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب حينما كان وزيرا على مصر فى خلافة العاضد ، وتعتبر المدرسة الناصرية من أوائل المدارس التى عملت بديار مصر ، وتقع بجوار الجامع العتيق بمصر ، وقد بدأ العمل فى انشائها فى أول محرم سنة ٥٦٦ هـ (٣) .

- المدرسة القطبيـــة :

أنشأها الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهدبانى ، فى سنة ٥٧٠ هـ ، وهو أحد أمراء السلطان صلاح الدين بن يوسف (٤) .

- المدرسة السيوفيـــة :

أنشأ هذه المدرسة الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن أيوب ، سنة ٥٧٢ هـ . وسميت هذه المدرسة بالسيوفية لأن سوق السيوفيين كان حينئذ على بابهـــا (٥) .

- المدرسة الفاضليـــة :

أمر ببناء هذه المدرسة القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بالقاهرة

---

(١) محمد بن عبد الله اللواتي : رحلة ابن بطوطه ، مرجع سابق ، جـ١ ص ٥٦ .
(٢) أحمد بن على المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . المعروف بالخطط المقريزية ، بيروت ، دار صادر ، د . ت ، د . ط ، جـ٢ ص٣٦٢ - ٤٠٣ .
(٣) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٣٦٣ .
(٤) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٣٦٥ .
(٥) المرجع السابق ، جـ٢ ص ٣٦٥ .

سنة ٨٠٥هـ، وأوقف بهذه المدرسة مجموعة كبيرة من الكتب المفيدة في سائر العلوم ويقال أنها كانت مائة الف مجلد (١).

ـ المدرسة المحمودية :

أمر بانشاء هذه المدرسة الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستادار في سنة ٧٩٧هـ، وتقع خارج باب زويلة، وقد عمل فيها خزانة كتب كبيرة، تضم معظم الكتب الاسلامية في مختلف الفنون، وتعتبر هذه المدرسة من أحسن مدارس القاهرة في ذلك الوقت (٢).

٤ : انشاء المكتبات :

" في أقل من خمسين عاما منذ آخر الدولة الأموية إلى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قد دونت ونظمت سواء في ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحديث والفقه وأصوله، وعلوم اللغة والأدب على اختلافها، والعلوم العقلية من علوم الرياضيات والمنطق والفلسفة والكلام " (٣).

وكل هذا راجع إلى فهم تطبيق تعاليم العقيدة الاسلامية من قِبَل المسلمين في ذلك الوقت، لأن العقيدة الإسلامية قد حثت معتنقيها على طلب العلم ورغبتهم في السعي إليه، فأحب المسلمون العلم حبا شديدا وسعوا في طلبه. وقد أُنتج هذا الحب الشديد للعلم ـ الناتج عن تعاليم العقيدة الاسلامية ـ ثمرات كثيرة لعل من أهمها تلك النهضة العلمية الضخمة التي تميز بها المسلمون في تلك العصور عن غيرهم.

---

(١) أحمد بن علي المقريزي : الخطط المقريزية، مرجع سابق، جـ٢ ص ٣٦٦.

(٢) المرجع السابق، جـ٢ ص ٣٩٥.

(٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، ط.١، جـ٢ ص ١٩.

والواقع أن النهضة العلمية التى بدأها الاسلام وتبناها المسلمون كانت هى السبب الرئيسى فى اهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات [١].

ولقد بلغ تقدير المسلمين وحبهم للكتاب مبلغا عظيما لدرجة أنه أصبح لديهم بمثابة سفير السلام أثناء الحروب والفتوحات التى كانوا يقومون بها ، والمعاهدات التى كانوا يبرمونها بينهم وبين خصومهم ، واعتبر شرطا من شروط الصلح [٢]. ويتضح ذلك عندما انتصر الخليفة هارون الرشيد فى عمورية وأنقرة ، طالب القائمين على هذه الأماكن بتسليمه المخطوطات اليونانية الموجودة لديهم آنذاك .

وكذلك نجد الخليفة المأمون يطالب عقب انتصاره على البيزنطى ميخائيل الثالث بتسليم جميع المخطوطات اليونانية الخاصة بالفلسفة ، ولو لم تترجم بعد ، كتعويض للخسارة التى حدثت نتيجة هذه الحرب ، لأنها كما يقول بأنها ـ أى المخطوطات ـ الأسلحة العقلية التى يتسلح بها فى سبيل الأمن والسلام [٣].

وقد ظهرت المكتبة فى الاسلام ونمت وتطورت نتيجة عاملين أساسيين [٤]:

العامل الاول :

تفاعل المسلمين وتأثرهم بالحضارات السابقة لحضارتهم ، وبالتقاليد العلمية السائدة فى البلاد المفتوحة كبلاد الرافدين وسوريا ومصر ، وهذا أمر طبيعى ذلك أن المشرق يعتبر مركز الحضارات ، وقد بدأت به أعظم الحضارات الانسانية وأعرقها وفيه وجدت أقدم المكتبات فى العالم قبل وجودها فى الغرب بألوف السنين ، فمكتبات معابد مصر وبلاد الرافدين شهيرة ، ولعل أشهرها مكتبة آشور بانيبال

---

(١) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ ، ط٥ ، ص٢٧ .

(٢) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٢ .

(٣) المرجع السابق ، نقلا عن عبد ربه محمد : مكانة الكتاب عند العرب ، ص ٤٥ .

(٤) محمد ماهر حمادة ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

التى حوت (٦٠٠) ألف لوحة فخارية فى نينوى عاصمة الامبراطورية.[١]

ويجب أن نوضح هنا أن المسلمين لم يكونوا مقلدين حرفيين لفنون وعلوم الحضارات السابقة لهم ، بل كانوا مبتدعين ومبدعين فى اقتباسهم لفنون الحضارات السابقة لهم.[٢]

العامل الثانى :

وهو الأهم ، وهو عامل ذاتى منبعث من العقيدة الاسلامية ، وهو يتمثل فى موقف العقيدة الإسلامية من العلم،[٣] حيث إن النهضة العلمية الشاملة التى حدثت فى العالم الإسلامى بمظاهرها المختلفة إنما نبعت وبالدرجة الأولى من حض العقيدة الاسلامية معتنقيها على العلم والتعلم ، وكانت هى السبب الرئيسى فى إهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات.[٤]

وعندما تجمعت لدى الخلفاء المسلمين أعدادا كبيرة من الكتب التى أُلفت والتى ترجمت من لغات مختلفة ، قرروا جمع هذه الكتب فى أماكن خاصة ، سميت (بيت الحكمة) أو (دار الحكمة) أو (خزانة الحكمة) وكلها بمعنى واحد يراد بها المكان الذى توضع فيه الكتب العلمية المختلفة،[٥] فعل الخلفاء هذا العمل حبا فى نشر العلم بين كافة الطبقات غنيها وفقيرها ليتيسر لكل فرد أن ينال قسطه من الثقافة . وذلك أن كتب الحكمة كانت عزيزة المنال ، لأنها غالية الثمن ، ولا يستطيع الفقير أن يحصل عليها ، فأودعواهم والعلماء ما اجتمع لديهم من كتب الحكمة فى الأماكن المخصصة لها ، وفتحوا أبوابها لكل قاصد ، ويسروا للناس أمر

---

(١) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٥) أحمد على الملا : أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوربية ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ ، ط٢ ، هامش ص ٥٦ .

الترجمة والدرس والإستنساخ والمطالعة والنقد ، فعلوا هذا خدمة للعلم وحبا في نشره بدافع من عقيدتهم الاسلامية ، وذلك لكي يقف المسلمون على حقائق الأمور ونتاج أفكار الأمم التي سبقتهم في النواحي العلمية والحضارية .(١)

ولم يقتصر الإهتمام بالكتب من قِبَل الخلفاء فقط، بل تعداه الى الأشخاص فقد " فضل الصاحب بن عباد أن يبقى بجانب كتبه على أن يتولى أعظم المناصب في بلاط نوح بن منصور الساماني ، ذلك أنه مولع بمكتبته ، فلا هو يستطيع الذهاب بدونها ولا هو يستطيع حملها معه فآثر أن يبقى بجانبها ".(٢)

بهذه الروح العلمية الناتجه عن التمسك بالعقيدة الاسلامية ، التي تحض معتنقيها على العلم شغف المسلمون بالكتب وجمعها ، حتى انهم كانوا يتنافسون في شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها عقب الإنتهاء من تأليفها . " وقد نشأ عن هذه الروح العلمية إنتشار المكتبات في شتى أنحاء العالم الاسلامي فقلما كانت مدرسة ليس بجانبها مكتبة ، وقلّ أن تجد قرية صغيرة ليس فيها مكتبة ، أما العواصم والمدن فقد كانت تغص بدور الكتب بشكل لا مثيل له في تاريخ العصور الوسطى ".(٣)

<u>ومن أشهر المكتبات التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي :</u>

* بيت الحكمة :

وضع نواة بيت الحكمة في بغداد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور،(٤) ووسعه

---

(١) أحمد على الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ، مرجع سابق ، هامش ص ٥٧ .

(٢) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، دمشق ، بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢هـ ، ط٣ ، ص ١٥٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن على بن العباس ، أبو جعفر المنصور : ثاني خلفاء بني العباس ، وأول من عني بالعلوم من ملوك العرب ، كان عارفا بالفقة والأدب ، محبا للعلماء ، توفي بمكة وهو محرم للحج سنة ١٥٨هـ . الاعلام ١١٧/٤ .

الخليفة هارون الرشيد ، وعظم شأن بيت الحكمة فى عهد الخليفة المأمون .(١)

وكان يضم بيت الحكمة معظم الكتب التى ألفها العلماء والأدباء فى اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام ، والملل والنحل ، وكان يضم أيضا عددا ضخما من الكتب التى ترجمت فى مجالات الفلسفة والطب والرياضيات والعلوم الطبيعية والكيميائية .(٢)

ويعتبر بيت الحكمة من أعظم وأهم المعاهد العلمية التى ساهمت فى إثراء الحركة العلمية الإسلامية ، حيث كانت مهمته فى بداية الأمر النقل من اللغات الأخرى الى اللغة العربية ، ثم تطور بعد ذلك وأصبح مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والتجرد للدراسات العليا .(٣)

وكان يجتمع فى بيت الحكمة أجلّة العلماء والمفكرين أمثال أبناء شاكر(٤) والخوارزمى(٥) ، وعلان الشعوبى(٦) ، وسلم ، وسهل بن هارون(٧) ،

---

(١) سعيد الديوه جى : التربية والتعليم فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٢) سعيد اسماعيل على : معاهد التعليم الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) محمد ماهر حمادة : المكتبات فى الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٤) سبق ترجمتهم .

(٥) هو محمد بن موسى الخوارزمى ، رياضى فلكى مؤرخ ، عينه المأمون العباسى قيما على خزانة كتبه ، وعهد اليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها ، وله عدة مصنفات منها : كتاب " الجبر والمقابلة " و " التاريخ " و " صورة الأرض من المدن والجبال " .. الخ ، توفى بعد سنة ٢٣٢ هـ . الاعلام ٧ / ١١٦ .

(٦) علان الشعوبى ، أصله من فارس ، كان عارفا بالانساب ، والمثالب والمنافرات ، وكان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون .
الفهرست ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٧) سهل بن هارون بن رامنوى الدستميسانى ، فارسى الأصل ، كان حكيما فصيحا شاعرا . عينه المأمون رئيسا على خزانة الحكمة ، كان شعوبيا يتعصب للعجم على العرب ، له عدة تصانيف منها : كتاب " ثعلة وعفرا " على مثال كليلة ودمنة ، وكتاب " الهذلية والمخزومى " وغير ذلك ، توفى سنة ٢١٥ هـ .
انظر الفهرست ص ١٧٤ . الاعلام ٣ / ١٤٣ .

وسعيد بن هارون، (١) وغيرهم. (٢) كما كان الناس يحضرون في بيت الحكمة للاستماع للمناظرات العلمية التي كانت تجرى بين العلماء في مختلف العلوم والفنون. (٣)

وقد بلغ بيت الحكمة ذروته في زمن المأمون، وأصبح أكاديمية بالمعنى العلمي، حيث إنه كان يحوى أماكن للتدريس وأماكن لخزن الكتب، وأماكن للنقل، وأماكن للتأليف، وبالاضافة الى ذلك كان يحوى مرصدا فلكيا. (٤) وبيت الحكمة بصفة عامة

"كان أول مكتبة عامة ... في العالم الاسلامي، بل أنه أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون، ولجأ اليها الطلاب، فكان بذلك أول مركز علمي يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا، ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها". (٥)

* مكتبة الحكم بالأندلس :

أنشأ هذه المكتبة الحكم الثاني - المستنصر بالله - ت ٣٦٦هـ، (٦) "وكان محبا للعلم مكرما لأهله، جماعة للكتب في أنواعها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله ...

---

(١) سعيد بن هارون، زميل سهل بن هارون في بيت الحكمة، كان بليغا فصيحا مترسلا، له عدة تصانيف منها: كتاب "الحكمة ومنافعها" وله عدة رسائل مجموعة. الفهرست ص ١٧٤.

(٢) محمد ماهر حمادة: المكتبات في الاسلام، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٣) سعيد اسماعيل علي: معاهد التعليم الاسلامي، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٤) محمد ماهر حمادة، المرجع السابق، ص ٥٣.

(٥) أحمد شلبي: التربية الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٦) الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، المستنصر بالله: أحد خلفاء بني أمية في الأندلس، تولى الخلافة بعد أبيه سنة ٣٥٠هـ، كان عالما بالدين ملما بالأدب والتاريخ، ضليعا في معرفة الأنساب، محبا للعلماء، جماعا للكتب، قيل أن مكتبته بلغت أربع مئة الف مجلد. توفي بقرطبة سنة ٣٦٦ هـ. الاعلام ٢/٢٦٧.

وكان يبعث فى الكتب إلى الأمصار رجالا من التجار ويسرب إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس مالم يعهدوه "(١).

وكان إذا سمع بأن أحد العلماء يؤلف كتابا مهما يرسل إلى مؤلفه من يحضره إليه، فقد فعل ذلك عندما وصل الى علمه أن أبا الفرج الأصفهانى يؤلف كتاب الأغانى - وهو كتاب لم يسبق اليه - فأرسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين، فبعث اليه أبو الفرج بنسخة من الكتاب قبل أن يخرجه فى العراق الى بنى العباس(٢).

ونتيجة لهذا الحب للعلم الناتج عن تعاليم العقيدة الاسلامية اجتمع لديه من الكتب مالم يسبق له مثيل فى الاسلام . وقد جعل الحكم لهذه الكتب قاعة خاصة من قصر قرطبة، وعين لها مديرا ومشرفا ،كما أمر القائمين عليها بأن يعملوا لهذه المكتبة فهارس خاصة لكل فرع من فروع العلوم (٣)." وقد اقتدى بالحكم رجال دولته ، فأنشأوا المكتبات فى سائر بلاد الأندلس، حتى قيل ان غرناطة وحدها كان فيها سبعون مكتبة من المكتبات العامة "(٤).

وهذا فى نظرى راجع الى تمسك المسلمين فى تلك المنطقة وفى تلك الفترة الزمنية بتعاليم العقيدة الاسلامية .

ولم يقتصر انشاء المكتبات على الخلفاء ،بل ان كثيرا من العلماء والأدباء والوزراء والأغنياء اقتنوا مجموعات كبيرة من الكتب أنشأوا بها مكتبات خاصة بهم أمثال(٥):

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون : كتاب العبر ، جـ٤ ،ص١٤٦ .

(٢) محمد ماهر حمادة :المكتبات فى الاسلام ، مرجع سابق ،ص ١٢٣ ، نقلا عن نفح الطيب للمقرى جـ١ ص ٣٨٦ .

(٣) سعيد اسماعيل على :معاهد التعليم الاسلامى ، مرجع سابق ،ص ٢١٠ .

(٤) المرجع السابق ،ص ٢١١ .

(٥) أحمد شلبى : التربية الاسلامية ، مرجع سابق ،ص ١٩٩ .

الفتح بن خاقان (١) ، وعلى بن يحيى المنجم (٢) ، وأبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي (٣) ، وحنين بن اسحاق ، والموفق بن المطران (٤) ، وجمال الدين القفطي (٥) ، والصاحب بن عباد (٦) .

---

(١) الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ، أديب ، شاعر ، فصيح ، كان في نهاية الفطنة والذكاء ، فارسي الأصل ، اتخذه المتوكل العباسي أخاً له ، واستوزره ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، واجتمعت له خزانة كتب حافلة ، جمعها له على بن يحي المنجم ، له عدة مصنفات منها : كتاب " اختلاف الملوك " وكتاب " الصيد والجوارح " وكتاب " الروضة والزهر " ، وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧هـ . الفهرس ص ١٦٩ ، ١٧٠ . الأعلام ٥ / ١٣٣ .

(٢) على بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، كان راوية للأشعار والأخبار ، شاعرا محسنا ، وكان نديم المتوكل العباسي الى ايام المعتمد ، يفضون اليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم . له عده كتب منها : كتاب " الشعراء القدماء الاسلاميين " ، وكتاب " أخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلي " . توفي سنة ٢٧٥هـ . الفهرس ٢٠٥ ، الأعلام ٥ / ٣١ .

(٣) أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي ، كان شاعرا أديبا ناقدا للشعر ، حسن التأليف والتصنيف ، متفقه على مذاهب الأمام الشافعي ، له عدة تصانيف منها : كتاب " الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين " وكتاب " محاسن أشعار المحدثين " . الفهرس ص ٢١٣ .

(٤) هو اسعد بن الياس بن جرجس ، موفق الدين بن المطران : طبيب باحث وجيه ، أسلم في أيام صلاح الدين الأيوبي ، اجتمعت له خزانة كتب حافلة ، وصنف كتبا قيمة منها " بستان الأطباء وروضة الألباء " و " المقالة الناصرية في التدابير الصحية " ، توفي سنة ٥٨٧هـ . عيون الأنباء ص ١٣ . الأعلام ١ / ٣٠٠ .

(٥) على بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي ، أبو الحسن ، جمال الدين ، وزير ، مؤرخ ، من الكتاب ، تولى القضاء في حلب أيام الملك الظاهر ، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة ٦٣٣هـ . كان جماعا للكتب ، تساوى مكتبته خمسين الف دينار ، من تصانيفه " اخبار العلماء بأخبار الحكماء " و " الدر الثمين في أخبار المتيمين " و " أخبار مصر " و " تاريخ اليمن " وغير ذلك ، توفي بحلب سنة ٦٤٦هـ . الاعلام ٥ / ٣٣ .

(٦) اسماعيل بن عباد بن العباس ، أبو القاسم الطالقاني : وزير غلب عليه الأدب =

وهذا النوع من المكتبات كان كثيرا جدا وواسع الإنتشار، إذ كان من الصعب أن نجد عالما أو أديبا لم تكن له مكتبة خاصة به يرجع إليها في دراسته وإطلاعه.(١)

ه ـ : ابتكار المنهج العلمي التجريبي :

لقد أدى فهم المسلمين لعقيدتهم الإسلامية التي دعتهم إلى النظر في الآفاق، وإلى إكتناه أسرار الطبيعة إلى الاهتداء الى المنهج العلمي التجريبي في مجال العلوم الطبيعية.(٢)

وقد كانت العلوم الطبيعية عند من سبقهم من الأمم ـ كالاغريق مثلا ـ دراسات فلسفية ميتافيزيقية تقوم على منهج عقلي استنباطي نظري تجريدي(٣)، فان أقرها العقل بصورة من الصور فهي صحيحة، بصرف النظر عن وجودها الواقعي أو صحتها الواقعيــة.(٤)

أما العقيدة الاسلامية فانها لم توجه معتنقيها إلى الجانب النظري التجريدي، بل وجهتهم الى الجانب العملي النافع.(٥) قال تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَــــج ﴾(٦)

= فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأى استوزره موءيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة. ولقب بالصاحب لصحبته موءيد الدولة من صباه، فكان يدعوه بذلك. له تصانيف جليلة منها "المحيط" في اللغة، وكتاب "الوزراء" و "الكشف عن مساوىء شعر المتنبي" و "الاقناع في العروض وتخريج القوافي" وغير ذلك. توفي بالري سنة ٣٨٥هـ.
الاعلام ١/٣١٦.

(١) أحمد شلبي : التربية الاسلامية، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٢) أنور الجندي : من التبعية الى الأصالة، القاهرة، دار الاعتصام، د.ت، د.ط، ص١٦٩.

(٣) جلال محمد عبد الحميد موسى : منهج البحث العلمي عند العرب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت، د.ط، ص١١٥.

(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص٩٠.

(٥) المرجع السابق، نفس المكان.

(٦) سورة البقرة، آية : ١٨٩.

وقال تعالى :-

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا » (١) .

وقال تعالى :-

« وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (٢) .

لذلك بدأ المسلمون يحوّلون إتجاه البحث العلمى من المنهج النظرى الفلسفى التجريدى - الذى كان متبعاً عند من سبقهم من الأمم - الى المنهج العلمى التجريبى (٣) ، والذى يقوم على التأمل وإمعان النظر وفرض الفروض وإجراء التجارب واستنباط النتائج (٤) .

ويعتبر هذا التحول فى اتجاه البحث العلمى نقلة هائلة فى منهج البحث، واعتبر المنهج الذى ابتكره المسلمون القاعدة الأساسية التى قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة (٥) . وهذا مايشهد به كثير من المؤرخين والباحثين الغربيين، يقول " بريفولت" فى كتابه " بناة الانسانية " :

" ان مايدين به علمنا - للمسلمين - ليس فيما قدموه الينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة بل يدين لهم بوجوده نفسه . فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود .. ، وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات . ولكن أساليب البحث فى دأب وأناة، وجمع المعلومات الايجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية

---

(١) سورة الاسراء ،آية : ١٢ .

(٢) سورة النحل ،آية : ٦٨، ٦٩ .

(٣) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(٤) جلال محمد عبد الحميد موسى :منهج البحث العلمى عند العرب، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٥) أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليوناني .. أما ما ندعوه (العلم) فقد ظهر في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة .. وهذه الروح وتلك المناهج أوصلها - المسلمون - الى العالم الأوربي ".(١)

ونتيجة لاتباع علماء المسلمين المنهج التجريبي الذى ابتكروه ، فانهم قدموا خدمات جليلة في مختلف أنواع العلوم الطبيعية ، ولولا هم لتأخر العالم عن الوضع الحالي عدة قرون ، فقد وضع علماء المسلمين أسس علم الكيمياء ، وأسس علم البصريات، وهم أول من ألف في علم الجبر بصورة علمية منظمة .(٢)

ويعتبر " كتاب الخوارزمى فى الجبر والمقابلة منهلا استقى منه علماء الغرب والشرق على السواء ، واعتمدوا عليه في بحوثهم وأخذوا عنه كثيرا من النظريات ..".(٣)

كما ظلت كتب الخوارزمى نبراسا يهتدى به علماء الشرق والغرب لعدة قرون ، وكان لها أبلغ الأثر في كثير من الكشوفات العلمية الحديثة التى ابتدأت في القرن الحادى عشر الهجرى الموافق السابع عشر الميلادى .(٤)

واخترعوا الآلات لحساب المواد النوعية ، وتركوا لمن خلفهم جداول أثبتوا فيها أوزان المواد الهامة ، وهذه الأوزان لا تختلف كثيرا عن الأوزان الحالية ، وهذا مما يؤكد لنا دقة حسابهم وحسن أدواتهم .(٥)

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٠-٩١ ، نقلا عن كتاب بناة الانسانية لبريفولت .

(٢) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، نيويورك ، دار جون وايلي وأبناؤه ، د .ت ، د .ط ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ، نقلا عن كتاب تاريخ الرياضيات لفلورين كاجورى .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٥) عبد الرزاق نوفل : المسلمون والعلم الحديث ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٣٩٣هـ ، ط٣ ، ص ٨٧ .

وفيما يلي جدول يوضح قياس الوزن النوعي الذى عمله البيروني[١] مقارنا بالقياس الحديث ليتضح لنا مقدار إتقان العلماء المسلمين للعلوم التي يتخصصون فيها .

(٢)

المادة	الوزن النوعي	
	قياس البيروني	القياس الحديث
الذهب	١٩ر٢٦	١٩ر٢٦
الزئبق	١٣ر٧٤	١٣ر٥٦
النحاس	٨ر٩٢	٨ر٨٥
الحديد	٧ر٨٢	٧ر٧٩
القصدير	٧ر٢٢	٧ر٢٩
الرصاص	١١ر٤٠	١١ر٣٥
الياقوت	٣ر٧٥	٣ر٥٢
الزمرد	٢ر٧٣	٢ر٧٥
اللؤلؤ	٢ر٧٣	٢ر٧٥

---

(١) محمد بن أحمد ،أبو الريحان البيروني الخوارزمي : فيلسوف رياضي مؤرخ من أهل خوارزم ،اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود ، وعلت شهرته ، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره ، وصنف كتبا كثيرة جدا ، منها : "الآثار الباقية عن القرون الخالية "و "الاستيعاب في صنعة الاسطرلاب " و " القانون المسعودى" في الهيئة والنجوم والجغرافيا ، و "تاريخ الهند" وغير ذلك . توفى سنة ٤٤٠هـ . الاعلام ٥/٣١٤ .

(٢) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

ومن أشهر رواد المنهج العلمي التجريبي في تلك العصور جابر بن حيان[١]، وأبا بكر الرازي[٢]، والحسن بن الهيثم[٣]، والبيروني[٤] .

---

(١) جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي ،أبو موسى : فيلسوف كيميائي ،كان يعرف بالصوفي ،أصله من خراسان ،له تصانيف كثيرة ،قيل عددها ٢٣٢ كتابا ، وقيل بلغت خمسمائة . ضاع أكثرها ، ومن مصنفاته : كتاب" الحكمة المصونة" و كتاب" كيمان المعادن" و " كتاب " الأصلاح " وكتاب " الهيئة" . ويعتبر جابر بن حيان أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوية ، وأول من استحضر ماء الذهب . توفي بطوسي سنة ٢٠٠هـ . الفهرست ص ٤٩٨ ، الاعلام ٢/١٠٣ .

(٢) محمد بن زكريا الرازي ،ابو بكر : فيلسوف ،من الائمة في صناعة الطب . ولد بالري سنة ٢٥١هـ ونشأ بها ،تعلم الطب والفلسفة في كبره ،فنبغ واشتهر ،له تصانيف كثيرة منها : كتاب " المدخل التعليمي " و كتاب "المدخل البرهاني " وكتاب " الاكسير" و كتاب " التدابير" وكتاب " الحجر الأصفر " وكتاب " الرد على الكندي في رده على الصناعة " وغير ذلك . مات ببغداد سنة ٣١٣هـ . الفهرست ص ٥٠٤ ،عيون الانباء ص ٤١٤ ومابعدها ،الاعلام ٦/١٣٠ .

(٣) أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم ،أصله من البصرة، ثم انتقل الى الديار المصرية وأقام بها حتى آخر عمره ،كان فاضل النفس قوي الزكاء متفننا في العلوم ،وكان كثير التصنيف ،وافر التزهد ، محبا للخير . توفي سنة ٤٣٠هـ . عيون الانباء ص ٥٥٠ ،ابن القفطي ص ١٦٥ .

(٤) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمي للحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٤ .

الفصـــل الثالـــــث

أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية في المجال الحضاري

- مفهـــــوم الحضـــــارة في الاســــــلام .

أولا : أثر الالتزام بالعقيدة الاسلامية في حياة الحسن ابن الهيثم وإنتاجه في مجال الحضــــارة .

ثانيا : آثار عامة في المجال الحضـــارى :

١ : الإهتمـــام بالزراعـــــة .

٢ : العناية باقامة الصناعات .

٣ : إنشـــاء المستشفيـــات .

تمهيـــــــــد :

قبل بداية الحديث عن أهم آثار الإلتزام بالعقيدة الإسلامية في المجـــال الحضاري سوف يتحدث الباحث عن مفهوم الحضارة في الإسلام، ومن ثم ســوف يتحدث عن سيرة شخصية إسلامية التزمت بالعقيدة الإسلامية، مما كان لها الأثر الواضح في إنتاجها العلمي الذي يوضح لنا مدى المستوى العلمي والحضاري الذي وصل إليه العلماء المسلمون في القرون الاسلامية الزاهرة نتيجة إلتزامهم بالعقيدة الاسلامية .

مفهوم الحضارة في الاســـلام

قبل أن نتحدث عن مفهوم الحضارة في الاسلام، لابد لنا من أن نبين مدلول كلمة " حضارة" في اللغة، ومدلولها في المصطلح الحديث .

فكلمة "حضارة " في اللغة العربية ضد كلمة "بداوة " والحضر خلاف البدو، ويقال فلان من أهل الحاضرة ، وفلان من أهل البادية، والحضارة الإقامة في الحضر .(١)

قال القطامي مفتخرا ببداوة قومه، مستخفا بساكني القرى والمدن :

فمن تكن الحضارة أعجبتـــه فأي رجال بادية ترانـــا !(٢)

ومجمل ماورد في معاجم اللغة العربية عن مادة " حضارة " أنها الحياة فـــي المدينة، فالحضر بهذا الإعتبار هم سكان المدن والبدو هم سكان الصحراء .

أما مدلول كلمة "حضارة" في العصر الحديث، فانه يختلف عن المدلول اللغوي فالمدلول الحديث لكلمة " حضارة" يعتبر أن البدو أو المجتمعات البدائية لا تخلو من الحضارة، " حيث إن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة موجودة ماوجد الانســان

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، جـ٥ ص ٢٧٢ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

الذى أنعم الله عليه بالعقل والإرادة والبيان(١).

فالحضارة صفة يتصف بها الإنسان عامة بفضل مافضل به عن بقية المخلوقات الأرضية. فكل مجتمع إنساني لديه حضارة مادامت له نظمه وأنماطه وقيمه الخاصة التى تتحكم فى توجيه نشاطه الإنسانى(٢). فسكان البادية والقبائل الرحل لا يمكن أن ننفي عنهم صفة الحضارة لأنهم يعيشون وفق نظم وقيم اجتماعية(٣).

فالحضارة بهذا المدلول الحديث هى " مجموعة القيم والانماط التى تتحكم فى توجيه النشاط الروحي والمادي للمجتمع"(٤) فهى صفة للانسان بوجه عام، وهى التى تميز المجتمع الانساني عن المجتمع الحيواني .

أما مفهوم الحضارة فى الإسلام، فهو مفهوم متميز عن بقية المفاهيم لها، فهو مفهوم يقوم على تصور عقدي له نظرة خاصة للإنسان والكون والحياة، ويقوم أيضا على القيم والأخلاق والخصائص الإنسانية العليا التى ينفرد بها الإنسان عن الحيوان فالمجتمع الإسلامي مجتمع قائم على العقيدة الإسلامية، لا على الجنس أو اللون، قائم على عقيدة تجمع بين الأسود والأبيض، والعربي والرومي، والحبشي والفارسي وسائر الأجناس البشرية فى عبودية خالصة لله سبحانه وتعالى، وخضوع لأوامره، واجتناب لنواهيه، وإخضاع جميع العادات والتقاليد والطبائع لعبودية الله سبحانه وتعالى(٥)، وكذلك إخضاع جميع النواحى المادية لمفهوم العبادة الشامل فى الاسلام .

---

(١) محمد فتحى عثمان: القيم الحضارية فى رسالة الاسلام، جدة، الدار السعودية، ١٤٠٢هـ، ص ١٢ .

(٢) أحمد ابراهيم الشريف: دراسات الحضارة الاسلامية، د .م، دار الفكر العربى، ١٩٨١م، ط٢، ص ١٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٢ - ١٣ .

(٤) أحمد ابراهيم الشريف: دراسات الحضارة الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٣ .

(٥) توفيق يوسف الواعى: الحضارة الاسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، المنصورة، دار الوفاء، ١٤٠٨هـ، ص ٣٩ .

فمفهوم الحضارة فى الإسلام هو مفهوم العبادة بمفهومها الشامل،(١) هو تحقيق الغاية التى حددها الله من خلق الإنسان، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢) .

فجميع القيم فى الحضارة الإسلامية قيم دينية تعبدية، وجميع الجوانب المادية فى الحضارة الاسلامية مرتبطة بالقيم التعبدية، لذلك نجد أن الحضارة الإسلامية تعرف بأنها : تلك الحضارة التى تقوم على قيم -إسلامية - ثابته وأشكال مادية وتنظيمية نامية ومتغيرة على الدوام، بشرط أن يظل الإرتباط قائما بين تلك القيم- الاسلامية - الثابتة والأشكال المادية المتغيرة(٣) .

فالمفهوم الإسلامى للحضارة لا يفصل بين الجوانب المادية للحضارة والقيم الدينية، فهو بذلك يختلف عن المفهوم الغربى للحضارة، الذى فصل بين الجوانب المادية والقيم الدينية، فسمى الجوانب المادية "حضارة" وأطلق على القيم والمعتقدات "ثقافة".(٤) والإسلام اذ يفعل ذلك فإنه يساير الفطرة الإنسانية كعادته فى جميع الأمور التى تخص الإنسان، كيف لا وهو دين الفطرة، فهو يدعو دائما الى إشباع الجوانب الحسية والجوانب المعنوية معا فى وقت واحد بلا تعارض ولا تناقض بل عن توازن واتساق . قال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(٥)

وقال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ... ﴾(٦)

---

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغى أن تصحح، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٨هـ ، ط١، ص٣٣٨ .

(٢) سورة الذاريات، آية : ٥٦ .

(٣) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٠١ .

(٤) المرجع السابق، نفس المكان .

(٥) سورة البقرة، آية : ١١٠ .

(٦) سورة الأعراف، آية: ٣١ .

وقال تعالى :

((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)) . (١)

ولا يمكن لأى حضارة أن تنفصل فيها الأشكال المادية التنظيمية عن القيم المعنوية .

" فليس هناك عمارة مادية أو تنظيمية غير مرتبطة بقيم معينة فى حياة الناس، متأثرة بها ومؤثرة فيها . كذلك فان القيم لا تعيش فى فراغ، انما تعيش وتبرز فى كيان مادى وتنظيمى " . (٢)

والحضارة فى مفهوم الإسلام لا تسمى إسلامية إلا إذا ارتبطت فيها الأشكال المادية بالقيم الإسلامية الثابتة ارتباطا وثيقا، أما إذا كانت السمة الغالبة على الحضارة الجوانب المادية البعيدة عن المنهج الربانى والبعيدة عن الارتباط بالقيم الاسلامية الثابتة، فان تلك الحضارة لا تستحق أن نطلق عليها حضارة إسلامية انما تسمى حضارة مادية جاهلية . (٣) لأن الأشكال المادية والتنظيمية من الحضارة ليست غاية فى ذاتها، إنما هى وسائل للتعبير عن مفاهيم وقيم تلك الحضارة . (٤)

> " والانسان يستطيع أن يعيش ويمارس كيانه الانسانى على المستوى الاعلى بأقل قدر من الاشكال المادية التنظيمية، ولكنه لا يستطيع أن يعيش ولا أن يمارس كيانه الإنسانى على أى مستوى كان بغير قيم ومبادئ، مهما يكن عنده من أدوات التقدم المادى والتنظيمى " . (٥)

وهناك نموذجان يمكن أن نستعرضهما لتتضح لنا هذه الفكرة :

النموذج الأول :

هو ذلك الجيل الذى عاش فى عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو لم

---

(١) سورة القصص، آية : ٧٧ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٠١ .

(٣) المرجع السابق، نفس المكان .

(٤) محمد قطب : المرجع السابق، ص ١٠٧ .

(٥) محمد قطب : المرجع السابق، ص ١٠٢ .

يكن يملك أى شكل من أشكال الحضارة المادية والتنظيمية إلا القدر الأدنى "مجموعة من الخيام، وبيوت الطين، وبساتين النخل، والخيل، والإبل والأغنام، والسهام والسيوف"(١)، ولكنه كان يملك فى نفس الوقت أعلى وأعظم قدر من القيم الإسلامية. مطبقة فى واقعه الإجتماعى، فاستحق بذلك الجيل أن يطلق عليه الجيل المتحضر. وكان ذلك الجيل بما حمل من قيم هو النواة الأولى لأعظم حضارة عرفتها البشرية فيما بعد .

النموذج الثانى :

فهو الجيل الغربى المعاصر أو المجتمع الغربى المعاصر، فهو يملك أعلى قدر وصلت اليه البشرية عن الحضارة المادية والتنظيمية " واكبر قدر من المخترعات والتيسيرات المادية - التى - لم تجتمع قط لأى جيل من أجيال البشرية"(٢)، ولكنه تخلى عن القيم وأنسلخ منها واستحق بذلك أن يطلق عليه المجتمع الغربى المتخلف، وعلى حضارته بالحضارة الجاهلية .

والحضارة الاسلامية قامت منذ البداية على أعلى وأعظم قدر من القيم فى تاريخ البشرية، وبأقل قدر من المظاهر المادية قامت عليه حضارة فى التاريخ، وكانت بحالتها تلك احدى معجزات التاريخ(٣)، وفى مقابلها قامت الحضارة الغربية على أعلى وأعظم قدر وصلت اليه البشرية من الإنتاج المادى والعلمى والتكنولوجى الخالى من القيم المعنوية والروحية والأخلاقية، فكانت بذلك أخبث وأفسد حضارة فى التاريخ .

ومفهوم الحضارة فى الاسلام - كما سبق أن أوضحنا - هو مفهوم العبادة بمعناها الواسع .

" فالصلاة والنسك جزء من المفهوم الاسلامى للحضارة واقامة

---

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغى أن تصحح، مرجع سابق، ص ٣٤٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٤٧ .

(٣) محمد قطب، المرجع السابق، ص ٣٤٩ .

شريعة الله فى الأرض والحكم بما أنزل الله ... جزء من المفهوم الإسلامى للحضارة .

وإقامة العدل الربانى فى الارض كما أراده الله أن يكون ... جزء من المفهوم الاسلامى للحضارة .

واقامة الحياة كلها ـ بكل ألوان النشاط فيها ـ على قاعدة أخلاقية مدارها تقوى الله وخشيته ... فتكون السياسة ذات أخلاق قائمة على حكم ولى الأمر بشريعة الله ، والسمع والطاعة من الأمة لولى الأمر فيما يأمر به موافقا لشريعة الله ، والنصح لله ورسوله ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، وإقامة الامر على الشورى التى أمر الله بها ... ويكون الاقتصاد له أخلاق ، قائمة على الالتزام بما أحله الله وتحريم ماحرم الله من ربا واحتكار وغش وسلب ونهب وسرقة وغصب ، وأكل مال الأجير ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وقائمة على تطهير المال بأداء الزكاة ، والإنفاق فى سبيل الله ، وعدم الإنفاق فى ترف أو سرف أو معصية أو مخيلة ... وتكون علاقات المجتمع ذات أخلاق قائمة على التواد والتحاب والتكافل والتعاون على البر والتقوى ، وحرمة الدم والعرض والمال ، وكظم الغيظ والعفو عن الناس والكف عن الغمز واللمز والغيبة والنميمة والتجسس على العورات ... وتكون علاقات الأسرة ذات أخلاق .. وعلاقات الجنسين ذات أخلاق .. ان اقامة الحياة كلها على هذه القاعدة الاخلاقية جزء من المفهوم الاسلامى للحضارة (١) .

وان الوفاء بالمواثيق ، سواء بين الأفراد بعضهم البعض أو بين الدول بعضها البعض جزء من المفهوم الاسلامى للحضارة (٢) .

وان السعى فى طلب العلم

" سواء العلم بدين الله وأحكامه ، أو العلم بسنن الله فى الكون وخواص المادة الذى يعين على استخلاص ماسخر الله للانسان من

---

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

طاقات السموات والارض، واستخدامها في عمارة الأرض،أو العلم بسنن الله في الحياة البشرية، التي يقوم على أساسها مجتمع صالح ،أو العلم بالتاريخ البشري ومافيه من فترات الهدى والضلال والنتائج المترتبة على كل منهما في واقع الحياة البشرية ... إن هذا العلم بمختلف فروعه واتجاهاته ، جزء من المفهوم الاسلامي للحضارة .وإن إقامة فنون نظيفة ،تلتفت إلى الجمال في اللون وفي الحياة البشرية وتعبر عنه في أداء جميل .. جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة (١) .

وإن عمارة الارض ماديا وتنظيميا وفق المنهج الرباني جزء من المفهوم الاسلامي للحضارة (٢) .

فالاسلام هو الحضارة ، وهو الذى أنتج حضارة متكاملة الجوانب، حضارة زاهية زاهرة ، حضارة حكيمة عادلة ، وهو الذى أنتج حضارة موءسسة على توحيد الله سبحانه وتعالى ، والإيمان به ، وعلى ذكر الله سبحانه وتعالى واستحضار قدرته ، واستحضار الآخرة ، والإيمان بأن الآخرة خير من الأولى . وهو الذى أنتج حضارة موءسسة على العدل الاجتماعي وعلى الإحترام للإنسانية والرحمة بها ، وعلى الجمع بين الواجبات والحقوق في وقت واحد ، وعلى الأخذ والعطاء ، والإفادة والإستفادة في آن واحد ، وعلى الإعتراف بقيمة الإنسان أيا كان وأينما كان . وهو الذى أنتج حضارة موءسسة على مبدأ المساواة الإنسانية ومبدأ الرحمة بها ، وإخراج الناس من حكم العباد الى حكم الله سبحانه وتعالى ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام (٣) .

والفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية فارق شاسع،لأن مقياس

---

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

(٢) أبو الحسن على الحسن الندوى : أهمية الحضارة في تاريخ الديانات، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، ١٤٠٢هـ، ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

الحضارة فى الإسلام روح وقلب، أما مقياسها فى الغرب حديد واسمنت .

مقياسها فى الإسلام مدى إيمان الفرد والجماعة بالرسالة الإسلامية التى يحملوها ، ومقياسها فى الغرب ومن جرى نحوه مدى مادية الفرد والجماعة ومستوى غناها وثروتها .

مقياسها فى الإسلام الإيثار وإنكار الذات، أما فى الغرب الأثرة وتعبد الذات.

مقياسها فى الإسلام البر والمواساة، أما فى الغرب الأنانية واللامبالاة .

مقياسها فى الاسلام قدسية الأهداف، ونبل الغايات، ومقياسها فى الغرب مادية الأهداف ونفعية الغايات (١) .

" مقياسها فى الإسلام العلم النافع، والقلب الخاشع، ومقياسها فى الغرب تضخم المعلومات ووفرة الدخائر، وتحجر القلب وقسوة الفؤاد .

مقياسها فى الإسلام تحقيق خلافة الله فى الأرض، وإجراء أحكامه وشرائعه فى البشر، والسير بالإنسانية على خط مستقيم نحو هدفها الحقيقى وأمنها الأبدى وعيشها السرمدى، ومقياسها فى الغرب تحقيق نزوات الجسد ، والحكم بالطاغوت، والسير بالإنسانية على خطوط متفرقة نحو أهداف رخيصة ومتعة عاجلة ونعيم زائل ، وسراب خادع، وسخط الله وعذابه فى الآخرة .

مقياسها فى الغرب، الأبيض والأسود ، والأحمر والأصفر، والقاصى والدانى ، والقريب والبعيد ، والقوى والضعيف، والمالك والمملوك، والغنى والفقير، ومقياسها فى الإسلام .. « وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (٢) .

مقياسها فى الإسلام "سلمان الفارسى"، "وبلال الحبشى"، "وصهيب الرومى" مع أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، رضى الله عنهم أجمعين" (٣) .

---

(١) محمد الحسنى : الاسلام الممتحن، القاهرة، المختار الاسلامى، ١٣٩٧هـ، ص ١١٥، ١١٦ .

(٢) سورة الحجرات، آية : ١٣ .

(٣) محمد الحسنى، المرجع السابق، ص ١١٦، ١١٧ .

والذى ميز الحضارة الإسلامية عن غيرها هو

" أنها قامت بكل ماقامت به من عمارة الأرض وهى تستظل بظل العقيدة الصحيحة، بل تنطلق من منطلقاتها ، فتعمر ماتعمر فى الأرض وهى تؤمن بالله واليوم الآخر، وتحقق مقتضيات الايمان بالله واليوم الآخر من قيم وأخلاق ومبادئ دون تناقض فى حسها بين هذا الأمر وذاك "(١).

فالعقيدة الإسلامية هى التى أعطت الأمة الإسلامية منذ البداية كل عناصر النماء والقوة التى برزت فى حياة الأمة الإسلامية فيما بعد ، وهى التى دفعت الأمة الإسلامية لطلب العلم فى كل مصادره ، وتعلم جميع لغات العلم لتترجم عنها ، وهى التى دفعت الأمة الإسلامية إلى التعمير المادى والتنظيمى فى الأرض، وذلك ماتشهد به المدن الإسلامية وما حفلت به من صناعة وتجارة، وماتشهد به من نظم الإدارة والقضاء والحسبة ونظم التعليم ونظام الموقف وغير ذلك . وهى التى دفعت الأمة الإسلامية أن تكشف مجاهل الأرض، وترسم الخرائط وتحدد المواقع، وهى التى دفعت الأمة الاسلامية لانشاء التراث الفكرى الهائل الذى تعجب له الأجيال المعاصرة، وهى التى دفعت الأمة الاسلامية لإنشاء فنونا فى الأدب والعمارة، وغيرها من ألوان الفنون (٢).

والعقيدة الاسلامية عقيدة متميزة فهى متصلة بجميع جوانب الحياة، فهى لا يمكن أن تنقطع عن الحياة، ولا يمكن للحياة أن تستغنى عنها ،انها عقيدة لا تعيش مع الحياة فحسب بل تسيطر على جميع جوانب الحياة (٣).

والحضارة الاسلامية حضارة متميزة تبعا للعقيدة التى تنتمى اليها ، فجميع مظاهرها وأجزائها مرتبطة برباط ايمانى متين ، فمن إماطة الأذى عن الطريق إلى

---

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٣٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٣) أبو الحسن على الحسنى الندوى : أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات ، مرجع سابق ، ص ١١ .

أعلى درجات الجهاد وأفضل أنواع السعى الدينى والدنيوى روح واحـــدة لا يتخللها شيئ، هذه الروح هى روح التقرب إلى الله سبحانه وتعالـــى والسعى إليـــه [(١)].

وكذلك فإن عطاء الحضارة الإسلامية عطاء متميز، حيث إن الحضارة الاسلامية أعطت الأمة الاسلامية تراثا ضخما فى مختلف المجالات، فى المسجد، وفى العمارة وفى القضاء، وفى حقوق الانسان، وفى التعليم، وفى الثقافة والفقه ...، وكل هـــذه المعطيات التى قدمتها الحضارة الاسلامية معطيات جديدة باهرة نضرة، مـــن شأنها أن تكشف أمام عقول الشباب المسلم وأرواحهم ذلك الإيمان العميق وذلـــك الفضل الصادق بأسبقية العطاء للبشرية مالم تكن تعرفه من قبل [(٢)].

بعد أن تحدث الباحث عن مفهوم الحضارة فى الاسلام، سوف يتحدث الآن عن أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال الحضارى :

أولا : أثر الإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى حياة الحسن بن الهيثم وإنتاجه فى مجال الحضارة :

نسبه ومولـــده :

هو أبو على الحسن بن الحسن بن الهيثم [(٣)]، ولد بالبصرة سنة ٣٥٤هـ [(٤)].

كمالاته النفسيـــة :

كان ابن الهيثم فاضل النفس، قوى الذكاء، متفننا فى العلوم، حتى أنه لم يماثله أحد من أهل زمانه، وكان دائم الإشتغال بالعلوم، كثير التصنيـــف،

---

(١) محمد الحسنى : الاسلام الممتحن، مرجع سابق، ص ٩٢ .

(٢) أنور الجندى : الاسلام تاريخ وحضارة، د.م، دار الاعتصام، د.ت، د.ط، ص ١٩ .

(٣) جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى : اخبار العلماء بأخبـــار الحكماء، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت، د.ط، ص ١٦٥ .

(٤) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات، نيويورك، دارجون وايلى وابناءه، ١٩٧٨م، د.ط، ص ١٣٦ .

وكـان زاهـدا ، محبـا للخـير ، وكان حسن الخـط .(١)

حياتـه :

نشأ ابن الهيثم فى البصرة، وتلقى بعض علومه فيها ، ثم أخذ يتنقل فى كافة أرجاء الدولة الإسلامية سعيا فى طلب العلم، فسافر إلى بغداد والشام وأخيرا الى مصر حيث كانت أقامته فيها .

وتعتبر الفترة التى عاش فيها ابن الهيثم من أزهى فترات الحضارة الاسلامية حيث برز على الساحة معظم الانجازات العلمية، كما برز على الساحة مع ابن الهيثم بعض العلماء البارزين أمثال ابن يونس،(٢) والبيرونى(٣) ، وابن سينا(٤) .

وقد اشتهر ابن الهيثم بمعرفة العلوم والفلسفة، وبالبراعة فى الهندسة قبل أن يجاوز الشباب(٥) ، ويقول عن نفسه فى تلقيه العلم :

"انى لم أزل منذ عهد الصبا مرتابا فى اعتقادات هذه الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأى، فكنت متشككا

---

(١) ابن أبى أصيبعة :عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، مرجع سابق ،ص ٥٥٠ .

(٢) هو أبو الحسن على بن أبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصرفى المصرى ،كان مختصا بعلم النجوم، متصرفا فى سائر العلوم ،بارعا فى الشعر . انظر وفيات الأعيان ،جـ٣ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

(٣) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى ، نسبة الى بيرون ، وهى مدينة فى السند ، كان مشتغلا بالعلوم الحكمية، فاضلا فى علم الهيئة والنجوم ، وله نظر جيد فى صناعة الطب. انظر عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٤٥٩ .

(٤) هو أبو على الحسين بن عبد الله بن على بن سينا " الملقب بالشيخ الرئيس" انظر ترجمته فى أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال الحضارى أثناء الحديث عن العناية بالطب .

(٥) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ،بيروت ،دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ط٤، ص ٣٦١ .

في جميعه ، موقنا بأن الحق واحد ، وأن الإختلاف فيه إنما هو من جهة السلوك إليه . فلما كملت لإدراك الأمور العقلية ، انقطعت إلى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتي وحدسي إلى ادراك مابه تنكشف تمويهات الظنون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون ، وبعثت عزيمتي الى تحصيل الرأى المقرب الى الله جل ثناؤه ، المؤدى إلى رضاه الهادى لطاعته وتقواه "(١) .

وأخذ ابن الهيثم يطّلع على ماوصل اليه العلم في عصره وقبل عصره فقرأ ما كتبه السابقون أمثال اقليدس(٢) ، وابلونيوس(٣) ، وبطليموس(٤) ، وأرسطو(٥) ، وجالينوس(٦) ،

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

(٢) هو اقليدس بن نوقطرس بن برنيقس ، المظهر للهندسة المبرز فيها ، وهو أقدم من أرشميدس وغيره ، وهو من الفلاسفة الرياضيين . انظر ابن النديم ، ص ٣٧١ .

(٣) ابلونيس ، صاحب كتاب المخروطات ، وهو من أهل الاسكندرية ، وله عدة كتب منها كتاب قطع الخطوط على نسبة ، وكتاب في النسبة المحدودة ، وكتاب قطع السطوح على نسبة ، وكتاب الدوائر المماسة . انظر ابن النديم ، ص ٣٧٣ .

(٤) بطليموس ، فلكي يوناني ، ولد في مصر في القرن الثاني بعد المسيح عليه السلام ، وهو صاحب كتاب المجسطي ، وله عدة مؤلفات منها كتاب المواليد ، وكتاب الحرب والقتال ، وكتاب المرض وشرب الدواء . انظر ابن أبى أصيبعة ، ص ٨٦ ، وابن النديم ، ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٥) هو أرسطو طاليس بن نيقوماخس بن ماخاون . ومعنى أرسطو طاليس : محب الحكمة أو تام الفضيلة ، قال عنه ابن جلجل أنه فيلسوف الروم وعالمها وجهبذها ونحريرها وخطيبها وطبيبها ، ولأرسطو طاليس كتب كثيرة في المنطقيات والطبيعيات والالهيات والخلقيات . انظر : ابن جلجل ، ص ٢٥ ، وابن النديم ص ٣٤٥ ، وابن أبى أصيبعة ، ص ٨٦ .

(٦) هو قلاوديوس جالينوس ، ولد حوالى سنة ١٣٠ م ، وتوفى حوالى سنة ٢٠٠ م ، وهو مفتاح الطب ، وباسطة وشارحه بعد المتقدمين ، له مؤلفات كثيرة في الطب والأخلاق . انظر : ابن جلجل ص ٤١ ، ٤٢ ، ابن النديم ، ص ٤٠٢ ، ٤٠٥ .

وغيرهم ، فأحاط بكتب الفلسفة (١) ، والمنطق (٢) ، والكلام (٣) ، والعلوم الرياضية (٤) ،

---

(١) الفلسفة لغة : محبة الحكمة ، واصطلاحا النظر في حقائق الأشياء لمعرفة مبادئها الأولى وعلة وجودها وماوراءه أزلا وأبدا . وهي بهذا التعريف تشمل البحث عن الكون وعلته من حيث وجوده ومن أوجده وكيف وجد ومتى وجد ويرى علماء الاسلام عدم جواز تعلم الفلسفة لعدم الحاجة اليها ، لأن دراسة القرآن والسنة توفر لصاحبها المعرفة الكاملة بالكون وعلته ومن أوجده ، وكذلك توفر المعرفة الكاملة عن الروح والعقل والأخلاق مالا توفر بعضه الفلسفة . انظر : العلم والعلماء للجزائرى ص ٩١ .

(٢) المنطق لغة : مصدر ميمي فعله نطق ينطق نطقا ومنطقا اذا لفظ الحروف وتكلم بها . واصطلاحا : هو علم يعصم الذهن عن الخطإ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ، وقيل هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المُعَرِّفَةِ للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات . وفائدته : تمييز الخطإ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره . انظر ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٩ ، والجزائرى : العلم والعلماء ص ٩٠ .

(٣) هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وموضوع علم الكلام هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبة عن تلك العقائد . انظر ابن خلدون المقدمة ص ٤٥٨ ، ٤٦٦ .

(٤) العلوم الرياضية : هي التي تزاول بالعقل غالبا ، ويكون العقل والفكر فيها هو الأداة الفعالة فيها ، والرياضة لفظ مشتق من راض المرء اذا عقل بعد رعونة ، أو من راض المهر اذا أذله وطوعه للسير ، ولذلك فان الرياضة تكون بدنية ، وتكون نفسية أخلاقية ، كما تكون عقلية فكرية بحتة . والمقصود بالعلوم الرياضية هنا هي التي تزاول بالعقل والفكر والتي منها : الحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفلك والأرصاد وغير ذلك .

انظر : الجزائرى : العلم والعلماء ، ص ٧٩ .

والهندسة(١) ، والطب(٢) ، والفلك(٣) (٤) . وكانت قراءة ابن الهيثم لهذه الكتب قراءة الناقد المصحح لما يلاحظ من أخطاء ، ويتضح ذلك من مقالة له في الشكوك على بطليموس، حيث قال في مقدمتها :

" .. ولما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة ... أعني (بطليموس) وجدنا فيها علوما كثيرة، ولما خصمناها وميزناها ... وجدنا فيها مواضع مشبهة وألفاظ بشعة ومعاني متناقضة ... إلا أنها يسيرة في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة. ورأينا أن الإمساك عنها هضما للحق وتعديا عليه .. ووجدنا أولى الأمور ذكر هذه المواضع وإظهارها ، ثم نجتهد بعد ذلك في سد خللها وتصحيح معانيها "(٥) .

---

(١) الهندسة : علم يبحث فيه عن أحوال المقادير من حيث التقدير ، وموضوعه : الخطوط والسطوح والأجسام وهي الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والعمق . وعناصر هذا العلم هي معرفة أحوال الخطوط وأنواعها ، والدوائر ومحاورها ، والأوتار ، والزوايا المختلفة وأضلاعها ، والأشكال الكروية والاسطوانية والمخروطية ، ومعرفة النسب بينها ، والمقادير فيها والبرهنة على ذلك بطرق علمية صحيحة . انظر الجزائري :العلم والعلماء ، ص ٨٣ .

(٢) الطب : هو علم يبحث في بدن الانسان ، من حيث الصحة والمرض، وفائدته حفظ الصحة وبرء المرض بالادوية والأغذية . انظر : ابن خلدون :المقدمة،ص٤٩٣ .

(٣) الفلك : هو علم يبحث فيه عن مواقع الأجرام الفلكية وأبعادها ، ومادتها وشكلها ومدد دورانها . وموضوعة البحث عن الأفلاك الدائرة وسرعة دورانها وعن النجوم والكواكب الثوابت والسيارة وعن حركة سيرها وأبعادها ، وعن مقدار أحجامها ومادة تكوينها وذلك عن طريق آلات الرصد كالاسطرلاب وذات الحلق وغير ذلك . انظر : الجزائري ، العلم والعلماء ، ص ٨٥، ٨٦ .

(٤) بشار محمد سعيد قاسم ، علي يوسف فرح : الحسن بن الهيثم وآثره على المسيرة العلمية الحديثة ، الأردن ، مكتبة المنار ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٨ .

(٥) قدري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، بيروت ، دار الشرق ، د .ت، د .ط ، ص ٣٠٧ .

وبعد أن هضم علوم الأوائل أخذ في وضع الملخصات والمختصرات والتصنيفات في معظم العلوم التي قراءها[١] .

وعند ما ذاعت شهرة ابن الهيثم سمع به حاكم مصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله فأرسل في طلبه ورغبه في الحضور إلى مصر، فتوجه ابن الهيثم نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم لاستقباله ، واكرمه وأمر بانزاله في ضيافته، وكان الخليفة قد نقل إليه أن ابن الهيثم يقول : لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص، وبعد أن استراح ابن الهيثم طالبه الحاكم بما وعد به من أمر النيل ، فخرج ابن الهيثم ومعه جماعة من الصناع ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له . ولما سار الى الإقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الأمم الخالية، وهي على غاية من إحكام الصنعة وجودة الهندسة ، تحقق له أن الذي يقصده ليس بممكن ، لأن من تقدمه في العصور الخالية لم يغرب عنهم علم ماكان يريد أن يعمله ، ولو أمكن لفعلوه ، فعاد ابن الهيثم إلى الحاكم واعتذر له ، وقبل الحاكم عذره ، وولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لا رغبة ، لأن الحاكم كان مريقا للدماء بغير سبب أو بأضعف سبب من خيال يتخيله ، ففكر ابن الهيثم في أمر يتخلص به من الديوان الذي ولاه عليه الحاكم - لأنه لا يريد مالا ولا جاها ولا منصبا انما يريد أن يتقرب الى الله بالسعي في طلب العلم والبحث- فلم يجد طريقا إلى الخلاص إلا إظهار الجنون والخبال ، فأظهر الجنون وشاع ذلك بين الناس ، فأمر الحاكم بعزله وعين من يخدمه ويقوم على مصالحه ، فقيّد ابن الهيثم وترك في منزله ، واستمر على ذلك الوضع إلى وفاة الحاكم ، وبعد أن تحقق من وفاة الحاكم أظهر العقل وعاد إلى ماكان عليه ، فخرج من داره الذي كان مقيدا فيه ، وسكن في احدى القباب التي كانت مبنية على أحد أبواب الجامع الأزهر بالقاهرة ، ومنذ ذلك الحين اشتغل ابن الهيثم بالتصنيف والنسخ والافادة،

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٣ .

وكان يقتات من أجرة الكتب التي ينسخها ، حيث كان ينسخ في السنة ثلاثة كتب ويبيعها بمائة وخمسين دينارا مصريا ، واستمر على التصنيف والنسخ إلى أن توفي [(١)] .

منزلته العلمية :

يعتبر ابن الهيثم من أعظم علماء المسلمين الذين أحاطت معرفتهم بمعظم فروع المعرفة ، فهو لم يترك علما من العلوم الا وكتب فيه بدقة ووضوح ، ولقد شملت كتبه الكثيرة موضوعات متنوعة في الحساب ، والهندسة ، والجبر والمقابلة والمثلثات وفي الفلك والطبيعيات وفي المناظر (البصريات) والفيزياء وفي الجغرافيا والطب والمنطق وفي الفلسفة وعلم الكلام وفي السياسة والأخلاق والأدب . وهذا ماتميز به علماؤنا الأوائل ، فهم شغوفون بمعرفة واتقان الكثير من العلوم ، وذلك بدافع من عقيدتهم الاسلامية التي تحثهم على طلب العلم والسعي اليه . وقد نال ابن الهيثم شهرة ملموسة بكتابه (المناظر) الذى يضم بين دفتيه موضوعات كثيرة وجديدة في (الفيزياء)، ودراسات دقيقة وعميقة في حقل انعكاس وانكسار الأشعة [(٢)] .

ويعتبر ابن الهيثم المؤسس الحقيقي لعلم الفيزياء والبصريات على الأسس العلمية الصحيحة ، فهو قد أنكر نظرية (اقليدس) و (بطليموس) في علم البصريات التي تقول : إن العين هي التي ترسل أشعتها على الأشياء [(٣)] . وأثبت خلاف ماقال به (اقليدس) و (بطليموس) بنظريته المشهورة التي تقول : "إن الشعاع لا يصدر عن العين الى الأجسام ، ولكن الأجسام هي التي ترسل أشعتها الى العين" [(٤)] .

---

(١) جمال الدين ابى الحسن على بن يوسف القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د .ت ، د .ط ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

وقد بحث ابن الهيثم كذلك فى تشريح العين وتركيبها ، وفى العدسات واستعمالها ، وفى الضوء (١) .

بعض أقوال العلماء فى الحسن ابن الهيثم :

قال عنه ابن القفطى (ت ٥٩٥ هـ) :

" ... صاحب التصانيف والتواليف المذكورة فى علم الهندسة كان عالما بهذا الشأن متقنا له متفننا فيه قيّما بغوامضه ومعانيه مشاركا فى علوم الأوائل أخذ الناس عنه واستفادوا منه " (٢) .

وقال عنه ابن أبى أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ) :

" كان .. قوي الذكاء متفننا فى العلوم ، لم يماثله أحد من أهل زمانه فى العلم الرياضي ، ولا يقرب منه ، وكان دائم الاشتغال ، كثير التصنيف .... لخص كثيرا من كتب جالينوس فى الطب ، وكان خبيرا بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية ، إلا أنه لم يباشر أعمالها ولم تكن له دربة بالمداواة ، وتصانيفه كثيرة الافادة ... " (٣) .

وقال عنه " روز بول " فى كتابه المختصر فى تاريخ الرياضيات :

" ان ابن الهيثم برهن على نظريات كثيرة فى علم الفيزياء الحديثة ، كانكسار الأشعة ، مما أدى الى تقدم هذا العلم الى ما هو عليه الآن " (٤) .

وقال عنه " هورد ايفز " فى كتابه مقدمة تاريخ الرياضيات :

" ان ابن الهيثم الذى عاش فيما بين ٩٦٥م الى ١٠٣٩م ، قد اشتهر بنظرياته المعروفة لدينا نحن الرياضيين برسائل ابن الهيثم ، وبدون شك أنه أعظم رياضي مسلم فى ذلك العصر ، وأعظم فيزيائي مسلم فى جميع العصور ، وفضله لا ينسى بحكم مؤلفاته المشهورة بالبصريات " (٥) .

---

(١) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات ، مرجع سابق ، ص١٣٨ .

(٢) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٠ .

(٤) نقلا عن : على عبد الله الدفاع : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

وقال عنه المؤلف " كيلى " فى كتابه تاريخ الفلك :

" ان مؤلفات ابن الهيثم لها طابع رياضى خاص، وخاصة فى علم الهندسة وهو بدون شك أول من شرح حدوث قوس قزح ، والكسوف والخسوف، وعلم الظل ، والعدسات المقعرة والمحدبة " (١) .

وقال عنه أيضا " حكيم محمد سعيد " رئيس مجلس العلوم فى كراتشى بمناسبة الحفل السنوى الذى أقيم عام ١٣٨٩هـ لابن الهيثم فى الباكستان :

" بدون شك أن وقوف الإنسان على القمر يرجع الى تقدم التكنولوجيا الحديثة ، ولكن يجب أن يعتبر ابن الهيثم رائد هؤلاء العلماء الأمريكيين حيث إن كل نظرياتهم الرياضية مقتبسة من ابتكارات أبى على .

لهذا باستطاعتى أن أقول إن لدى ابن الهيثم عقل القرن العشرين ، ولكنه عاش فى القرن العاشر ، ومهما حاولت أن أصف عالمنا الكبير فاننى عاجز عن ذلك " (٢) .

منهاجه العلمى ومؤلفاته :

اتبع ابن الهيثم فى معظم أبحاثه ـ وخصوصا ماكان منها فى الضوء ـ منهاجا علميا بناه على الاستقراء (وهو استخراج القاعدة العامة من مفردات الوقائع) فى أغلب الأحيان ، وعلى الاستنباط (وهو تفريع الأحوال المفردة من القاعدة العامة) أحيانا أخرى ، وهو فى كلا الحالتين يلجأ الى القياس (وهو الموازنة بين الوقائع المختلفة والمقارنة بين النتائج) ، وكان سبيله الى ذلك المشاهدة (وهى النظر فى الأمور الجارية فى بيئتها المخصوصة) ، والملاحظة (وهى التفطن لما يتفق ومايختلف من هذه الأمور) . وكان ابن الهيثم يستخدم هذا المنهج على تجاربه كلها ، وقد بالغ فى اعتماد التجارب حتى انه قام باعادة التجارب التى كان اليونان قد جربوها واستخرجوا قواعدها (٣) .

(١) على عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٣) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

وقد ساعد ابن الهيثم على انتهاج هذا المنهج العلمي - الذى وضعه لنفسه ولمن جاء بعده من العلماء - معرفته الجيدة بالرياضيات والفلسفة ، فالرياضيات مكنته من تنظيم بحوثه ، والفلسفة ساعدته على تخيل الأمور ، واجادته لتدوين النتائج التى يتوصل اليها فى جداول خاصة للتبويب، وكذلك إخلاصه وتفانيه فى طلب العلم ، لإظهار الحق (١).

وهذا المنهج العلمى الذى سار عليه فى معظم أبحاثه وخصوصا فى علم الضوء هو الذى سماه الباحثون فيما بعد بالمنهج العلمى التجريبى ، والمنهج التجريبى الذى ابتكره ابن الهيثم هو الذى أدى إلى النتائج الرائعة التى وصل اليها العقل البشرى فى كل ميدان من ميادين العلم وفى كل منحى من مناحى الحياة (٢).

وقد صنف ابن الهيثم مؤلفات كثيرة فى مختلف فروع المعرفة ، إلا أن أكثر المؤلفات التى صنفها كانت فى العلوم الرياضية والطبيعية (٣)، وكان يهدف الى تحقيق عدة أمور من وراء دراساته وأبحاثه ومصنفاته منها :

١ - طلب العلم وإيثار الحق ، والتقرب إلى الله بادراك العلوم النفيسة (٤)، وهو فى ذلك يقول :

" فلما كملت لإدراك الأمور العقلية ، انقطعت الى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتى وحدسى إلى ادراك مابه تنكشف تمويهات الظنون وتنقشع غيابات المتشكك المفتون ، وبعث عزيمتى إلى

---

(١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) العلم الطبيعى : هو علم يبحث عن الجسم من جهة مايلحقه من الحركة والسكون ، فينظر فى الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون فى الأرض من العيون والزلازل وفى الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك ، وفى مبدأ الحركة للأجسام . انظر ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٩٢ .

(٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٨ .

تحصيل الرأى المقرب إلى الله جل ثناؤه ، المؤدى الى رضاه الهادى لطاعته وتقواه ... "(١).

٢ - إفادة من يطلب الحق ويؤثره (٢).

٣ - إثبات وتحقيق لما درسة وأتقنه من علوم الأوائل الرياضية والطبيعية والإلهية التى درسها (٣).

٤ - علم الحق والعمل بالعدل فى جميع الأمور الدنيوية (٤).

وكان ابن الهيثم ملتزما بالأمانة العلمية فى كل أبحاثه ومصنفاته ، فهو لا ينسب ما قاله غيره لنفسه ، وينصح غيره أيضا بذلك ، فيقول : "إذا وجدت كلاما حسنا لغيرك فلا تنسبه الى نفسك ، واكتف باستفادتك منه ، فان الولد يلحق بأبيه ، والكلام بصاحبه "(٥).

وكان إذا توصل فى أثناء دراسته إلى أشياء جديدة قال بلا فخر ولا غرور ولا عجب : " ولا نعرف واحدا من المتقدمين ولا المتأخرين بيّن هذا ولا وجدناه فى شيئ من الكتب "(٦).

وقد ذكر ابن أبى أصيبعة(٧) فى كتابه عيون الأنباء ، اكثر من تسعين كتابا

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٥٨ .

(٥) ظهير الدين البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ، تحقيق محمد كرد على ، دمشق ، مطبعة المفيد الجديدة ، ١٣٩٦هـ ، ط٢ ، ص ٨٨ .

(٦) بشار محمد سعيد قاسم ، وعلى يوسف فرح : الحسن بن الهيثم وأثره على المسيرة العلمية الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٧) هو موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن أبى أصيبعة السعدى الخزرجى ، ولد فى مدينة دمشق عام ٦٠٠هـ ، فى بيت علم وأدب ، كان والده من أمهر أطباء العيون فى دمشق ، اشتهر ابن أبى أصيبعة بذكائه وحسن مداواته لأمراض العيون ، انظر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ، ص ٥ .

ومقالة لابن الهيثم في مختلف فروع المعرفة، ومن أهم مؤلفات ابن الهيثم مؤلفاته فـــى :

أولا : علوم الرياضيـــات:

حيث وضع ابن الهيثم اكثر من ثلاثين مؤلفا في علوم الرياضيات، نذكر منها :

١ - مقالة في شرح مصادرات كتاب اقليدس في الهندسة والعدد .
٢ - مقالة في حساب المعامـــلات .
٣ - مقالة في أصول المساحة .
٤ - كتاب في بركار القطـــوع .
٥ - مقالة في أصول المساحـــة .
٦ - مقالة في مساحة الدائـــرة .
٧ - مقالة في أن الكرة أوسع الأشكال المجسمة التي احاطتها متساويـــة وأن الدائرة أوسع الاشكال المسطحة التي احاطتها متساوية .
٨ - مقالة في خواص القطع المكافئ .
٩ - مقالة في خواص القطع الزائد .
١٠- مقالة في حل شكل من مجسمات اقليدس .
١١- قول في استخراج ضلع المكعـــب .
١٢- قول في استخراخ ضلع المسبـــع .
١٣- قول في مسألة عدديـــة .
١٤- مقالة في حساب الخطأيـــن .
١٥- مقالة في علل الحساب الهنـدى .
١٦- مقالة في أعمدة المثلثـــات .
١٧- مقالة في خواص الدوائر .
١٨- مقالة في شكل بني موســـى .
١٩- مقالة في عمل مخمس في مربـــع .
٢٠- مقالة في عمل المسبع في دائرة .
٢١- قول في مسألة عددية مجسمـــة .
٢٢- قول في مسألة هندسيـــة .
٢٣- مقالة في أعظم الخطوط التي تقع في قطعة الدائرة .
٢٤- كتاب الجامع في أصول الحســـاب .

٢٥- مقالة فى استخراج مابين بلدين فى البعد بجهة الأمور الهندسية . وغيرها (١) .

ثانيا : علم الضوء ، أو علم المناظر (٢) "البصريات" :

يعتبر ابن الهيثم المؤسس الأول لعلم الضوء على أصوله العلمية ، وله عدة مؤلفات فى علم الضوء منها :

١ - مقالة فى المرايا المحرقة بالقطوع .

٢ - مقالة فى المرايا المحرقة بالدائرة .

٣ - مقالة فى اختلاف النظر .

٤ - مقالة فى الضوء .

٥ - كتاب فى " المناظر " (٣) ، وغير ذلك .

ويعتبر كتاب " المناظر " من أهم المؤلفات التى ألفها فى علم الضوء ، حيث إنه جمع فى هذا الكتاب جميع المعلومات المشتتة فى علم الضوء ، وأعاد تحقيقها وتصحيحها حتى أرسى للعالم القاعدة الصلبة لعلم الضوء (٤) .

---

(١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٤ ، ٥٦٠ .

(٢) علم المناظر : هو علم يتعرف منه أحوال المبصرات - فى كميتها وكيفيتها - باعتبار قربها وبعدها عن النظر ، واختلاف اشكالها وأوضاعها ، ومايتوسط بين الناظر والمبصرات ، وغلظته ورقته ، وعلل تلك الأمور . وفائدته : معرفة أحوال الأبصار ، وتفاوت المبصرات ، والوقوف على سبب الأغاليط الحسية الواقعة فيها . ويستعان بعلم المناظر على معرفة مساحة الأجرام البعيدة أنظر : طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ، جـ١ ص ٣٥٢ .

(٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

(٤) بشار محمد سعيد قاسم ، على يوسف فرخ ، الحسن بن الهيثم وأثره على المسيرة العلمية الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

ثالثا : علم الفلـــــك :

ساهم ابن الهيثم مع علماء المسلمين فى اعطاء علم الفلك حقه من الدراســـة والبحث، حيث إنه قد ألّف فى علم الفلك مايزيد على أربعة وعشرين مؤلفا، نذكـــر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلى :

١ - مقالة فى استخراج ارتفاع القطب .
٢ - هيئة العالـــم .
٣ - مقالة فى أضواء الكواكب .
٤ - رسالة فى الأعمار والآجال الكونية .
٥ - مقالة فيما يعرض من الاختلافات فى ارتفاعات الكواكب .
٦ - مقالة فى رؤية الكواكب .
٧ - مقالة فى أختلاف منظر القمر .
٨ - مقالة فى حركة القمر .
٩ - مقالة فى الأثر الذى فى القمر .
١٠ - مقالة فى أبعاد الأجرام السماوية وأقدار أعظامها .
١١ - كتاب البرهان على مايراه الفلكيون فى أحكام النجوم .
١٢ - مقالة فى صورة الكسوف .
١٣ - مقالة فى كيفية الأرصاد .
١٤ - مقالة فى التنبيه على مواضع الغلط فى كيفية الرصد .
١٥ - مقالة فى المجـــرة .
١٦ - مقالة فى الرد على من خالفه فى ماهيه المجرة .
١٧ - مقالة فى حل شكوك المقالة الأولى من كتاب المجسطى. (١) وغيرها .

رابعا : علم الطـــب :

ولابن الهيثم مؤلفات فى الطب نذكر منها :

١ - مقالة فى إبطال رأى من يرى أن العظام مركبة من أجزاء كل جـــزء منها لا جزء له .
٢ - رسالة فى تأثير اللحون الموسيقية فى النفوس الحيوانية .

---

(١) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص٤ ٥٥ ، ٥٦٠.

٣ ـ كتاب تقويم الصناعة الطبية .[١]

ولابن الهيثم مقالات فى الأدب منهـا :

١ ـ رسالة فى صناعة الشعـر .

٢ ـ كتاب صناعة الكتابة على أوضاع الأوائل وأصولهم .

٣ ـ مقالة فى أدب الكتاب .[٢]

وله أيضا رسالة لطيفة فى الأخلاق[٣] ، وكتاب فى السياسة .[٤]

وفاتـــه :

مرض ابن الهيثم فى آخر أيامه بمرض الإسهال الدموى ، وكان كلما تناول شيئا من الأطعمة الممسكة قاءها ، فأيس من نفسه وقال : " ضاعت الهندسة ، وبطلت المعالجة وعلم الطب ، ولم يبق الا تسليم النفس الى خالقها وبارئها "[٥] . ثم وجه نفسه الى القبلة بعد ماعانا الاسهال بأسبوع وقال : " إليك المرجع والمصير يارب ، عليك توكلت وإليك أنبت "[٦] . ثم فاضت روح ابن الهيثم الى بارئها فى عام ٤٣٠هـ بمصـر .

وقد كانت حياة ابن الهيثم مليئة بالبحث والسعى فى طلب العلم ، وكان من العلماء المسلمين البارزين الذين كان لهم الباع الكبير فى وضع الكثير من القوانين والنظريات العلمية التى أصبحت فيما بعد نبراسا يهتدى به العلماء وطلاب العلم .

---

(١) ابن أبى أصيبعة :عيون الانباء فى طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص٥٥٧ ، ٥٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ .

(٣) ظهير الدين البيهقى :تاريخ حكماء الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .
وانظر: ابن أبى أصيبعة : ص ٥٦٠ .

(٤) ابن أبى أصيبعة ، المرجع السابق ، ص ٥٦٠ .

(٥) ظهير الدين البيهقى ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٦) المرجع السابق ، نفس المكان .

ثانيا : آثار عامة فى المجال الحضـــارى :

للإلتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال الحضارى مظاهر حضارية كثيرة ورائعة فى كافة مجالات الحياة، وسوف يقتصر الباحث على ابراز بعض المظاهر الماديـــة فى الحضارة الاسلامية ، وذلك لإيضاح تأثير القيم الأخلاقية المستمدة من العقيدة الاسلامية على الجوانب المادية من الحضارة الاسلامية .

١ : الإهتمام بالزراعـــــة :

الإنسان كائن حى ، يحتاج دائما إلى توفر الحاجات التى تكفل له استمـــرار حياته فى هذه الدنيا ، وأهم شيئ يكفل له بقاؤه حيا هو توفر الماء والغذاء لـــه لذلك نجد الانسان منذ دخوله حقبة التاريخ أخذ يبحث عن الأماكن التى تصلح للزراعة، لكى يوفر لنفسه الغذاء الذى يضمن له البقاء بعد الله سبحانه وتعالـــى . فالاهتمام بالزراعة أمراً طبيعيا وحيويا من قبل الانسان .

والعقيدة الاسلامية كما نعلم تحث معتنقيها دائما على إشباع حاجاتهـــــم الفطرية- باتزان - وذلك لكى يستطيعوا أن يقوموا بالمهمة المنوطة بهم، وهـــــى الإستخلاف وعمارة الأرض وفق المنهج الربانى ، فهى توجه معتنقيها - ضمـــــن توجيهاتها المتعددة فى جميع المجالات - إلى الاهتمام بالزراعة، وكذلك إلـــى الإهتمام باستصلاح الأرض الموات، لأن إستصلاح الأراضى هو الأساس للتقـــدم الزراعى ، فقد قال صلى الله عليه وسلم :

(مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنســـان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم

(من أعمـــر أرضـــا ليست لأحد فهـــو أحـــــق) (٢) .

---

(١) احمد بن على بن حجر العسقلانى :فتح البارى ، مرجع، جـ٥ ص ٣ .

(٢) المرجع السابق، جـ٥ ص ١٨ .

وفي رواية (من أحيا أرضا ميتة فهي له) (١) .

ونتيجة لهذه التعاليم الاسلامية التي جاءت موافقة لتلبية حاجة أساسية لدى الإنسان ، إهتم المسلمون بالجانب الزراعي إهتماما كبيرا ، فبعد أن أستقرت الدولة الاسلامية بعد عملية الفتح ، وجه خلفاء الدولة الإسلامية عنايتهم إلى تشجيع الزراعة ، فأمروا بشق الترع وحفر القنوات وبناء السدود ، وإقامة الجسور في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ، وكذلك شجعوا على إستصلاح الأراضي الزراعية التي تركها أصحابها ، والتي كانت في المناطق التي كانت خاضعة للدولتين الفارسية والبيزنطية ، حيث أن الزراعة كانت مهملة في المناطق التابعة لهاتين الدولتين بسبب الضرائب التي كانت تفرض على المزارعين (٢) . وعند ماآلت بعض المناطق التي كانت تابعة للفرس أو البيزنطيين إلى الدولة الإسلامية ، اهتم بها الخلفاء إهتماما كبيرا كعادتهم في أي منطقة تخضع لسيطرتهم ، حيث إن المسلمين كانوا عند ما يفتحون أي منطقة فانهم يهتمون بشيئين في آن واحد ، هما بناء المسجد وتنظيم الحقل (٣) .

ونتيجة لهذا الإهتمام من قِبل الدولة الإسلامية بالجوانب الزراعية ، ونتيجة للسياسة الزراعية التي اتبعتها الدولة الإسلامية الناتجة من تعاليم العقيدة الاسلامية ، بدأت صفحة جديدة في الميدان الزراعي ، أسوة بما حدث في مختلف ميادين الحياة ، حيث إن الزراعة أصبحت علما له أصوله وقواعده ، وأصبح لها علماء متخصصون ، وظهرت لها عدة موءلفات .

---

(١) احمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مرجع سابق ، جـ٥ ، ص١٨ .

(٢) محمد ابراهيم الصيحى : التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، مكتبة الوعى ، ١٩٦٩م ، د .ط ، ص٩٢٨ .

(٣) أنور الرفاعى : النظم الاسلامية ، د .م ، دار الفكر ، د .ت ، د .ط ، ص٢٣٥ .

ومن أشهر علماء الزراعـــة :

١ - أبو بكر أحمد بن وحشيـــة :

يعتبر من أوائل من أهتم بعلم الزراعة ، وهو من علماء القرن الثالث الهجري ، وله كتاب (الفلاحة النبطية)[(١)]. وقد أوضح ابن وحشية غرضه من تأليف كتابـــه (الفلاحة النبطية) بقوله في مقدمة الكتاب : " أنه يكتبه بقصد صلاح الأرض وإصلاح الزروع والشجر والثمار وعلاج آفاتها "[(٢)]. وهذا نابع عن تمسكه بعقيدته الإسلاميـــة التي تحثه على مثل هذا العمل التعبدي . وقد قسم ابن وحشية كتابه هذا إلـــى عدة أبواب، في ذكر خواص الزيتون واستنباط المياه ، وكيفية حفر الآبار ، والإحتيال في زيادة ماء البئر ، وصفة إطلاع الماء من عمق بعيد ، وصفة افلاح التلقيح وزرعـــه وغرسه ، ثم يبين في كتابه مختلف أنواع النبات وكيفية زرعها وريّها وتسميدها ، ثـــم بيّن كيفية عمل البيادر وخزن الحنطة ، ويبين أيضا أوقات الزرع ومعرفة الأهوية[(٣)].

٢ - أبو زكريا يحيي بن محمد بن أحمد بن العوام الاشبيلي :

يعتبر من أشهر من كتب في علم الزراعة ، وهو من علماء القرن السادس الهجري ، وله كتاب (الفلاحة الأندلسية)[(٤)]، ويقع كتاب ابن العوام هذا في أربعة وثلاثـــين فصلا ، تبحث الفصول الثلاثون الأولى منها في الفلاحة بينما تبحث الفصول الأربعة الأخيرة في تربية الماشية . وقد أكد ابن العوام أنه لم يثبت في كتابه إلا ما جرّبـــه مرارا فصح ، وهذا إن دل على شيئ فانما يدل على تحريه الإتقان في العمل ،

---

(١) حكمت نجيب عبد الرحمن : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل، ١٩٨٥م، ط٤ ، ص ٣٣٥ .

(٢) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمي للحضارة الاسلامية ومكانته في تاريـــخ العلم والحضارة ، ج.م.ع، دار المعارف ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) حكمت نجيب عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ٣٣٥ .

وكذلك ذكر فى كتابه المصادر التى استقى منها[١]، وهذا أيضا دليل أمانتـــه العلمية، وكل هذا بالطبع ناتج عن تمسكه بالعقيدة الاسلامية .

وتحدث ابن العوام فى كتابه المذكور عن معرفة نوع الأرض، وذكر السواد دليل الحرارة وكذلك الحمرة ،إلا أن حرارة الحمرة أقل من السودة ،ثم يتلوه الصفـــرة، ويقول إن أنت مارست الطين بيديك فأصبته شبيها بالشمع يلصق شديدا فاعلـــم أنها أرض غير موافقة للبقول، وذكر أن أجود الأرض البنفسجية ،ثم شديدة الغبرة لأن فيها تخلخل (مسامية) وطعم ترابها عذب (أى خالية من الأملاح) .

وتحدث أيضا عن أنواع الأسمدة البلدية وكيفية استعمال الأزبال فى الشجـــر والخضر ،وعن أنواع المياة المستعملة فى سقى الأشجار والخضر، ويبين أنـــــه يستدل على قرب الماء بأنواع النبات وطعمه ويلون وجه الأرض، ثم يصف ابن العـــوام فى كتابه عملية تذكير الأشجار، ويتحدث عن الأشجار المتحابة والمتنافرة، ويوصـــى فى غرس البساتين بألا يكون غرس الأشجار غرسا مختلطا ،بل ينبغى أن تكـــون الفرج التى بين الغرس على قدر طبع الأرض وقوتها .

ويقول فى أوقات الغرس أنها تختلف على قدر اختلاف البلدان والأمم أو الربيع أو الخريف، ويقول أيضا : ولا تأخذ من الغرس إلا مايلى الشمس فهى تحره وتدبغه، وكلما أحرته الشمس فهو أجود ،ولا تأخذ غرسا أبدا من ناحية الشمال وماجـــاوز الشمال فانه ظليل قليل الحمل قليل التعلق ،وينبغى أن تأخذ الأغصان من أعلـى الشجرة ،ومن اكثر الأشجار حملا وأطيبها طعما ،فان المؤونة والنفقه فى غـــراس النوع الجيد وعمارته والردىء فسواء ففراسة الجيد أولى[٢].

وهكذا نرى كتاب ابن العوام الاشبيلى يعالج مختلف العلوم الزراعية بأسلـوب

---

(١) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية ومكانته فى تاريـــخ العلم والحضارة ،مرجع سابق ،ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ،ص ١٤٤ - ١٤٥ .

علمي جيد ومنهج تجريبي بسيط .

وقد تحدث بعض الكتاب الأجانب عن قيمة وأهمية كتاب ابن العوام ، فقد قال عنه " انطون باسي " في تقرير له قدمه سنة ١٨٥٩م الى الجمعية الوطنية الزراعية الفرنسية : " ليست قيمة كتاب ابن العوام في أنه يحوى الفنون الزراعية القديمة التي كانت تمارس في الأندلس فحسب ، بل له قيمة ثابتة هي الكشف عن ملاحظات للمسلمين - في الطبيعة والكيمياء "(١) .

وقال عنه اليهودي " ول ديورانت " : " ان كتاب الفلاحة لابن العوام الاشبيلي كان اكمل بحث في علم الزراعة ألف في القرون الوسطى برمتها "(٢) .

أما الحاصلات والانتاج الزراعي في أرجاء الدولة الاسلامية ، فقد تعددت وذلك لتباين أقاليم الدولة الاسلامية في التربة ، والمناخ ، والري .

ففي بلاد المغرب أشتهرت زراعة الزيتون ، كما زرعت كثير من أنواع الفواكه كالعنب والخوخ والفرسك ، والكروم والكمثرى ، والسفرجل المعنق ، والأترج ، وزرعت من الحبوب القمح والشعير والكمون . وزرعت من المكسرات الجوز واللوز ، وزرعت من الألياف القطن والكتان ، كما زرعت البقول والجزر والكراويا والعصفر(٣) .

وفي مصر زرع من الحبوب القمح والشعير والأرز ، ومن الفواكة الموز وقصب السكر والعناب ، والنخيل ، ومن الألياف زرع الكتان والقطن(٤) .

وفي بلاد الشام زرعت من الحبوب القمح ، والشعير ، ومن الفواكة الحمضيات ،

---

(١) نقلا عن : زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، د .ت ، د .ط ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٢) نقلا عن : أحمد فؤاد باشا : التراث العلمي للحضارة الاسلامية ... ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

(٣) أبي القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م ، د .ط ، ص ٧١ - ٩٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٤٨ .

والكروم ، والرمان ، وقصب السكر ، ومن المكسرات زرعت الجوز ، واللوز ، والفستق ، كما اشتهرت بلاد الشام بزراعة الزيتون خاصة في فلسطين (١) .

أما العراق فقد اشتهرت بزراعة التمور ، كما زرعت من الحبوب القمح ، والشعير ، والأرز ، والسمسم ، ومن الفواكة الرمان ، والأترج ، والكروم ، ومن المكسرات الجوز واللوز ، وكذلك زرع في العراق القطن والزيتون (٢) .

وفي خوزستان زرعت من الحبوب القمح ، والشعير ، والأرز ، وكذلك زرعت التمور وقصب السكر ، والفول (٣) .

وفي فارس زرعت التمور ، والكروم ، والزيتون ، والتفاح ، والجوز ، والأترج (٤) .

وفي أرمينية وآذربيجان والراين ، زرعت من الحبوب القمح ، ومن الفواكة العنب ، ومن المكسرات الجوز والبندق (٥) .

وفي خراسان وسجستان ، زرعت التمور ، والكروم ، والقطن ، والأرز (٦) .

هذه بعض المحاصيل الزراعية التي زرعت في بعض أقاليم الدولة الإسلامية في زمن الدولة الاسلامية ، أو في زمن الخلافتين الأموية والعباسية ، والتي استعرضناها كمظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية لدى المسلمين عندما كانوا متمسكين بالعقيدة الاسلامية ، التي كانت هي الدافع لهم في كل نشاط هادف يقومون به .

ولكن لابد لنا بعد أن أوضحنا الجانب المادي من النشاط الزراعي أن نوضح القيم الاسلامية الملازمة لهذا النشاط الزراعي الذي يقوم به المزارع المسلم .

---

(١) أبي القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩١ - ٢١٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ، ٢٥٩ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٣٤٥ - ٣٦٨ .

لأن أى نشاط زراعى مادى يمكن أن تقوم به أى حضارة إذا طبقت القوانين الطبيعية للزراعة، ولكن النشاط الزراعى فى الحضارة الإسلامية نشاط مادى متميز حيث إنه مقيد بقيم إسلامية نابعة من العقيدة الإسلامية، فهو بذلك نشاط خيِّرٌ وهادف .

فالمزارع المسلم عندما يقوم بنشاطه الزراعى يقوم به وهو يهدف من ورائه منفعة نفسه ومنفعة بني البشر من جنسه، ومنفعة الحيوان والطير، مسترشدا فى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم :

(ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)(١) .

فهو بعمله هذا يعبد الله سبحانه وتعالى، لأن نشاطه الزراعى الذى يقوم به نشاط خيِّرٌ فهو بذلك نشاط تعبدى، وكذلك فأنه مأجور على هذا العمل فى الدنيا والآخرة، مأجور فى الدنيا بما يأخذه من مال مقابل زراعته، ومأجور فى الآخرة بالثواب من عند الله، لأنه أفاد مخلوقات كثيرة بنشاطه الزراعى الخيِّر .

وكذلك فإن المزارع المسلم يمارس نشاطه الزراعى وهو متوكل على الله سبحانه وتعالى فى عمله، والتوكل على الله فى جميع الأمور من أفضل أنواع العبادات القلبية التى يتقرب بها العبد الى الله سبحانه وتعالى، فهو يقوم بفعل الأسباب من حراثه وبذر للبذور وسقىٍ، ويتوكل فى الباقى على الله سبحانه وتعالى، مسترشدا فى ذلك بقوله تعالى :

« أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ »(٢)

فهو قام بفعل الأسباب ولم يتواكل .

وكذلك فإن المزارع المسلم عضوٌ فعّالا فى تدعيم التكافل الاجتماعى فى المجتمع

---

(١) أحمد بن على بن حجر العسقلانى : فتح البارى، مرجع سابق، جه ص ٣ .

(٢) سورة الواقعة، آية : ٦٣، ٦٤ .

الاسلامى ، فهو يقوم بأداء ركن أساسى من أركان الإسلام - الزكاة - للمستحقين فى المجتمع الإسلامى ، فأول شيئ يعمله المزارع المسلم بعد الحصاد هو إخراج الزكاة التى فرضها الله عليه بنفس راضية مطمئنة ، لأن العقيدة الإسلامية التي يعتنقها المزارع المسلم وينفذ تعاليمها كانت عادلة فى وضع القواعد التى يسير عليها المزارع المسلم فى اخراج زكاة الحبوب والثمار التى يزرعها . فهى قد راعت عدة أمور عند تحديد مقدار الزكاة ، فالمزارع التى تعتمد على ماء المطر فى ريّها لها مقدار معين من الزكاة متى توفرت شروط إخراج الزكاة ، وكذلك المزارع التى تعتمد فى ريّها على الماء المجلوب لها من الآبار والعيون عن طريق الدواب والآلات لها مقدار معين من الزكاة أقل من مقدار الزكاة الذى يؤخذ من المزارع التى تعتمد فى ريها على ماء المطر ، وأيضا المزارع التى تعتمد فى ريّها على ماء المطر وعلى الماء المجلوب لها من الآبار والعيون عن طريق الدواب والآلات مقدار الزكاة الذى يؤخذ منها يختلف عن مقدار الزكاة الذى يؤخذ من المزارع التى تعتمد فى ريّها على ماء المطر ، والمزارع التى تعتمد فى ريّها على الماء المجلوب لها عن طريق الدواب والآلات (١) . وهذه القواعد المتبعة فى إخراج زكاة الحبوب والثمار جعلت المزارع المسلم يشعر بالعدل والرحمة فى ظل هذه العقيدة الربانية .

وكذلك فان المزارع المسلم ملتزم بالأخلاق الإسلامية ، فهو لا يقوم بزراعة المزروعات التى تضر بالإنسان ، لأن عمله عبادة يتقرب به إلى الله ، فاذا زرع مزروعات تضر بالإنسان فإن نشاطه الذى قام به لزراعة هذه المزروعات المضرة نشاط غير خيِّر ، فهو يؤثم عليه ، وكذلك فإن تشريعات عقيدته الإسلامية توجب على ولى أمر المسلمين أن يقيم عليه العقوبة الدنيوية فى الدنيا ، وسوف يجد كذلك حسابه

---

(١) منصور بن يونس البهوتى : الروض المربع بشرح زاد المستنقع ، تصحيح ومراجعة أحمد وعلى شاكر ، القاهرة ، دار التراث ، د . ت ، د . ط ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

عند الله فى الآخرة . لذلك لم يذكر التاريخ أن المسلمين قاموا بزراعة المخدرات كالحشيش والأفيون والمروانة والكوكائين والهروبين لأغراض تجارية . ولم يذكر في التاريخ أيضا أن المسلمين قاموا باتلاف المحاصيل الزراعية في البحار والمحيطات لكي يحافظوا على سعر المحصولات الزراعية . وهذا بالطبع ناتج عن تمسك المزارعين المسلمين بعقيدتهم الإسلامية التي لا تقر مثل هذه الأعمال .

معطيات المسلمين الزراعية :

من معطيات المسلمين الزراعية ، أنهم درسوا صلاحية كل تربة لأنواع النباتات وهذا أدى إلى إستغلال الأراضي الزراعية الإستغلال الأمثل (١)، حتى إن المسلمين استطاعوا بجهودهم العلمية المبذولة في مجال الزراعة أن يستفيدوا من المرتفعات وسفوح الجبال التي ما كان أحد يظن أنها يستفاد منها في المجال الزراعي ، وذلك لطبيعة أرضها ولجفافها الدائم (٢).

كما أن المسلمين أفادوا غيرهم - ممن لا يعرفون أساليب زراعة بعض أنواع النباتات - بتعليمهم طرق زراعة التفاح والخوخ واللوز والمشمش والبرتقال والموز والنخيل وقصب السكر والبطيخ (٣).

كذلك اهتم المسلمون بدراسة الأسمدة ، وعرفوا السماد الصالح لكل نوع من النباتات ، كما عرفوا طريقة التلقيح الزراعي لبعض النباتات كالكروم والتين ، كما أبدعوا في عملية تلقيح بعض الأشجار من بعض فاستخرجوا أصنافا جديدة (٤)، من الثمار لها ميزات خاصة تتميز بها عن مثيلاتها .

---

(١) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٦م ، ط٥ ، ص ٣٠٠ .

(٢) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقى ، بيروت ، دار الافاق الجديدة ، ١٤٠٦هـ ، ط٨ ، ص ٤٩٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

(٤) أبو زيد شلبى : المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

ومن معطيات المسلمين الزراعية أيضا أنهم أدخلوا إلى دول أوروبا وخاصة أسبانيا نباتات لم تكن معروفة لدى الأوربيين كالأرز وقصب السكر والزيتون والمشمش.(١)

وبفضل جهود المسلمين العلمية في المجال الزراعي ، كانت أراضي الدولة الاسلامية في الاندلس تنتج ثلاثة أو أربعة مواسم كل عام.(٢)

٢ : العناية باقامة الصناعات :

كان المشهور والمتعارف عند العرب قبل الإسلام هو كراهية العمل في الصناعات اليدوية واحتقارها ، واحتقار من يعمل فيها ، لدرجة أنهم كانوا لا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم . وكان السبب في كراهيتهم للعمل في الصناعات اليدوية هو أن الذين كانوا يمارسون العمل في هذه الصناعات اليدوية فئة من العبيد ، فاحتقارهم للصناعات اليدوية يعود الى هوان شأن الذين كانوا يعملون بها.(٣)

وبعد أن بزغ نور العقيدة الإسلامية ، التي جاءت هادية وموجهة لجميع نواحي الحياة ، كان لها الدور الملحوظ في تحطيم هذا الإرث الثقافي الخاطئ.

ولقد لفت القرآن الكريم الأنظار لعدة صناعات ، فقال تعالى :

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ».(٤)

وقال تعالى :

« ... وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ .. ».(٥)

---

(١) أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة الاسلامية ... ، مرجع سابق ، ص ٣٠١ .

(٢) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٤٩٧ .

(٣) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦م ، د.ط ، ص ٥٦٨ - ٥٦٩ .

(٤) سورة النحل ، آية : ٨٠ .

(٥) سورة النحل ، آية : ٨١ .

وقال تعالى :

((وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (١).

كما وجه القرآن أنظار المسلمين إلى أهمية الحديد ، فقال تعالى :

((وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)) (٢)

وكذلك رغب النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى الأعمال اليدوية ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام :

(ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) (٣).

بهذه الإرشادات الربانية وبهذا الترغيب النبوى ، استطاعت العقيدة الإسلامية أن تحطم الإرث الثقافى الذى كان متعارفا عليه عند العرب ، وغيرهم قبل الاسلام . والغاية واضحة من كل هذه التوجيهات ، وهى أن يستغل المسلم جميع الأشياء التى سخرها الله له فى الأرض الإستغلال الخير ، وأن ينتفع بجميع قوى الطبيعة المودعة فى هذا الكون ، وخيراتها وخزائنها المبثوثة فيها ، وإستخدامها الإستخدام الأمثل ، لكى يقوم بعمارة الأرض وفق المنهج الربانى من غير علو فى الارض ولا فساد (٤).

وكذلك فإن المسلم تطالبه عقيدته الإسلامية ، أن ينتفع بكل ما خلق الله وأودع فى الكون من قوة فى سبيل الجهاد فى سبيل الله ، وفى نشر دين الإسلام وإظهاره على جميع الأديان ، وإعلاء كلمته ، وفيما أباح الله له ورغبه فيه من تجارة مشروعة ،

---

(١) سورة النحل ، آية : ١٤ .

(٢) سورة الحديد ، آية : ٢٥ .

(٣) رواه البخارى .

(٤) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الكويت ، دار القلم ، ١٣٩٣هـ ، ط ١٠ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

وصناعة مشروعة ، ومنافع مباحة ، وفى خدمة البشرية عامة .(١)

ومن المؤكد أن ماشهدته الصناعات الإسلامية من إزدهار ، إنما كان بفضل تقدم العلوم العقلية لدى المسلمين ، لأن الإنتفاع بما أودع الله فى الكون لن يتم بدون علم ، قال تعالى :

((هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ))(٢) .

فهل يستطيع الإنسان أن يمشى بغير علم ؟ أو يستطيع أن يأكل من رزق الله بغير علم ؟ . وقال تعالى :

((وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ))(٣)

وهل يستطيع المسلمون أن يصنعوا السلاح بدون علم ؟ . قال تعالى :

((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ))(٤) .

فهل يتحقق التسخير بغير علم ؟ أم يحتاج تحقيق التسخير الى جهد علمى ؟(٥) .

لذلك نجد أن المسلمين أول ما أهتموا به فى بداية نهضتهم العلمية والحضارية هو طلب العلم ، ومن ثم فإن جميع ماتحقق لديهم من نهضة علمية وحضارية فى جميع المجالات ، إنما هو نتيجة طبيعية للإهتمام بطلب العلم والعمل به .

وقد أعتنى خلفاء الدولة الاسلامية بالصناعة عناية كبيرة ، فشجعوا على إستخراج الثروات المعدنية على إختلاف أنواعها . فاستخرجت الفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان وبيروت ، كما استخرج المرمر من تبريز

---

(١) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) سورة الملك ، آية : ١٥ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

(٤) سورة الجاثية ، آية : ١٣ .

(٥) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

والملح والكبريت من شمال فارس .(١)

وقد تعددت أنواع الصناعات التي ازدهرت في العالم الاسلامي من نسيج وسجاد وزجاج ومعادن وجلود وغير ذلك . واستطاع المسلمون أن يطوروا بعض الأساليب الصناعية القديمة ، بل إنهم لم يكتفوا بذلك بل إبتكروا أساليب جديدة في شتى فروع الصناعات ، حتى أنهم إختصوا في فترة من الزمن ببعض الصناعات كصناعة السجاد والتجليد .(٢)

ومن أشهر الصناعات التي لاقت عناية من قبل المسلمين وبرزت خلال القرون الأربعة الأولى :

أ - صناعة النسيج :

من الصناعات التي حظيت بعناية خاصة في العالم الاسلامي صناعة النسيج ، حيث بدأت العناية بصناعة النسيج في العصر الأموي ، ثم أرتقت بعد ذلك وتقدمت تقدما سريعا في الدولة العباسية .(٣)

وكان المسلمون ينشئون مصانع النسيج أينما ذهبوا ، حتى أصبحوا زعماء تجارة المنسوجات في العالم خلال القرون الوسطى(٤) وقد أنتجت مصانع النسيج في العالم الإسلامي أنواعا مختلفة من النسيج كالمنسوجات الصوفية والكتّانية والقطنية والحريرية .(٥) وكانت تصنع من هذه المنسوجات أنواعا كثيرة من الملابس ، كالقمصان

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧م ، ج٤ ص ٣٩١ .

(٢) حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية ، مصر ، دار النهضة المصرية ، ١٩٧٩م ، د .ط ، ص ٣٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

(٤) انور الرفاعي : النظم الاسلامية ، د .م ، دار الفكر ، د .ت ، د .ط ، ص ٢٥٦ .

(٥) حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

والعباءات والجيب والعمائم والمآزر والأبراد ، وملابس النساء وجلابيبهن[(١)] .

وقد نسبت بعض المنسوجات إلى المدن التي صنعت فيها (كالداسكوا) نسبة إلى دمشق ، و (الموسلين) نسبة إلى الموصل ، و (والبلدكين) نسبة إلى بغداد و (الدبيقى) نسبة إلى دبيق[(٢)] . وقد حافظت هذه المنسوجات على أسمائها حتى عندما نقلت صناعتها إلى فرنسا وأوربا فى القرن الثالث عشر الميلادى[(٣)] .

ومن أهم مراكز صناعة النسيج فى العالم الإسلامى - فى تلك الفترة - مصر وإيران والعراق والشام والأندلس وصقلية[(٤)] .

وقد بلغ من إنتشار صناعة النسيج فى الأندلس أن عدد الحائكين قُدِّرَ فى قرطبة وحدها بنحو (١٣٠٠٠) ثلاثة عشر ألف حائك[(٥)] . وأن عدد مصانع النسيج فى مدينة المرية ثمانمائة مصنع لنسج الحرير الفاخر[(٦)] .

وقد ابتكر المسلمون أنسجة جديدة ، ناتجة من خلط الصوف بالقطن ، أو خلط القطن بالكتان ، أو خلط الحرير بالقطن ، فنشأ عن ذلك الخلط أنسجة جديدة عرفت بالديباج والخز[(٧)] .

وصناعة النسيج فى الإسلام نشاط هادف ، ليسد حاجة إنسانية ضرورية .

---

(١) انور الرفاعى : النظم الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

(٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام .. ، مرجع سابق ، ١٩٦٥م ، ط٧ ، جـ٣ ص ٣٢٢ .

(٣) جاك س. رسيلر : الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة ، الدار المصرية ، د.ت ، د.ط ، ص ١٨٧ .

(٤) حسن الباشا : مدخل الى الاثار الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

(٥) محمد ابراهيم الصيحى : أثر العرب فى الحضارة الأوربية ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٦٨م ، د.ط ، ص ٧٦ .

(٦) سعيد اسماعيل على : معاهد التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٨٤ .

(٧) احمد ابراهيم الشريف : دراسات فى الحضارة الاسلامية ، د.م ، دار الفكر العربى ، ١٩٨١م ، ط٢ ، ص ٢٧١ .

قال تعالى : ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)) (١) .
وقال تعالى : ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ..)) (٢) .

وكل نشاط هادف وخيّر يعتبر في الإسلام نشاط تعبدي ، وكل نشاط تعبدي مقيّد بالقيم الخلقية المستمدة من تعاليم العقيدة الإسلامية .

فالمصنوعات النسيجية في الإسلام ينعكس عليها أثر التزام المسلمين القائمين عليها بالقيم الخلقية المستمدة من عقيدتهم الاسلامية . فاختيار الخامات الجيدة في الصناعة عمل أخلاقي تدفعهم إليه عقيدتهم الإسلامية ، وإتقان الصناعة عمل أخلاقي تدفعهم إليه عقيدتهم الإسلامية ، وصناعة الملبوسات التي تحقق في أغلبها قيم أخلاقية عمل أخلاقي تدفعهم إليه عقيدتهم الإسلامية .

ولم يذكر في التاريخ أن المسلمين في عصر نهضتهم قاموا بصناعة ملبوسات رديئة الخامة ، وغير متقنة ، أو قاموا بصناعة ملبوسات نسائية الهدف منها القضاء على القيم الخلقية التي يلتزم بها الناس ، أو لإثارة الشهوات والغرائز الجنسية . وهذا بعكس ماتقوم به الجاهليات المعاصرة ، فهي تقوم بإغراق الأسواق بملبوسات نسائية صنعت خصيصا للقضاء على القيم الخلقية التي يلتزم بها الناس ، خاصة في بلاد المسلمين ، ولإثارة الشهوات والغرائز الجنسية . لأن طبيعة لبس هذه الملبوسات تستوجب على من يريد لبسها أن يتخلى عن القيم الخلقية .

وللأسف الشديد نلاحظ أن الكثير من المسلمين قد استقطبوا هذه الصناعات واستخدموها وتفلتوا بكل سهولة من القيم الخلقية التي كانوا ملتزمين بها بحجة التطور ، حتى إن الإنسان في زماننا هذا يندر أن يلاحظ في بعض الدول الإسلامية إمرأة بجلباب ، لأن الجلباب أصبح في نظر غالبية المسلمين في تلك الدول لا يتناسب والتطور الحضاري الحاصل في القرن العشرين ، وهذا بالطبع عائد إلى عدم تفهم المسلمين لعقيدتهم الاسلامية خاصة من حيث الأمور الثابتة

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٣١ .
(٢) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

والمتطورة، وإلى تدنى مستوى التعليم الدينى ، وتدنى مستوى التربية الإسلامية أيضا فى تلك الدول ، بسبب الأنظمة السياسية القائمة فى تلك الدول ، والتى لا تعطى أهمية كبرى للتعليم الدينى والتربية الاسلامية .

ب - صناعة الورق :

اهتم المسلمون بصناعة الورق إهتماما كبيرا ، لما فيه من الفوائد الكبيرة التى تساعد على نشر العلوم فى سهولة ويسر .

وقبل إنتشار صناعة الورق كان الناس يكتبون على العسب واللخاف والعظام والجلود . وكان الثمن الغالى لهذه الأدوات التى كانت تستخدم للكتابة ، وعدم وفرتها بكميات كبيرة ، عائقا كبيرا فى نشر العلوم (١) .

وقد اقتبس المسلمون صناعة الورق من الصينيين ، واستعملوه فى الأغراض العلمية والأدبية ، ذلك أن الصينيين لم يستخدموا الورق فى الأغراض العلمية والأدبية ، بالرغم من معرفتهم لصناعته منذ أوائل القرن الثانى الميلادى ١٠٥م (٢) .

وأسس المسلمون أول مصنع لصناعة الورق فى عهد الرشيد فى بغداد ، ومن ثَمّ انتشرت صناعة الورق فى جميع أنحاء العالم الإسلامى (٣) فدخلت صناعته سوريا ومصر وشمالى أفريقية واسبانيا (٤) . وبذلك حرروا مادة الكتابة من احتكار بلد من البلدان له واستئثارها به وصيروه رخيصا جدا (٥) .

---

(١) جلال مظهر : حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، د . ت ، د . ط ، ص ٣٨٣ .

(٢) محمد ابراهيم الصيحى : اثر العرب فى الحضارة الأوربية ، مرجع سابق ، ص٧٤ .

(٣) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، د . م ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٨م ، د . ط ، ص ٩٤ .

(٤) جلال مظهر : المرجع السابق ، ص ٣٨٣ .

(٥) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ، لجنة التأليف والنشر ، ١٣٦٠هـ ، د . ط ، جـ٢ ص ٣٠٨ .

ونتيجة لانتشار صناعة الورق في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، ورخص ثمنه ، انتشر العلم والتعليم انتشارا واسعا وسهل على الناس الدرس[1]، كما سهل عليهم إقتناء الكتب، فكثرت بذلك الكتب وانتشرت المكتبات في كل مدينة من المدن الاسلامية ، كما راجت أيضا تجارة الكتب نظرا لإقبال المسلمين بصفة عامة على العلم الذى حثتهم عليه عقيدتهم الإسلامية .

وقد طور المسلمون صناعة الورق ، حيث إنهم نقوه مما كان يستعمل في صناعته من ورق التوت[2]، واستغلوا الياف القطن الوفير جدا في بلاد مابين النهرين ومصر في صناعة الورق[3]، وبذلك تحسنت صناعة الورق ، وأخذت المصانع الإسلامية تنتج نوعا ممتازا من الورق ، وهذا أدى بطبيعة الحال إلى تسهيل إنتاج الكتب، حيث إنه في أقل من قرن من الزمان انتشرت في جميع أنحاء العالم الاسلامي - من قرطبة في الأندلس إلى سمرقند في الصين - مئات الآلاف من نسخ الكتب العلمية والأدبية[4].

وتعتبر صناعة الورق من الصناعات الهادفة لدى المسلمين ، والهدف منها هدف خيّر ، وهو نشر العلم وتسهيل الحصول عليه ، فالإشتغال بصناعة الورق لهذه الغاية عمل تعبدى يوءجر عليه الصانع المسلم ، لأنه يقوم بنشاط خيّر ، واستطاع علماء المسلمين أن يستخدموا الورق الإستخدام الأمثل ، فنقلوا عليه معظم الكتب الثمينة[5]، واستخدموه في نشر العلم ، وكانت تحكمهم القيم الخلقية

---

(١) احمد الشريف : دراسات في الحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧٢ .

(٢) آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٣٠٩ .

(٣) جاك س. رسيلر : الحضارة العربية ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

(٤) جلال مظهر : حضارة الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٨٣ .

(٥) محمد ابراهيم الصيحى : التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، الوعى العربى ، ١٩٦٩م ، د.ط ، ص ٣٢ .

حتى فى نشر العلوم ، فهم لم يستخدموه فى نشر العلوم المحرمة ، ولم يستخدموه فى نشر الأفكار الهدامة ، ولم يستخدموه فى نشر القصص الغرامية ، ولم يستخدموه فى عرض الأجساد العارية عليه لاثارة الغرائز الجنسية لدى الناس، ولم يستخدموه لعرض الأزياء التى يتوجب على من يستخدمها أن يتخلى عن القيم الخلقية ، وكل هذا ناتج عن تمسكهم بعقيدتهم الاسلامية التى دائما تدفعهم الى كل عمل خيّر وتنهاهم عن كل شر . كذلك فان المسلمين لم يبخلوا على غيرهم فى تعليمهم تقنيات هذه الصناعة ،لأنهم يريدون الخير لجميع أفراد المجتمع البشرى ، وهذا عمل فى غاية النبل وفى غاية الأخلاق ، وهو بعكس ماهو موجود اليوم لدى من يدعون أنهم أهل حضارة وتقدم ، ومن يدّعون أنهم يريدون أن ينشروا الخير للانسانية ، فمعظم الدول المتقدمة صناعيا اليوم ، تحتكر تقنيات الصناعات المهمة ولا تسمح لأحد بالاطلاع عليها ،لأنها تريد ان تستعبد البشر وتستغل ثرواتهم بأبشع صورة ، وهذا بالطبع ناتج عن كفرهم وعدم التزامهم بقيمّ أخلاقية ثابتة .

- صناعة المعادن :

تميزت أراضى الدولة الاسلامية بوفرة المعادن ،حيث إنها تعتبر من أغنى الأراضى فى العالم بالمعادن ، قديما وحديثا .

وقد اعتنى خلفاء الدولة الاسلامية باستخراج المعادن وتصنيعها عناية كبيرة، فشجعوا على إستخراج الثروات المعدنية ، وذلك بدافع من عقيدتهم الإسلامية التى دفعتهم لإستغلال جميع الخيرات التى سخرها الله لهم فى الأرض .

وقد أحسن المسلمون الاستفادة من ثرواتهم المعدنية المختلفة ، وأتقنوا الكثير من الصناعات المعدنية واشتهروا بها[(١)] فاستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وفارس

---

(١) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٦م ، ط٥ ، ص٣٠٤ .

وخراسان كما استخرجوا المرمر من تبريز والكبريت من شمال فارس[١]، واللؤلؤ من البحرين وعمان[٢].

ونتيجة لتعدد أنواع المعادن المستخرجة من أراضي الدولة الإسلامية تعددت بذلك الصناعات المعدنية إلى عدة أنواع ، ومن أبرز هذه الصناعات المعدنية :

- صناعة الأسلحة :

ومن أشهر الأسلحة التي اهتم المسلمون بصناعتها في القرون الاسلامية الأولى هي السيوف، والخوذات، والدروع، والتروس، والخناجر.[٣] وقد أعتنى المسلمون بصناعة الأسلحة إعتناءً كبيرًا ، تنفيذاً لأمر ربهم ، قال تعالى :

« وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... »[٤].

وذلك لكي يزيلوا جميع الطواغيت من جميع الأرض، ولكي يخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

وهذا لا يعني أنهم يكرهون الناس على اعتناق العقيدة الإسلامية ، بل يعني أنهم يجعلون الناس أحرارا فيما يختارون من العقائد ، وذلك بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة التي كانت تضغط على الناس وتجبرهم على إعتناق عقائد معينة،[٥] وبعد شرح العقيدة الإسلامية لهم ، فإن اختاروها فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وإن لم يختاروها فإنهم يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وتكون الحاكمية في مناطقهم لله سبحانه وتعالى .

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، مرجع سابق ، ج٤ ص ٣٩١ .

(٢) أنور الرفاعي : النظم الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

(٣) حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٤٠١ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

(٥) سيد قطب : في ظلال القرآن ، بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ ، ط١ ، المجلد ٣ ، ص ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ .

وكذلك فإن قيام مملكة الله في الأرض، وإزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلى الله وحده، وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية،(١) وتأمين الذين اختاروا العقيدة الإسلامية، وإرهاب أعداء العقيدة الإسلامية لكي لا يفكروا في الإعتداء على دار الاسلام، ولكي لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير (الإنسان) كله في (الأرض) كلها،(٢) كل ذلك لا يتم إلا عن طريق الجهاد المسلح. لذلك أهتم المسلمون في عهد الدولة الإسلامية - في القرون الأولى - بصناعة الأسلحة.

وصناعة الأسلحة نشاط بشري يقوم به أي إنسان في أي حضارة، ولكن هذا النشاط البشري المادي في الحضارة الإسلامية، محكوم بالميثاق الأخلاقي المعقود بين الإنسان وبين الله سبحانه وتعالى،(٣) محكوم بالقيم الأخلاقية المستمدة من تعاليم العقيدة الإسلامية.

وكذلك جهاد المسلمين ضد القوى الكافرة التي تواجههم مقيّد بالقيم الأخلاقية، فهم أثناء قتالهم لهذه القوى الكافرة يلتزمون بالأخلاق الإسلامية الحربية التي أرشدتهم إليها عقيدتهم الإسلامية، قال صلى الله عليه وسلم ناصحا جند الإسلام وهم ذاهبون لقتال الكفار:

((اغزوا باسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغرروا ولا تمثلوا. ولا تقتلوا وليدا ولا شيخا ولا امرأة ...(٤))).

فالمسلمون عندما يقومون بصناعة الأسلحة فإن هدفهم من هذا النشاط الصناعي المادي هدف تعبدي، وهو نشر العقيدة الاسلامية لجميع البشر في أنحاء المعمورة، عن طريق تحطيم القوى التي تواجههم لتمنعهم من نشر

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، المجلد ٣، ص ١٤٣٤.

(٢) المرجع السابق، المجلد ٣، ص ١٥٤٣.

(٣) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٦، ٩٧.

(٤) رواه مسلم.

العقيدة الاسلامية. والنشاط التعبدى فى الاسلام مقيّد بالقيم الأُخلاقية المستمدة من تعاليم العقيدة الاسلامية، فهم ما قاموا بصناعة الأسلحة الكيماوية والجرثومية، والخداعية، حتى لو تمكن المسلمون من صناعة مثل هذه الأسلحة فى الماضى، فإنه لا يمكن أن يستخدموها ضد أى مخلوق، وهذا بخلاف ما هو حاصل اليوم، فان الدول التى تدعى بأنها من أرقى دول العالم تقوم بصناعة جميع أنواع الأسلحة الممنوعة دوليا، وتقوم باستخدامها ضد البشر (من المسلمين).

وقد استخدم السلاح الجرثومى، والخداعى من قِبَل أرذل البشر (اليهود) ضد أبناء المسلمين فى فلسطين المحتلة، فالسلاح الجرثومى كان يستخدم ضد شباب المسلمين الذين لهم دور كبير فى الإنتفاضة الاسلامية فى فلسطين، أما السلاح الخداعى فقد استخدم ضد ابناء الحجارة فى فلسطين المحتلة على شكل حلوى مسممة، تقوم الطائرات اليهودية بإلقائها على المناطق التى يتواجد فيها أطفال المسلمين. كما أن دولة الكفر والالحاد (روسيا) استخدمت هذا السلاح الخداعى ضد المجاهدين الأفغان، وضد أطفالهم ونسائهم وحيواناتهم حيث إنها قامت بزرع ملايين الألغام فى مناطق المسلمين الأفغان، ولكن الأدهى والأمر فى هذا الأمر أن روسيا قامت بصناعة ألغام خداعية على شكل فراشة زاهية الألوان، وأسقطتها على أماكن تواجد فيها المهاجرون الأفغان، وذلك لكى ينخدع بها الأطفال الأبرياء، فهى بمجرد لمسها تنفجر فيه (١) وهذا عمل فى غاية الخسة والنذالة، ولا يدل على وجود ذرة من القيم الأخلاقية أيا كانت وهذا الأمر ليس بمستغرب من أرذل البشر اليهود، ومن الروس الملحدين.

وكما قلنا من قبل فإن مثل هذه الصناعات الحربية اللا أخلاقية ما صنعها المسلمون الأوائل، ولم يفكروا فى صناعتها، مع وجود القدرة على صناعة الأسلحة لأنهم برعوا فى علم الكيمياء، وبرعوا فى علوم الطب. والسبب واضح، وهو أن

---

(١) مجلة الجهاد، العدد الثامن والأربعون، ربيع أول، ١٤٠٩هـ، ص ١٤، ١٨.

عقيدتهم الاسلامية لا تقرهم على مثل هذه الأعمال اللاأخلاقية. ولكن لو تيسرت الفرصة اليوم للمسلمين لصناعة أسلحة كيماوية أو أسلحة نووية هل يقومون بصناعتها أم لا ؟ مع أن العدو يحاربهم بهذه الأسلحة. الجواب في نظر الباحث أن المسلمين مطالبون بصناعة هذه الأسلحة، ولكن إستخدامها يصبح مقيّد، فتستخدم فقط ضد الجيش الذي يواجههم بسلاح كيماوي أو نووي، أما ضد الأطفال والنساء والعجائز والحيوانات فلا .

من هذا نعلم أن السلاح في الاسلام إنما يصنع لهدف خيّر، وكذلك الحرب في الاسلام إنما تكون لهدف خيّر، وهذا نادر في زماننا هذا، لأن الحروب القائمة معظمها لأطماع دنيوية، أو لأحقاد عرقية وكلهما غير مقيّد بقيم أخلاقية، وهذا بخلاف صناعة السلاح في الاسلام، وبخلاف الحرب في الاسلام .

- صناعة الحليّ :

اهتم المسلمون بصناعة الحلي، كالأساور، والأقراط، والقلائد، والخلاخيل والخواتم، والتيجان، وقد لعبت معادن الذهب والفضة والنحاس دورا أساسيا في صناعة الحلي، نظرا لوفرتها في كثير من مناطق الدولة الاسلامية .(١)

وصناعة الحلي وإستخدامها من الأشياء المباحة التي أحلها الله لعباده، والأشياء المباحة تسمح بقدر من الزينة وقدر من الجمال .(٢)

قال تعالى :

((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ..)).(٣)

وصناعة الحلي نشاط بشرى خيّر، فهو بذلك مقيّد بالقيم الخلقية المستمدة من تعاليم العقيدة الاسلامية، لذلك نجد أن صناعة الحلي في الدولة الإسلامية قد تأثرت بتعاليم العقيدة الاسلامية. فعدم إضافة معادن على المعدن الأصلي

---

(١) حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية، مرجع سابق، ص ٣٩٨ .

(٢) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١١٠ .

(٣) سورة الأعراف، آية : ٣٢ .

لصناعة الحلى لغرض زيادة الوزن ، عمل أخلاقى تقتضيه العقيدة الاسلامية ، وإتقان صناعة الحلى وغيرها من الصناعات عمل أخلاقى تقتضيه العقيدة الاسلاميه ، وعدم صناعة الحلى على شكل مجسم لبعض المخلوقات عمل أخلاقى تحث عليه العقيدة الاسلامية ، وتحرم عمل الحلى على أى شكل من أشكال المخلوقات ذات الأرواح .

وهذا بخلاف ماهو حاصل اليوم فى بعض بلاد المسلمين ، فإن معظم أصحاب مصانع الحلى لا يلتزمون بتعاليم العقيدة الاسلامية أثناء قيامهم بصناعة الحلى ، لأن هدفهم الوحيد هو الكسب المادى بأى طريقة كانت ، حتى لو بصناعة حلى لا تجيزها العقيدة الاسلامية .

كذلك اهتم المسلمون فى عهد الدولة الاسلامية بعدة صناعات معدنية أخرى كصناعة النقود ، وصناعة الآلات الفلكية ، وصناعة الأدوات والأوانى المعدنية (١) .

ويمكن للباحث أيضا أن يبين هنا القيم الأخلاقية ـ المنبثقة من تعاليم العقيدة الاسلامية ـ فى النواحى المادية فى الحضارة الاسلامية فى مجال صناعة العمران ، وذلك باستعراض نموذجين من صناعة البناء ، هذان النموذجان الماديان هما البيت فى العمارة الاسلامية ، والبيت فى الجاهلية المعاصرة .

* فالبيت فى العمارة الاسلامية (صيانة) للآداب وللأخلاق وللأعراض ، بقدر ماهو فى الجاهلية المعاصرة (استعراض) و (كشف) لكل ماينبغى أن يصان .

فى البيت الاسلامى لا يطلع الزائر على ربة البيت لأنها (حرم) مصون من أجل ذلك يخصص له مكان فى البيت ، يستقبل فيه ، ويرحب به ، وتقدم (التحية) الواجبة ، ويتناول الطعام اذا دعى اليه ، دون أن يظهر لأهل البيت أو يظهروا له كما يخصص للأسرة مجال حياتها الكامل بغير تضييق ، دون أن تكون مكشوفة للزائر من الرجال . ومن بديهيات ذلك البيت أن تكون غرف النوم فى أعماقه لا فى ظاهره ، لأنها الأماكن التى يضع فيها الناس

---

(١) حسن الباشا : مدخل الى الآثار الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٨٢ .

ثيابهم ، وينبغي الإستئذان قبل الدخول إليها حتى من الأطفال وملك اليمين : قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ . ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ، كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »(١) .

أنظر في مقابل ذلك إلى العمارة الجاهلية المعاصرة ، حيث حجر النوم هي المكشوفة على الطريق ، بحجة الحصول على أكبر قدر من الشمس والهواء وهي حجة مفتعلة لا تستر الرغبة الداخلية في التعري والإنكشاف ، ومن البديهي ألا يكون فيها (حرم مصون) لأنه لا صيانة في هذه الجاهلية لشيء من المقدسات "(٢) .

وكل هذه الصناعات المعدنية وغيرها من الصناعات المادية الأخرى ، نشاط إنساني مادي ، يمكن أن تقوم به أي حضارة من الحضارات ، ولكن الذي يميز هذا النشاط المادي في الحضارة الاسلامية أنها تقوم به وفق المنهج الرباني الذي رسمته العقيدة الاسلامية لأتباعها ، والذي يقيّدها بالقيم الأخلاقية وبالأهداف الخيّرة .

" فهي - تقوم بنشاطها الصناعي ، فتفرغ طاقتها فيما ينفع الناس في الأرض ، وما يجعل الحياة ميسرة وجميلة كذلك في الحدود المباحة ، والحدود المباحة تسمح بقدر من الزينة وقدر من الجمال : قال تعالى : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(٣) .

---

(١) سورة النور ، آية : ٥٨ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٣٢ .

وقال تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ (١) .

ولكنها لا تجنح إلى شغل الناس بالسفاسف، واستنفاد أموالهم فيما لا طائل تحته ، من أجل أن يربح أصحاب الصناعات الربح الحرام كما تجنح الرأسمالية فى الجاهلية المعاصرة، ولا تجنح الى تلهية الناس بالحياة الدنيا حتى ينسوا الآخرة ، وينسوا القيم العليا التى ينبغى لهم أن يحققوها فى الأرض " (٢) .

٣ : إنشاء المستشفيات :

يعترف الاسلام بالمرض، وأنه حالة غير طبيعية تطرأ فى أى وقت على أى عضو من أعضاء الجسم (٣)، وأنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى يبتلى به من شاء من عباده، لكى يكفر به ذنوبهم وخطاياهم، ويرفع درجاتهم فى الجنة، بشرط أن يتلقونه بصبر واحتساب . قال صلى الله عليه وسلم :

(مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا وهم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها خطاياه) (٤) .

وبهذا فان الاسلام قد أبطل المقولة التى تقول بأن الخطيئة هى سبب الشر وباعثته ، وأنها بذرة كل مرض وعلة (٥) .

كما أبطل أيضا المقولة التى تقول بأن المرض ناتج عن الشياطين والأرواح النجسة (٦) .

---

(١) سورة النحل ، آية : ٥ ، ٦ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٣) هشام ابراهيم الخطيب : الوجيز فى الطب الاسلامى ، عمان ، دار الأرقم ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢١ .

(٤) رواه البخارى .

(٥) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

ولقد أبان القرآن الكريم صورا من أصول علم الطب، ويتضح ذلك من توجيهاته الصحية والوقائية، ومن تحريمه الأشياء الضارة من المأكولات والمشروبات .

قال تعالى :

« يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (١) .

وقال تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ » (٢) .

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » (٣) .

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٤) .

وقال تعالى :

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » (٥) .

فعن طريق تطبيق العبادات التي شرعها الله لعباده كالصلاة والصوم والحج يتم " تحقيق أهم غرض من أغراض علم الطب، وهو حفظ الصحة . فالصلاة والصيام والحج وما تتطلبه هذه العبادات من شروط وأركان وأعمال كلها تحفظ للجسم صحته ونشاطه وقوته " (٦) .

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ٣١ . (٢) سورة البقرة ، آية : ٢٢٢ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٦ . (٤) سورة البقرة ، آية : ١٨٣ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٩٧ .

(٦) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، دمشق - بيروت ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢هـ ، ط ٣ ، ص ١٣٨ .

وحرم الله سبحانه وتعالى المأكولات والمشروبات الضارة لأسباب منها الاسباب الصحية والوقائية فحرم الميته والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة، وما ذبح على النصب*. قال تعالى :

((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ...)) (١) .

فكل هذه الأشياء إنما حرمها الله على الإنسان لأن لها أضرار صحية عليه .

وكذلك حرم شرب الخمر لأضراره الصحية والإقتصادية، قال تعالى :

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٢) .

كما أبان الله سبحانه وتعالى بعض الأدوية التي تفيد في شفاء كثير من الأمراض، قال تعالى :

((وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) (٣) .

ففي الآية الأخيرة أشار الله سبحانه وتعالى إلى فوائد العسل الطبية، وإلى قيمته

---

(١) سورة المائدة، آية : ٣ .

(٢) سورة المائدة، آية : ٩٠ .

(٣) سورة النحل، آية : ٦٨ - ٦٩ .

* الدم : أي الدم المسفوح وهو سائل، ما أهل لغير الله به : أي ما ذكر عند ذبحه اسم غير الله ، المنخنقة : أي الميتة بالخنق ، الموقوذة : أي الميتة بالضرب، المتردية : أي الميتة بالسقوط من علو ، النطيحة : أي الميتة بالنطح ، ما أكل السبع : أي ما أكل منه فمات بجرحه ، النصب : أحجار حول الكعبة كانت تعظم .

انظر : حسنين محمد مخلوف : كلمات القرآن تفسير وبيان ، د.م ، د.ن ، د.ت ، د.ط ، ص ٦١ - ٦٢ .

العلاجية فى القضاء على كثير من الأمـــراض .

وقد حث النبى صلى الله عليه وسلم أيضا على التداوى فقال ردا على سـؤال الأعرابى حين سأله عن التداوى :

(نعم ياعباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السـام)(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء فتـــداووا)(٢) .

وقال أيضـا :

(لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برئ بإذن الله عز وجل)(٣) .

وكذلك أرشد النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى بعض الأدوية المفيـدة التى إذا تداوى بها الإنسان فإنه يبرأ بإذن الله عز وجل .

فقال صلى الله عليه وسلم : (إن أمثل ماتداويتم به الحجامة والفصـد)(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء لكل داء إلا السام)(٥) .

وقال أيضـا :

(إن كان فى شيئ من أدويتكم خير ففى شرطة محجم أو شربة عسل)(٦) .

وهذا بعكس ما كانت عليه الكنيسة فى أوربا حيث إنها كانت ترى أن الإعتماد على الأدوية الأرضية ينافى الإيمان المطلق بالله وعظمته(٧) ، فأوجبت على المرضـى

---

(١) رواه الامام أحمد .

(٢) رواه الامام البخارى .

(٣) أخرجه الامام مسلم .

(٤) رواه الامام البخارى ، والامام مسلم .

(٥) رواه البخارى .

(٦) متفق عليـه .

(٧) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

أن يمتنعوا عن تناول العقاقير الطبية التى تخفف من آلآم أجسامهم ، لأنها ترى أن خلاص الروح أكثر أهمية من شفاء الجسد .(١)

العنايـــة بالطـــب :

اعتنى المسلمون - نتيجة لتوجيهات العقيدة الاسلامية الطبية - بالطـــب والعلوم الطبية عناية فائقة ، فدرسوا كتب من سبقهم فى مجال الطب من اليونان وغيرهم ، واستوعبوها إستيعابًا تامًا ، ثم عدلوها وصححوها وأضافوا إليها أبوابًا جديدة لم يسبقهم إليها أحد ، فتقدم الطب على أيديهم تقدمًا ظاهرا حتى أصبح من أهم العلوم التى برع فيها المسلمون ،(٢) فعرفوا طب العيون ونبغوا فيه ، وعرفوا الحميات ذات البتور كالجدرى والحصبة ، كما عرفوا أمراض الأطفال وغير ذلك من الأمـــراض .(٣)

وقد اعتمد علماء المسلمون فى الطب على المنهج التجريبى فى ممارسة الطب وتدريسه ودراسته ، بحيث أصبحت التجربة العملية لديهم تسير مع العلم النظرى جنبا إلى جنب ، وتجابه النظريات على أسرة المرضى ، فتفند الظواهر تفنيدا علميا وتشبع الحالات المستعصية بحثا ونقاشا ،(٤) وكان لهذا الإتجاه التجريبى أثـــره البالغ فى محاربة الشعوذة ومكافحة المشعوذين الذين كانوا يدّعون معرفة المرض والتنبوء بمستقبل المريض بمجرد النظر إلى بوله ،(٥) كما كان له أثره البالغ أيضا فى إكتشاف الكثير من الحقائق العلمية الباهرة فى مجال الطب ، والتى على ضوئهـــا استطاع علماء الطب المسلمين أن يجعلوا الطب علما له أصوله ومنهجه وقوانينه .(٦)

---

(١) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٣) أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠ .

(٤) زيغريد هونكة : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

(٥) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

ومن أشهر أطباء المسلمين الذين كان لهم الباع الكبير في الطب :

١ - أبو بكر محمد الرازي :

ولد ونشأ في الري جنوبي طهران عاصمة بلاد فارس عام ٢٤٠ هـ، وتوفي ببغداد عام ٣١٣هـ.[١] قدم إلى بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة،[٢] وكان كريما بارا بالناس، حسن الرأفة بالفقراء، وما دخل عليه أحد قط إلا ورآه ينسخ.[٣] ذكر له ابن النديم أكثر من (١٣٠) كتابا ورسالة.[٤]

ومن أشهر كتبه :

أ - كتاب الحاوي، ويسمى كتاب الجامع الحاصر لصناعة الطب،[٥] وهو من أجلّ كتبه وأعظمها في صناعة الطب.[٦]

ب - كتاب المنصوري في الطب .

جـ - مقالة في الحصى في الكلى والمثانة.[٧]

د - كتاب في أن للإنسان خالقا متقنا حكيما، وفيه دلائل من التشريح، ومنافع الأعضاء تدل على أن خلق الإنسان لا يمكن أن يقع بالاتفاق.[٨]

---

(١) سليمان بن حسان الأندلسي، المعروف بابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ، ط ٢، ص ٧٧ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الانباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت، د. ط، ص ٤١٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨هـ، د. ط، ص ٤١٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ٤١٦ - ٤٢٠ .

(٥) ابن جلجل : المرجع السابق، ص ٧٨ .

(٦) ابن أبي أصيبعة، المرجع السابق، ص ٤٢٠ .

(٧) المرجع السابق، ص ٤٢٢ .

(٨) المرجع السابق، ص ٤٢١ .

٢ ـ أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى :

ولد بالزهراء احدى ضواحي قرطبة بالأندلس عام ٣٢٥ هـ ، وتوفى عام ٤٠٤ هـ،(١) وكان طبيبا فاضلا ، لديه خبرة واسعة بالأدوية المفردة والمركبة ، وكان يجيد العلاج أيضا .(٢)

ومن أشهر مؤلفاته :

أ ـ كتابه الكبير المعروف بالزهراوى .

ب ـ كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو من أكبر تصانيفه وأشهرها ،(٣) وقد ترجم القسم الخاص بالجراحة فى كتاب التصريف إلى اللاتينية .(٤)

٣ ـ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا . الملقب بالشيخ الرئيس :

ولد فى أفشنة قرب بخارى عام ٣٧١ هـ ، وتوفى فى همذان عام ٤٢٨ هـ . وكان حسّاب وطبيب ،

من أشهر كتبه :

أ ـ كتاب (القانون فى الطب) ويقع فى أربع عشرة مجلده .

ب ـ كتاب (الشفاء) ويقع فى ثمانى عشرة مجلده .(٥)

وقد ترجم كتابه القانون فى الطب إلى اللاتينية ، وطبع ستة عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر ، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر .(٦)

هذا بالإضافة إلى أن هناك عددا هائلا من الأطباء المسلمين الذين نبغوا وساهموا فى مختلف المجالات الطبية ، وتركوا لنا الكثير من المؤلفات

---

(١) أحمد فؤاد باشا : التراث العلمى للحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الاطباء ، مرجع سابق ، ص ٥٠١ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٣٤٧ .

(٥) ابن أبى أصيبعة ، المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .

(٦) أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

الطبية الجيدة التى اعتمد عليها الشرق والغرب فى تقدم الطب الحديث، وفى خدمة الانسانية عامة، فلهم بذلك الأجر والثواب المستمر من الله سبحانه وتعالى مادامت السموات والأرض*.

العناية بإنشاء المستشفيات :

اهتم خلفاء الدولة الاسلامية بإنشاء المستشفيات، فشيدوها فى جميع أنحاء الدولة الاسلامية، وأول مستشفى عرفه المسلمون هو ذلك المستشفى الذى أمر بإنشائه النبى محمد صلى الله عليه وسلم بجوار مسجده فى يوم الخندق .

ويعتبر الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك أول من بنى -المستشفى- دار المرضى وعين فيه الأطباء وصرف لهم مرتبات، كما عين مرتبات للمجذومين الذين أمر بحجزهم فى أماكن خاصة بهم.(١) ومنذ ذلك الوقت أخذت المستشفيات تنتشر فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها، لأن الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والوزراء وأهل الخير من المسلمين رأوا أن إنشاء المستشفيات وتزويدها بكل ماتحتاج إليه من إمكانات، من أفضل الصدقات الجارية التى يتقربون بها إلى الله فى حياتهم وبعد مماتهم .

وفيما يلى بعض المستشفيات التى أنشئت فى بعض مناطق الدولة الاسلامية :

١ - مستشفى نور الدين بدمشق :

يعتبر مستشفى نور الدين بدمشق من المستشفيات التى لم يبن قبلها مثلها ولم يبن بعدها مثلها أيضا فى تلك العصور.(٢)

---

(١) أحمد بن على المقريزى : الخطط المقريزية، مرجع سابق، جـ٢ ص ٤٠٥ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، مرجع سابق، جـ١٢ ص ٢٧٨ .

* لمزيد من الأطلاع على الأطباء المسلمين، أنظر :

١ - طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل . ٢ - الفهرست لابن النديم .

٣ - تاريخ الأطباء والفلاسفة لاسحاق بن حنين .

٤ - عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

وقيل إن نور الدين بناه من المال الذى أخذه فداءًا من أحد ملوك الإفرنج الذين وقعوا فى يده فى بعض الغزوات[(١)].

وقد شرط نور الدين أن يكون هذا المستشفى للفقراء والمساكين ، وإذا لم يوجد بعض الأدوية التى يعزّ وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ومن جاء إليه فلا يمنع من شرابه[(٢)].

وقد عين نور الدين مجموعة من الأشخاص مهمتهم الإشراف على إدارة المستشفى وتوفير كل ماتحتاج إليه من نفقات وأدوية وغير ذلك .

كما أن الأطباء يبكرون يوميا إلى المستشفى ويتفقدون المرضى ويأمرون بإعداد مايصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم[(٣)].

٢ - مستشفى الملك المنصور قلاون الألفىّ الصالحىّ :

أمر بإنشاء هذا المستشفى الملك المنصور قلاون فى سنة ٦٨٣هـ .

ولما انتهى العمل من إنشاء المستشفى جهز بكل مايحتاج إليه من أدوات طبية وملابس وعقاقير وأطباء وسائر مايحتاج إليه المرضى . كما زود المستشفى بالفراشين من الرجال والنساء لخدمة المرضى .

وقد قسم المستشفى الى عدة أقسام تخصصية ، فجعل قسما خاصا للمرضى بالحميات ونحوها ، وقسما خاصا للمرضى المصابين بالرمد ، وقاعة للجرحى ، وقاعة لمن به إسهال ، وقاعة خاصة للنساء . هذا عدا أماكن الطبخ ، وأماكن تركيب الأدوية ، وأماكن توزيع الأدوية . كما جعل فى المستشفى قاعة خاصة يجلس فيها رئيس الأطباء لإلقاء دروس الطب[(٤)].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، جـ١٢ ص ٢٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، جـ١٢ ص ٢٨١ .

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

(٤) أحمد بن علي المقريزى : الخطط المقريزية ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٤٠٦ .

وقد أوقف الملك المنصور قلاون على هذا المستشفى مايقارب مليون درهم في كل سنة، وقال: "قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وجعلته وقفا على الملك والمملوك، والجندي والأمير والكبير والصغير، والحر والعبد، الذكور والإناث".(١)

٣ - المستشفيات المتنقلة في الأرياف :

أوجدت هذه المستشفيات المتنقلة بين الأرياف في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٤٤٧هـ) فقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن الوزير علي بن عيسى الجراح وزير المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) أورد كتابا إلى سنان بن ثابت(٢) قال فيه :

"فكرت في من في السواد من أهله، فإنه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الأطباء. فتقدم مد الله في عمرك بإنفاد متطببين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ماتدعو الحاجة إليه. ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون إلى غيره".(٣)

بعد ذلك قام سنان بن ثابت بتنفيذ أوامر الوزير، فأرسل الفرق الصحية الى القرى والهجر.(٤)

٤ - مستشفيات السجون :

أوجدت هذه المستشفيات أيضا في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٤٤٧هـ) بتوجيهات من الوزير علي بن عيسى الجراح إلى سنان بن ثابت المشرف على

---

(١) أحمد بن علي المقريزي : الخطط المقريزية، مرجع سابق، جـ٢ ص ٤٠٦ .

(٢) هو ابن سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحراني، كان طبيبا مقدما، يلحق بأبيه في معرفته بالعلوم واشتغاله بها وتمهره في صناعة الطب، توفي ببغداد سنة احدى وثلاثين وثلثمائة .
انظر: الفهرست لابن النديم، ص ٤٢١، عيون الانباء لابن أبي أصيبعة ص ٣٠٠، ٣٠١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص ٣٠١ .

(٤) المرجع السابق، نفس المكان .

المستشفيات في بغداد . فقد ورد خطاب لسنان بن ثابت من علي بن عيسى يقول فيه : " فكرت، مد الله في عمرك، في أمر من في الحبوس، وأنه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض، وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم فينبغي أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم، وتحمل إليهم الأدوية والاشربة . ويطوفون في سائر الحبوس، ويعالجون فيها المرضى، ويزيحون عللهم فيما يحتاجون إليه من الأدوية والأشربة .. " (١)

فقام سنان بن ثابت بإرسال الأطباء والأدوية والأشربة إلى السجون يوميا (٢).

٥ - مستشفيات المجانين :

أقيمت هذه المستشفيات بجوار المستشفيات العامة على هيئة أقسام مستقلة عن بقية أقسام المستشفى، فقد خصص قسم خاص لعلاج المجانين في مستشفى نور الدين بدمشق (٣)، وكذلك خصص قسم خاص لعلاج المجانين في مستشفى صلاح الدين بالقاهرة (٤)، كما خصص لهم الأطباء الذين يتفقدون أحوالهم يوميا ويقومون بتقديم العلاج المناسب لهم .

هذه بعض المستشفيات التي أنشئت في بعض نواحي الدولة الإسلامية ، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على إهتمام القائمين على شئون المسلمين بشئونهم الصحية التي حثتهم عليها عقيدتهم الإسلامية من خلال التوجيهات الربانية والنبوية في هذا المجال .

ويعتبر إنشاء المستشفيات وتزويدها بما تحتاج إليه من أدوات وإمكانات، نشاط مادي هادف، فهو بذلك نشاط تعبدي، يهدف إلى تقديم خدمات طبية إنسانية

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مرجع سابق، ص ٣٠١ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

للمسلمين وغيرهم من أهل الذمة. وقد لاحظنا في المستشفيات العامة الكبرى - كمستشفى نور الدين بدمشق، ومستشفى الملك المنصور قلاون - أنها تقدم جميع الخدمات الطبية ومايتبعها من خدمات أخرى بدون مقابل لجميع الفئات دون تمييز بين الكبير والصغير والحر والعبد، بل إن بعض المستشفيات كان يخصص أصلا لتقديم الخدمات الطبية المجانية للفقراء والمساكين كمستشفى نور الدين بدمشق.

وهذا نادر اليوم في كثير من الدول الغربية والشرقية التي تدعي التقدم، وكذلك في كثير من دول العالم الإسلامي التي تنتشر فيها الأوبئة المهلكة (الجهل، الفقر، المرض).

ولقد بلغت الخدمات الطبية في المستشفيات الاسلامية الغابرة شأوا عظيما، فهي لا تختلف عما نجده اليوم في أرقى المستشفيات في العالم، إن لم تزد عليها.

وتتضح لنا تلك الخدمات الطبية بصورة أوضح عندما نقرأ رسالة أحد المرضى المعالجين في مستشفى الملك المنصور قلاون إلى والده، يصف له فيها هذه المستشفى وماتقدمه من خدمات عديدة لمرتاديها، حيث يقول:

" أبتي الحبيب "،

تسألني إن كنت بحاجة إلى نقود! فأخبرك بأني عندما أخرج من المستشفى سأحصل على لباس جديد وخمس قطع ذهبية، حتى لا أضطر إلى العمل حال خروجي مباشرة. فلست بحاجة إذن إلى أن تبيع بعض ماشيتك! ولكن عليك بالإسراع في المجيء إذا أردت أن تلقاني هنا. إني الآن في قسم - العظام - بقرب قاعة الجراحة. وعندما تدخل من البوابة الكبيرة، تعبر القاعة الخارجية الجنوبية وهي مركز - الاسعاف - حيث أخذوني بعد سقوطي، وحيث يذهب كل مريض أول مايذهب لكي يعاينه الأطباء المساعدون وطلاب الطب. ومن لا يحتاج منهم الى معالجة دائمة في المستشفى تعطى له وصفته فيحصل بموجبها على الدواء من صيدلية الدار.

وأما أنا فلقد سجلوا إسمي هناك بعد المعاينة وعرضوني على

رئيس الأطباء ثم حملني ممرض إلى قسم الرجال ، فحممني حماما ساخنا وألبسني ثيابا نظيفة من المستشفى . وحينما تصل ترى إلى يسارك مكتبة ضخمة وقاعة كبيرة حيث يحاضر الرئيس في الطلاب وإذا ما نظرت وراءك يقع نظرك على ممر يؤدي إلى قسم النساء . ولذلك عليك أن تظل سائرا نحو اليمين ، فتمر بالقسم الداخلي والقسم الجراحي مرورا عابرا ... حتى تصل إلى قسم العظام ... واليوم صباحا جاء ، كالعادة رئيس الأطباء مع رهط كبير من معاونيه . ولما فحصني ، أملى على طبيب القسم شيئا لم أفهمه . وبعد ذهابه أوضح لي الطبيب ، أنه بامكاني النهوض صباحا وبوسعي الخروج قريبا من المستشفى صحيح الجسم معافى . وإني والله لكاره هذا الأمر ! فكل شيء هنا جميل للغاية ونظيف جدا الأسرة وثيرة وأغطيتها من الدمقس الأبيض والملاءة بغاية النعومة والبياض كالحرير ، وفي كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جاريا فيها على أشهى مايكون . وفي الليالي القارسة تدفأ كل الغرف . وأما الطعام فحدث عنه ولا حرج !! فهناك الدجاج أو لحم الماشية يقدم يوميا لكل من بوسعه أن يهضمه ... " (١) .

من خلال هذه الرسالة نستطيع أن نتعرف على المستوى الصحي الرفيع الذي كان يعيشه المسلمون ، وعلى الخدمات الصحية التي كانت تقدم في المستشفيات الاسلامية . وهذا المستوى ليس بمستغرب على أناس عقيدتهم هي العقيدة الاسلامية ، فهي الدافعة إلى كل نشاط خير في أي مجال من مجالات الحياة ، وهي التي تصبغ كل نشاط مادي ومعنوي بالقيم الأخلاقية الإسلامية .

إن تقديم الخدمات الطبية بجانبيها المادي والمعنوي ، نشاط هادف يساهم في تحقيقه فئات كثيرة من مختلف التخصصات . يساهم فيه المهندسون المعماريون ، يساهم فيه النجارون ، يساهم فيه النساخون ، يساهم فيه الأطباء ، يساهم فيه الصيادلة ، يساهم فيه الممرضون ، يساهم فيه الطباخون ، يساهم فيه الخدم ،

---

(١) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

ويساهم فيه أيضا وقبل كل شيئ أصحاب رؤوس المال من خلفاء أو وزراء أو أمراء أو ميسورى الحال من عامة المسلمين .

وكل فئة من هذه الفئات تلتزم أثناء القيام بالأعمال التى تخصها بتقوى الله سبحانه وتعالى ، وبالقيم الأخلاقية - المستمدة من أخلاقيات العقيدة الاسلامية العامة - التى تقيّد كل مهنة بالأعمال التى تلائم العقيدة الإسلامية . وهذا أمر طبيعى لدى المسلمين فى القرون الأولى ولمن تمسك منهم بالعقيدة الاسلامية فى أى عصر من العصور حتى قيام الساعة ، لذلك نجد أنهم برعوا فى كل مجال من مجالات الحضارة .

وسوف نتعرف على القيم الأخلاقية لفئة من الفئات التى تساهم فى تقديم الخدمات الطبية ، ولتكن فئة الأطباء بإعتبارها من أهم الفئات التى لها صلة بالمرضى الذين من أجلهم أنشئت المستشفيات .

وباستطاعتنا أن نتعرف على القيم الأخلاقية التى يتوجب على الطبيب المسلم أن يلتزم بها فى أثناء حياته العملية من خلال قراءتنا للقسم الذى يؤديه أثناء تخرجه والسماح له بمزاولة التطبيب . والقسم هو :

" بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم بالله العظيم :

* أن أراقب الله فى مهنتى .
* وأن أصون حياة الانسان فى كافة أدوارها ، فى كل الظروف والأحوال باذلا وسعى فى استنقاذها من الموت والمرض والألم والقلق .
* وأن أحفظ للناس كرامتهم ، وأستر عورتهم ، وأكتم سرهم .
* وأن أكون على الدوام من وسائل رحمة الله باذلا رعايتى الطبية للقريب والبعيد ، والصالح والخاطئ ، والصديق والعدو .
* وأن أثابر على طلب العلم ، أسخره لنفع الإنسان لا لأذاه .
* وأن أوقر من علمنى ، وأعلم من يصغرنى ، وأكون أخا لكل زميل فى المهنة الطبية فى نطاق حسن البر والتقوى .

* وأن تكون حياتي مصداق إيماني في سري وعلانيتي (وذلك) مما يشرفني أمام الله ورسوله والمؤمنين " .(١)

من خلال قراءتنا للقسم نلاحظ أن جميع بنود القسم مقيّدة بقيم أخلاقية مستمدة من أخلاقيات العقيدة الاسلامية العامة .

فمراقبة الله في أداء العمل وبذل الجهد فيه واتقانه عمل أخلاقي تقتضيه العقيدة الاسلامية ، وحفظ كرامة الناس وعدم إذلالهم في المواقف المرضية عمل أخلاقي تقتضية العقيدة الاسلامية . وعدم النظر إلى عوراتهم بدون ضرورة طبية عمل أخلاقي تقتضية العقيدة الاسلامية . وكذلك عدم التحدث بأسرار الناس الطبية والمحافظة عليها عمل أخلاقي تقتضية العقيدة الاسلامية . وتقديم الرعاية الطبية بنفس الروح والجهد والإخلاص للصديق والعدو عمل أخلاقي تمليه عليه عقيدته الاسلامية .ـ وهذا بخلاف مايقوم به بعض أطباء الهيئات غير إسلامية للمسلمين ، حيث إن بعض أطباء الهيئات المسيحية (التي تقدم كما تدعي خدمات طبية للمهاجرين والمجاهدين الأفغان) يقومون بارتكاب أعمال غير أخلاقية ضد المسلمين الأفغان ،لا تتلاءم مع أي نوع من أنواع القيم والمبادئ الإنسانية عامة . فهم مثلا يقومون ببتر أطراف المصابين من المهاجرين والمجاهدين الأفغان ، دون وجود ضرورة تقتضي قطع الطرف . ولكن حقدهم على الاسلام والمسلمين جعلهم يقومون بمثل هذه الأعمال اللا أخلاقية ، واللا إنسانية ـ(٢) وتسخير العلم الطبي لنفع الإنسانية وعدم تسخيره للإضرار بالإنسانية ـ كما تفعل اليوم الجاهليات المعاصرة ، حينما تسخر العلوم الطبية في صناعة الأسلحة الجرثومية ـ عمل أخلاقي تمليه عليه العقيدة الاسلامية . ومعاملة أساتذة وزملاء المهنة وغيرهم من المرضى وغير المرضى بحسن خلق أمر تقتضية وتفرضه العقيدة الاسلامية . وجعل حياته

---

(١) هشام ابراهيم الخطيب : الوجيز في الطب الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٢) لهيب المعركة ، مجلة أسبوعية مصغرة تصدر عن مكتب خدمات المجاهدين الأفغان ، العدد ٣٠ ، تاريخ ١٤٠٩/٥/٨ هـ ، ص ٩ .

تسير وفق منهج إيماني في الظاهر والباطن أمر تقتضية العقيدة الاسلامية .

ونستطيع أن نلاحظ أيضا الكثير من القيم الأخلاقية الاسلامية التي كان لهـا الأثر الكبير في توجيه الخدمات الطبية في مستشفى الملك المنصور قلاون مـن خلال الوصف الذي ورد في الرسالة السابقة التي تصف الأوضاع والخدمـات الطبية في المستشفى .

فعزل النساء في قسم خاص بهنّ عن الرجال من أجلّ الأعمال الأخلاقية الـتي تحث عليه العقيدة الاسلامية ، وكذلك تقديم الخدمات الطبية ، والطعام والشـراب بالمجان ، وعدم التمييز بين المرضى بأي شكل من أشكال التمييز ، وإعطاء المريـض إذا خرج من المستشفى مبلغ من المال وملابس جديدة ، عمل في غاية الأخـلاق ، ولا يصدر مثل هذا العمل إلا من أناس مسلمون متمسكون بعقيدتهم الاسلامية ، لأن العقيدة الاسلامية هي الدافعة إلى التداوي ، وهي الدافعة إلى دراسة الطـب ، وهي الدافعة لكل نشاط هادف في مجال الخدمات الطبية ، وجميع المجالات الأخرى ، وهي الدافعة والموجهة لكل القيم التي توجه جميع الأنشطة المادية وغير الماديـة ، وهي الموجهة لسلوك معتنقيها بصفة عامة .

وهذا بخلاف العقائد الأخرى ، فالعقيدة المسيحية المحرفة مثلا ، لا تحـث على التداوي ، ولا على دراسة الطب ، ولا تحث على تقديم الخدمات الطبيـة [(١)] ، مما كان له الأثر السيئ على سكان أوربا عامة ، بينما كانت المستشفيات منتشرة فـي معظم المدن في العالم الاسلامي ، وكذلك في القرى ، حيث كانت الفرق الطبيـة تتجول بين القرى لتقديم الخدمات الطبية فيها ، وكذلك كان الأطباء المسلمـون يقدمون الخدمات الطبية في المستشفيات المنتشرة في العالم الاسلامي . وقد بلـغ عدد الأطباء في مدينة بغداد وحدها عام ٣١٩هـ أكثر من ستين وثمانمائة طبيب ، هذا عدا الأطباء الذين كانوا في خدمة السلطان [(٢)] ، وفي الفترة نفسها لم يكـن

---

(١) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢ .

فى كل مقاطعات الراين طبيب واحد [١]. وماعرفت أوربا المستشفيات المخصصة للمرضى إلا فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى بعد الحروب الصليبية الدينية التى عرّفت الأوربيين على المستشفيات الاسلامية ، فأنشأوا فى بلادهم مستشفيات مثلها [٢].

وقد ظلت مستشفيات أوربا حتى القرن الثامن عشر الميلادى عبارة عن دور عطف وإحسان ومأوى لمن لا مأوى لديه ، مرضى كانوا أم عاجزين [٣]، وأكبر مثال على ذلك مستشفى (أوتيل ديو) بباريس ، الذى أنشيئ فى القرن الثامن عشر الميلادى والذى وصفه كل من (ماكس تورد و) و (تينون) بمايلى :

" يحتوى المستشفى (١٢٠٠) سرير منها (٤٨٦) خصصت لنفر واحد ، أما الباقى - ولم تكن سعة الواحد منها تتجاوز خمسة أقدام فيوجد فيها عادة مايتراوح بين ثلاثة مرضى وستة . وكانت الردهات الكبرى عفنة كثيرة الرطوبة لا منافذ تهوية فيها ، مظلمة دوما ، ترى فيها فى كل حين حوالى ثمانمائة مريض يفترشون الأرض وهم مكدسون بعضهم فوق بعض على القاع أو على كوم من القش فى حالة يرثى لها ... إنك لتجد فى السرير ذى الحجم المتوسط أربعة أو خمسة مرضى متلاصقين وقدم أحدهم على رأس الثانى ! تجد أطفالا بجانب شيوخ ، نساء بجنب رجال (قد لا تصدق لكنها حقيقة) ، تجد إمرأة فى المخاض مع طفل فى حالة تشنج مصاب بالتيفوس يحترق فى بحران الحمى ، وكلاهما الى جنب مريض بداء جلدى يحك جلده المهترئ بأظفاره الدامية فيجرى قيح البثور على الأغطية ... وطعام المرضى من أحقر مايتصوره العقل يوزع عليهم بكميات قليلة للغاية وفى فترات متباعدة لا نظام فيها .. ، وكانت أبواب المستشفى مفتوحة فى كل وقت وحين لكل

---

(١) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) سير توماس أرنولد : تراث الاسلام ، ترجمة جرجس فتح الله ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٧٨م ، ط٣ ، ص ٥١٣ .

رائح وغاد ، وبهذا تنتشر العدوى بانتقالها وبالفضلات وبالهواء النتن الملوث ... البناية حافلة بالحشرات الدنيئة وهواء الحجرات لا يطاق لفساده حتى أن الخدم والممرضين لم يكونوا يجرأون على الدخول إلا بعد وضع إسفنجة مبللة بالخل على أنوفهم .. وتترك جثث الموتى ٢٤ ساعة على الأقل قبل رفعها من السرير المشاع ، وكثيرا ما تتفسخ الجثة وتتعفن وهي ملقاة بجانب مريض يكاد يطير صوابه " (١) .

فمن خلال هذا الوصف يتضح لنا البون الشاسع بين ما وصل إليه المسلمون في مجال الخدمات الطبية ، أيام ازدهار حضارتهم الاسلامية ، وما وصل إليه المسيحيون في الخدمات الطبية . وكل ما وصل إليه المسلمون إنما يرجع إلى توفيق الله لهم بأن جعلهم يطبقوا تعاليم عقيدتهم الاسلامية ، ويترجمونها إلى أعمال تسيّر جميع نشاطاتهم الهادفة .

---

(١) سير توماس أرنولد : تراث الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٥١٣ ، ٥١٤ .

الفصل الرابع

أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية في المجالين العلمي والحضاري

- أسباب بعد المسلمين عن العقيدة الاسلامية :

أولا - أسباب ذاتية .

ثانيا - أسباب خارجية .

- أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية في المجال العلمي :

١ - الجمود الفكري .

٢ - التخلف العلمي .

٣ - التبعية الفكرية .

٤ - سوء إختيار مواد العلوم المترجمة .

- أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية في المجال الحضاري :

١ - التبعية الحضارية .

٢ - التخلف الزراعي .

٣ - التخلف الصحي .

٤ - التخلف الاقتصادي .

تمهيـــــــــد :

رأينا فى الفصلين السابقين كيف أن المسلمين الأوائل عند ما التزموا بتطبيـــق تعاليم العقيدة الاسلامية فى المجالين العلمى والحضارى، حققوا تقدما كبـــيرا فى هذين المجالين، ففى المجال العلمى أنشأ المسلمون الأوائل أكبر حركـــة علمية عرفها المسلمون حتى اليوم، وقد استعرضنا فى الفصل الثانى أهم آثـــار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فى المجال العلمى وذكرنا منها :

١ - ظهور علوم جديدة .
٢ - نشاط حركة الترجمة .
٣ - إنشاء المدارس العلمية .
٤ - إنشـــاء المكتبـــات .
٥ - إبتكار المنهج العلمى التجريبى .

أما فى المجال الحضارى فقد أنشأ المسلمون الأوائل أيضا أكبر حركة حضارية عرفها المسلمون حتى اليوم .

وقد استعرضنا فى الفصل الثالث أهم آثار الالتزام بالعقيدة الاسلامية فـــى المجال الحضارى، وذكرنا منها :

١ - الإهتمام بالزراعـة .
٢ - العناية بإقامة الصناعات .
٣ - إنشاء المستشفيـــات .

وكذلك كان للالتزام بالعقيدة الاسلامية أثره الواضح فى جميع المجالات الأخرى وهذه سنة كونية من سنن الله سبحانه وتعالى، فعند ما يلتزم الناس بتعالـــيم العقيدة الاسلامية، ويطبقونها فى واقع حياتهم التطبيق الصحيح، وفى جميـــع مجالات الحياة، فان الله سبحانه وتعالى سوف يستخلفهم فى الأرض ويمدهم برزق من عنده كما قال فى كتابه العزيز :

((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِـــى
الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّـــذِى

ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي وَلَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَالِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ » (١) .

وقال تعالــى :

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (٢) .

أما عندما يبتعدون عن الإلتزام بتعاليم العقيدة الاسلامية ، فإن الله سبحانـــه وتعالى سوف ينزع منهم الإستخلاف، ولن يعود لهم إلّا إذا غيروا مابأنفسهم مـــن الإنحرافات فى المفاهيم والسلوك . قال تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » (٣) .

أسباب بعد المسلمين عن العقيدة الاسلاميـــة

وقد ابتعد المسلمون فى العصر الحالى عن العقيدة الاسلامية* لأسبـــاب ذاتية أهمها يتمثل فى :

١ - سوء فهم مفهوم الإيمـان .

٢ - سوء فهم مفهوم القضاء والقدر .

٣ - سوء فهم مفهوم العبـــادة .

وأسباب خارجية تتمثل فى الغزو الفكرى للبلاد الاسلامية .

---

(١) سورة النور ، آية : ٥٥ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ١١ .

* لا نقصد بابتعاد المسلمين عن العقيدة الاسلامية أنهم انكروها أو كفروا بها انما نقصد بابتعادهم عن العقيدة الاسلامية هو سوء فهمهم لمفاهيم هذه العقيدة ، وسوء الفهم يؤدى الى سوء فى السلوك، وهذا هو الذى وقـــع فيه المسلمون اليوم .

أولا : الأسباب الذاتيـــــة :

١ - سوء فهم مفهوم الإيمان :

مفهوم الإيمان لدى السلف الصالح هو : " التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح ".(١) فالإيمان له ثلاثة عناصر هي إعتقاد بالقلب ، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح ، ولا يتم إيمان عبد آمن بعنصر واحد من هذه العناصر، بمعـــنى أن الانسان لو اعتقد بقلبه أن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأنه هـــو الخالق ، الرازق ، المحيّ ، المميت .. ، ولم يتلفظ بالشهادتين ، ولم يعمل بمقتضاها ، فإنه لا يستحق إسم مؤمن . وكذلك لو اعتقد بقلبه وأقر بلسانه ولم يعمل بمقتضـى الشهادتين فإنه لا يستحق إسم مؤمن . أما إذا اعتقد بقلبه وأقر بلسانه وعمـــل بمقتضى الشهادتين فإنه يستحق إسم مؤمن .(٢) لذلك عرف بعض السلف الإيمـــان بأنه : " حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علما ، والتصديق به عقدا ، والإقرار به نطقا ، والإنقياد له محبة وخضوعا ، والعمل به باطنا وظاهرا ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكماله في الحب في الله والبغض في الله ، والعطاء لله والمنـــع لله ، وأن يكون الله وحده إلـٰهه ومعبوده ".(٣)

وكذلك عرف بأنه :

" عقيدة تستقر في القلب إستقرارا يلازمه ولا ينفك عنه ، ويعلـــن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكنة في قلبه ، ويصدّق الاعتقـاد والقول بالعمل ".(٤)

---

(١) يحيى بن شرف بن مرى النووي : صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابـــق ، جـ١ ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) المعروف بابن قيم الجوزية : الفوائـــد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٣هـ ، ط٢ ، ص ١٠٧ .

(٤) عمر سليمان الأشقر : العقيدة في الله ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

ومما يدل من القرآن على أن الإيمان مستلزم للأعمال قول الله تعالـــــى :

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » (١) .

وقول الله تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ » (٢) .

وقول الله تعالى :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ... » (٣) .

وقول الله تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .. » (٤) .

وقول الله تعالى :

« لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ، وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ .. » (٥) .

---

(١) سورة السجدة ، آية : ١٥ .

(٢) سورة الحجرات ، آية : ١٥ .

(٣) سورة الانفال ، آية : ٢ - ٤ .

(٤) سورة المؤمنون ، آية : ١ - ٩ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

وقول الله تعالـى :

« عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ، إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ »(١) .

ففي الآيات الأخيرة نلاحظ أن الإستئذان في ترك الجهاد في سبيل الله لا يصدر من مؤمن بالله واليوم الآخر، إنما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر(٢) .

وكذلك ورد في القرآن الكريم نفي الإيمان عمن لم يأت بالعمل، قال الله تعالى :

« وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ »(٣) .

ففي هذه الآية نفى الله الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان قد أتى بالقول(٤) .

فالإيمان لا ينفك عن العمل، لأن العمل نتيجة من نتائج الإيمان وثمرة من ثمراته، وهو مظهره الذي يظهر به للناس(٥) .

وقد ظهر أثر الإيمان بالله في حياة الأجيال الأولى من المسلمين، فعندما آمنوا بالله سبحانه وتعالى وأقروا أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وعملوا بمقتضيات هذه الشهادة، تغير كل شئ في حياتهم، تغيرت النفوس وتغير واقع الحياة . " - فحين - كانت الآلهة في حسهم متعددة كان الضياع والتيه، وكان الارتكاس في الحمأة الجاهلية، وكان فساد الأخلاق، وكان ضيق الأفق،

---

(١) التوبة، آية : ٤٣-٤٥ .

(٢) أحمد بن تيمية : الايمان، دمشق، المكتب الاسلامي، ١٤٠١هـ، ط٣، ص١٥٣ .

(٣) النور، آية : ٤٧ .

(٤) أحمد بن تيمية : المرجع السابق، ص١٣٧ .

(٥) علي الطنطاوي : تعريف عام بدين الاسلام، مرجع سابق، ص ٩٩ .

وسطحية الإهتمامات وقربها وأنانيتها ، وكان الظلم المتبادل"(١). ولكن بمجرد أنهم آمنوا بالله سبحانه وتعالى ، وأقروا أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وعملوا بمقتضيات هذه الشهادة ، تغير هذا كله ، "فوجدوا بعد ضياع ، ورشدوا بعد تيه ، وارتفعوا بعد إرتكاس ، وسمت أخلاقهم بعد فساد ، واتسعت آفاقهم بعد ضيق ، وعمقت إهتماماتهم ، وبعدت آمادها ، وذهبت عنها أنانيتها ، وصارت الأخوة مكان التظالم"(٢).

فلم يكن الإيمان فى حس الأجيال الأولى من المسلمين مجرد التلفظ بالشهادتين والتصديق بها ، إنما كان بالإضافة إلى التصديق والإقرار العمل بمقتضى ذلك الإيمان فى واقع الحياة ، وفى جميع مجالات الحياة ، لذلك كانت تلك الأجيال "خير أمة أخرجت للناس" ، وكانت هى الأمة الممكنة فى الأرض ، وكانت هى أمة العلم والحضارة وأمة القيم والأخلاق(٣).

ولكن مفهوم الإيمان هذا ، ظل يضمر تدريجيا خلال القرون المتوالية فى حس الناس ، وظل مفعوله يضمر فى داخل النفوس وواقع الحياة(٤) ، حتى وجد فى العصر الأخير من يقول : "من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن ولو لم يعمل عملا واحدا من أعمال الاسلام"(٥).

وفى ظل هذا الفهم المشوه للايمان فى ديار المسلمين ، ترى المسلم واليهودى والقبطى يتعاشرون سنين عددا ، ولكنك لا تستطيع أن تميز أحدهم من الآخر فى شيئ.

"الكل لا يدخل المسجد ، ولا يقيم فريضة ، ولا يحترم لله شعيره .
والكل يشرب الخمر ، ويأكل الربا ، ويفجر بالأعراض .

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٦٧ .
(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .
(٣) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .
(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

وغاية مابينهم من فوارق ، أن اليهودى يقدس يوم السبت ، وقد يذهب المسيحى إلى كنسيته خلسة .
أما ذلك المسلم المزعوم ، فليس يربطه بالاسلام إلا إسم سجل في شهادة الميلاد فحسب " (١) .

وإذا سلمنا بأن الإيمان هو مجرد التصديق والإقرار ، كيف يمكن لنا أن ننفذ أوامر الله التى أمرنا بها فى جميع مجالات الحياة ، وكيف يمكن لنا أيضا أن نجتنب النواهى التى نهانا الله عنها ، ألم يأمرنا بالصلاة ، ألم يأمرنا بالزكاة والحج ، ألم يأمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، ألم يأمرنا بإعداد العدة لأعداء العقيدة الاسلامية ، ألم يأمرنا بالجهاد ، ألم يأمرنا بالسعى فى طلب الرزق ، ألم يأمرنا بالسعى فى طلب العلم ، ألم يأمرنا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... ، وألم ينهانا عن الزنا ، والسرقة ، والغش ، وشرب الخمر ، والكذب ، والنفاق ... وغير ذلك . كيف ننفذ هذه الأوامر ؟ ! ، وكيف نبتعد عن هذه النواهى ؟! .

إن من مستلزمات التلفظ بالشهادتين ، أن يلتزم الإنسان بفعل الأوامر التى أمره الله بها ، وأمره بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويجتنب النواهى التى نهاه الله عنها ، ونهاه عنها رسوله صلى الله عليه وسلم .

" - فالنطق - بالشهادتين بداية لما بعده من اعتقاد وعمل ، لا ماتحسب الأبصار الكليلة والهمم القاصرة من أن مجرد النطق فيه الكفاية والغناء .
وحروف هذه الكلمة - كلمة التوحيد - منافذ تفضى بالانسان إلى ساحات رحيبة وآفاق ممتدة يشرب القلب فيها حقيقة التوحيد الخالص كلما سجد لبارئه وبادر إلى مرضاته ونفر من مساخطه ، وأدى الواجب وترك المحرم .
وأدران الشرك ليست كلمة تلوث الفم وحده حتى تطهرها كلمة

---

(١) محمد الغزالى : عقيدة المؤمن ، دمشق - بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩هـ ، ط٢ ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

مقابلة ينطق بها الفم .
ولكن الشرك توجه الفؤاد لما دون الله ، وعمل الجوارح لغير الله.
فإذا لم يسيطر التوحيد على القلب والجوارح ، ويتحول إلى قوة باعثة إلى العمل الصالح فلا قيمة له !! .
إن كلمة التوحيد حصانة البشرية من الخنوع للآلهة المزيفة .
وهذه الآلهة ليست حجرا منحوتا فحسب، بل كل مايقطع صلة الإرادة الانسانية بالله ، ويربطها - بغيره - فهو ذريعة للشرك .
وهناك ألوف مزقت المعاصي صلتهم بالله شر ممزق ، وظلت أهواؤهم تجمح بهم بعيدا عن الله حتى نسوا الله أتم نسيان .
فلو قارنت بين ضمائرهم وضمائر أهل الجاهلية الأولى ، ما وجدت فارقا بين جحود وجحود ... ! ! .
إلا أن هؤلاء نطقوا بكلمة التوحيد ولم يفهموها ، وأولئك فهموها ولم ينطقوا بها .
- لم تكن - كلمة التوحيد نبتا مشلولا في تربة خبيثة .
ولكنها نبت تمتد أصوله في القلب الخصب، وتظهر آثاره ظلالا وارفة وثمرات شهية .
تظهر أعمالا طلبها الاسلام وأكدها ، وربط وجوده بنمائها ووفرتها"(١).

قال تعالى :
((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))(٢) .

ووجد في المسلمين اليوم من يحتج ببعض الأحاديث في تهوين قيمة العمل في الاسلام ، من تلك الأحاديث الحديث التالي . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(كان مع بني إسرائيل رجلان متواخيان ، أحدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد ، فكان المجتهد لا يزال يلقى الآخر على ذنب

---

(١) محمد الغزالي : عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) سورة ابراهيم ، آية : ٢٤ - ٢٥ .

فيقول له : أقصر، فقال خلّني وربّي، أبُعِثْتَ عَلَيَّ رقيبا ؟ فقال له : والله لا يغفر الله لك، أو قال : لا يدخلك الجنة، فقبض الله أرواحهما، فاجتمعا عند ربّ العالمين، فقال الربُّ تعالى للمجتهد : أكنت على ما في يدي قادرًا ؟ ! وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به الى النار) (١).

ويوضح الشيخ محمد الغزالي هذا الحديث بقوله :

" هذا الحديث نظر إليه العلماء ففهموا منه المعنى الوحيد الذي يفهم منه . وهو: أن الرجل المستكبر بطاعته، أبعد عن الله من الرجل المستخذي بمعصيته .. وهذا حق، فهناك ممن يلبسون مسوح الدين، رجال يحسبون أنهم ببعض صلوات أقاموها قد شاركوا الله في تقرير مصير العباد، وأنهم يحملون معه مفاتيح الجنة والنار .

... ويستحيل أن يكون هذا الحديث .. مناقضا لقول الله في كتابه: «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ، أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ، إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ، أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ، سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ» (٢)" (٣).

ومن تلك الأحاديث أيضا حديث البطاقة، الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم :

(إن الله تعالى سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب .

فيقول تعالى :بلى : إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول : يارب، ماهذه البطاقة مع هذه السجلات!

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة القلم، آية : ٣٤-٤٠ .

(٣) محمد الغزالي : عقيدة المسلم، مرجع سابق، ص ١٤٥ .

فقال : فإنك لا تظلـــم .

فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجـلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيئ) .(١)

ويوضح الشيخ محمد الغزالى هذا الحديث بقوله :

" هذا حديث مثير الدلالة ، وهو لو أخذ على ظاهره يضع عـن الناس شتى التكاليف الإلهية ، ويبطل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ .(٢)

وعندى أن هذا الحديث - إن استقام سنده - إنما يصح فـى شخص مشرك ، قضى حياته فى الفساد ، ثم آمن قبل أن يحـين أجله بقليل فلم يستطع بعد إسلامه أن يبقى مدة يصلح فيهـا مامضى ، والحديث بهذا ينوه بما لخاتمة الإيمان من قيمـة ، وما لتوحيد الله من منزلة .

أما إطلاق هذا الحديث وأشباهه بين العوام أو بين الناشئـة دون وعى فهو هدم للدين كله ، وهو الأساس لتكوين طوائـف من المتدينين ، تحط من قدر الإيمان وأثره .. " .(٣)

وهكذا أصبح الإيمان فى مفهوم غالبية المسلمين اليوم تصديق وإقرار فقط .

أصبح كلمة تقال باللسان وليس لها أى أثر فى نفوس البشر ولا فى حياتهـم ، وهذا عائد بالطبع إلى سوء فهم لحقيقة الإيمان ، وسوء الفهم يؤدى الى سوء فـى السلـوك .

ولا جرم أن تصبح الأمة التى تنتشر فيها هذه الأفكار الفاسدة عن الإيمـان ، هى الغثاء الذى أخبر عنه صلى الله عليه وسلم منذرا ومحذرا :

(يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتهـا .

قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : أنتم يومئذ كثير ،

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) سورة يونس ، آية : ٨١ - ٨٢ .

(٣) محمد الغزالى : عقيدة المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

ولكنكم غثاء كغثاء السيل) [١] .

وتتداعى الأمم بالفعل على ذلك الغثاء ، وهو قانع بالتصديق والإقرار ، توهما منه أنه بذلك حائز على الإيمان [٢] .

٢ - سوء فهم مفهوم القضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر ركن أساسي من أركان العقيدة الاسلامية ، ومعناه :

(أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد ماسبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته [٣] .

قال تعالى : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » [٤] .

وقال تعالى :

« وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » [٥] .

وقال تعالى :

« مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » [٦] .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر خيره وشره ، ولا يحتجون بالقدر على المعاصي.

لكن هناك بعض الناس انحرفوا عن جادة الطريق حينما يقررون بأن مايقدر على أحدهم من المعاصي والذنوب إنما هو جار بقضاء الله وقدره .

فحينما يسأل الزاني : لم زنيت ؟ فيقول لأنه قدر علي !

---

(١) أخرجه أحمد ، وأبو داود .

(٢) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق ، جـ١ ص١١٨ .

(٤) سورة القمر ، آية : ٤٩ .

(٥) سورة الحجر ، آية : ٢١ .

(٦) سورة الحديد ، آية : ٢٢ .

وهذه الإجابة خاطئة ومردودة من جهتين :

" أ - أن - الحساب والعقاب يكون على العمل ، وعلى الدوافع إليه ، والبواعث عليه . وهذا الزاني لم يطلع على اللوح المحفوظ ، ويرَ أن الزنا مكتوب عليه - كما يزعم - ويذهب ليزني تنفيذا لحكم القدر ، وإنما تبع الشهوة ، وطلب اللذة العاجلة ، واستجاب لنداء الشيطان.

وقد احتج المشركون بمثل هذه الحجة فقالوا :

« لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا » .

فرد الله عليهم بقوله « قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ؟ »(١)

أي : من أين عرفتم قبل أن تشركوا أن الشرك مقدر عليكم ؟ وهل جربتم الإيمان فوجدتم أنه ممتنع عليكم ؟ .

ب - أن لو كان هذا المحتج بالقدر صادقا ، لرضي بكل ما يقدره الله عليه ، من فقر ومرض وجوع ، وفقد حبيب ، وذهاب مال ، والمشاهد أنه لا يرضى بذلك ، وهو مقدر عليه ، ولا يسكن إليه ، بل هو يعمل لجمع المال ، ودفع المرض ، وإذهاب الجوع ، ويألم لفقد الحبيب ، وذهاب المال ، فلماذا سخر قواه كلها ، واستعمل عواطفه لجلب لذة الدنيا ، ودرء الألم فيها ، ولم يسخر عقله لقمع الشهوة ، ومنع النفس من الحرام الذي ترغب فيه ، وهو يعلم ما في عقبه من العذاب ؟ "(٢)

والبعض يحتج بحديث إحتجاج آدم وموسى عليهما السلام ، في أن ما يقع فيه العبد من الذنوب إنما هو بقدر الله ، وحديث احتجاج آدم وموسى هو قوله صلى الله عليه وسلم :

(احتج آدم وموسى ، فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيئ ، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوبا عليّ قبل أن أخلق ؟ قال : نعم . قال فحجّ آدم موسى)(٣).

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٤٨ .

(٢) علي الطنطاوي : تعريف عام بدين الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

ويعلق ابن تيمية على هذا الحديث بقوله :

" وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظنا أن المذنب يحتج بالقدر ، فإن هذا لا يقوله مسلم ، ولا يقوله عاقل ، ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس وقوم نوح وقوم عاد وكل كافر ، ولا موسى أيضا لام آدم عليه السلام لأجل الذنب ، فإن آدم تاب الله عليه فاجتباه وهداه ، ولكن لامه لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ، ولهذا قال له : (فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة) فأجابه آدم بأن هذا كان مكتوبا قبل أن يخلق ، فكأن العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرًا ، وماقُدِرَ من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضاء بالله ربًا ".(١)

ويقول الخطابي في حديث موسى وآدم عليهما السلام :

" قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ماقدره وقضاه ، ويتوهم أن قوله صلى الله عليه وسلم : (فحج آدم موسى) من هذا الوجه ، وليس الأمر كما يتوهمون وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم .. وإنما كان موضع الحجة لآدم : أنه تعالى قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك ! .. ".(٢)

وقد أُحضر أحد اللصوص بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فسأله لم سرقت ؟ . فقال : قدّر الله ذلك ، فقال عمر رضي الله عنه : اضربوه ثلاثين سوطا ، ثم اقطعوا يده . فقيل له : ولم ؟ فقال : يقطع لسرقته ، ويضرب لكذبه على الله .(٣)

---

(١) احمد بن تيمية : العبودية ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٤هـ ، طبعة جديدة ، ص ١٠ .

(٢) نقلا عن : محمد المجذوب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، د . م ، دار الاعتصام ، ١٣٩٩هـ ، ط٣ ، ص ٩٠ .

(٣) سيد سابق : العقائد الاسلامية ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ ، د . ط ، ص ٩٨ .

مما سبق نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قدّر كل ما كان وسيكون ، ولكن هذا لا يعني الجبر ، لذلك لا يصح للناس أن يتذرعوا بأن الله قدّر عليهم المعاصي .

والإيمان بالقضاء والقدر لا يتخذ سبيلا إلى التواكل ، ولا يتخذ ذريعة إلى المعاصي ، ولا طريقا إلى الكسل والخمول ، ولا طريقا إلى القول بالجبر ، وإنما يجب أن يتخذ سبيلا إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال .(١)

ولقد كشف النبي صلى الله عليه وسلم لأمته بسلوكه الترجمة الحقيقية لمفهوم القضاء والقدر ، حين أخذ الأسباب ، واعتمد بقلبه على الله في تحقيق ما يصبوا اليه . فقد قاوم صلى الله عليه وسلم الفقر بالعمل ، وقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم المرض بالعلاج ، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد .(٢)

فلم يقعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا صحابته رضوان الله عليهم عن نشر الدعوة ، انتظارا لما يأتيهم به القدر من هداية للبشر ، ولم يقعدوا عن الجهاد انتظارا لما يأتيهم به القدر من نصر .

ولم يقعدوا عن طلب الرزق ، بل سعوا في طلب الرزق لأنهم علموا أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، حفروا الخنادق ، ولبسوا الدروع ، واستخدموا الجواسيس ، واستعانوا بالأصدقاء ، وتداووا ، وأمروا بالتداوي ، وسعوا في طلب الرزق ، وحثوا عليه غيرهم .(٣)

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الأخذ بالأسباب المشروعة هي من قدر الله ، حين قيل له : " أرأيت رقى نسترقي بها ، وتقى نتقي بها ، وأدوية نتداوى بها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله " .(٤)

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك ، روى البخاري : أن عمر رضي الله عنه لما خرج إلى الشام لقيه أمراء الأمصار ، وأخبروه بإنتشار الوباء فيها

---

(١) سيد سابق : العقائد الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد بيصار : العقيدة والأخلاق ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣م ، ط٤ ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٤) محمد بن أبي بكر ، المعروف بابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق محمد حامد فقي ، مصر ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١هـ ، د.ط ، جـ٣ ص ١٤١ .

فاستشار المهاجرين والأنصار، ثم مهاجرة الفتح من مشايخ قريش، فاجتمع المهاجرة على الرجوع، بعدًا عن الوباء، وأمر بذلك عمر، فقال له أبو عبيدة : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها ياأبا عبيدة. نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ (١).

فالأخذ بالأسباب إذًا من قدر الله لدفع قدر الله، ولكن الإلتفات الى الأسباب واعتبارها مؤثرة في المسببات، شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب قدح في الشرع (٢).

وقد فهم السلف الصالح العلاقة بين الإيمان بالقدر وتعاطي الأسباب وعرفوا أن الأخذ بالأسباب داخل في معنى الإيمان بالقدر، وأنه من مقتضيات الإيمان بالقدر (٣).

يقول ابن القيم :

"لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله ... وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل ... فإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته إعتماد القلب على الله في حصول ماينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع مايضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الإعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزا ..." (٤).

---

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري، مرجع سابق، جـ ١٠ ص ١٧٩ .

(٢) أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الرباط، مكتبة المعارف، د. ت، د. ط، جـ ٨ ص ٥٢٨ .

(٣) محمد نعيم ياسين : الايمان أركانه حقيقته نواقضه، د. م، د. ن، ١٤٠٥هـ، ط٤ ص ١٩٩ .

(٤) محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية : زاد المعاد، تحقيق محمد حامد فقي، مصر، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧١هـ، د. ط، جـ٣ ص ١٤٢ .

فالسلف الصالح ومن تبعهم بإحسان آمنوا بأن كل مايحدث لهم مقدر من عند الله ، ولكن ذلك لم يقعدهم عن الإيجابية واتخاذ الأسباب، انهم اتخذوا الأسباب عبادة لله ، وآمنوا بأن النتائج التى يتوصلون اليها هى قدر قدره الله ، وأنها ليست حصيلة الأسباب التى اتخذوها ، كما آمنوا بأن الأسباب لا تؤدى بذاتها أداء حتميا إلى النتيجة ، إنما تؤدى إلى النتيجة بقدر من الله ، وآمنوا بأن لو شاء الله ألا يوصل السبب إلى النتيجة فان الذى ينفذ بالفعل هو ارادة الله وليس حتمية الأسباب (١) .

هذا المفهوم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر كان له أثره الكبير فى حياة السلف الصالح ، فقد دفعهم إلى العمل فى كل مجال من مجالات الحياة ، وإلى الجهاد فى سبيل الله ، وإلى السعى فى طلب العلم ، وإلى السعى فى طلب الرزق ، وإلى عمارة الأرض بمقتضى المنهج الربانى . فهم لم يتخذوا الإيمان بالقضاء والقدر سبيلا إلى التواكل ، ولا ذريعة إلى المعاصى ، ولا طريقا للكسل والخمول ، ولا حجة الى القول بالجبر (٢) ، إنما اتخذوه سبيلا إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الاعمال ، لتغيير الواقع السيئ فى جميع المجالات ، فافتتحوا المدارس، ونشروا العلم ، وأنشأوا المكتبات ، وابتكروا المنهج العلمى التجريبى ، ونشروا العقيدة الاسلامية فى معظم أصقاع المعمورة فى ذلك الوقت ، واهتموا بالزراعة ، وبنوا السدود ، وأقاموا صناعات متعددة ، وأنشأوا المستشفيات وغير ذلك من الأعمال الجليلة ، وهم فى كل ذلك ملتزمين بتعاليم العقيدة الاسلامية ، وبأخلاقيات العقيدة الاسلامية .

ولكن فى العصر الحالى تغير هذا المفهوم عند معظم المسلمين ، فبدلا من كونه فى مفهوم الأجيال الأولى قوة دافعة إلى الأمام فى جميع مجالات الحياة ،

---

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغى أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧ .

(٢) سيد سابق : العقائد الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

أصبح اليوم قوة مثبطة عن العمل في جميع المجالات ، وذلك لسوء فهم مفهوم القضاء والقدر .

لقد اتخذ كثير من المسلمين الجاهلين عقيدة القضاء والقدر حجة لارتكاب المعاصي ، وسببا للكسل والخمول ، واستسلاما للواقع السيئ ، باعتباره نتيجة تقدير الله السابق وقضائه المنفذ وفق إرادته (١) .

من ذلك أن الأجيال الحالية قرأت أن الرزق مقسوم ، وأن ماكان لك سوف يأتيك على ضعفك ، وماكان لغيرك لن تناله بقوتك ، ففهمت أن مقتضى ذلك ترك الكسب ، وإهمال السعي في طلب الرزق ، والقعود بلا عمل ، وقرأت ذلك الأجيال الأولى ، ففهمت منه أن عليها أن تعمل بكل مافي وسعها ، وأن تبذل طاقاتها لجمع المال من الحلال ، ثم إذا استفرغوا الجهد رضوا بما جاءهم ، فلم يسخطوا على ربهم ، ولم يحملوا الحسد لمن نال من إخوانهم اكثر مما نالوا ، ولم يبطرهم الغنى ، ولم يؤلمهم الفقر .

وقرأت الأجيال الحالية أن الأجل محتوم ، فاتخذت ذلك سببا لإهمال التوقي والإحتياط وعدم إعداد القوة ، وقرأت ذلك الأجيال الأولى فقالوا : إذا كان الأجل محتوما لا يموت أحد قبل موعده ، ولو خاض اللهب وتلقى بصدره الرماح والسهام ، ولا يتأخر عن موعده ولو اعتصم في حصن له سبعة أسوار ، فلنعمل لما يرضى الله ، ولنعد القوة ، ونجاهد بأنفسنا في سبيل الله ، لا نخشى الموت لأن الموت محتوم ، له موعد لا يسبقه ولا يتأخر عنه ، ولنجاهد بألسنتنا في إنكار المنكر ، ومواجهة الطاغي الظالم بكلمة الحق ، فأقبلوا لا يخشون في الحق أحدا ، ولا يخافون في الله لومة لائم .

وقرأت الأجيال الحالية أيضا أن كل شيئ مقدر ، فأهملت دراسة سنن الله في الكون ، وقوانين الطبيعة فكان من نتيجة ذلك أن هبطنا من الذروة إلى الحضيض ،

---

(١) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١٠٦ .

ونزلنا من الأعالي إلى الأسافل في جميع مجالات الحياة. وكان سلفنا الصالح أساتذة في معرفة سنن الله في الكون ، فاستفادوا من تلك المعرفة ، وكانوا سادة الدنيا وقادتها وأساتذتها [١] .

وقد أدى هذا الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر إلى نتائج خطيرة من أهمها ترك الكسب والإرتزاق ، وترك السعي في طلب العلم ، والاستسلام للواقع السيئ في جميع المجالات باعتباره نتيجة تقدير الله السابق ، وقضائه المنفذ وفق إرادته . وهذا في نظر الباحث من أخطر النتائج الناتجة عن سوء فهم مفهوم عقيدة القضاء والقدر .

ولقد لعبت الصوفية دورا كبيرا في تشويه مفهوم القضاء والقدر - لدى عامة المسلمين - على مر القرون ، وذلك حين اعتبرت أن تغيير الواقع السيئ من مرض أو عجز أو فقر أو ذل أو عبادة غير الله مع الله ، أو تخلف علمي وحضاري ، تمردا على قدر الله ، لأنه ماحدث إلا بقدر من الله ، ولو شاء الله غير ذلك لكان ! [٢] ، وحين اعتبرت الأخذ بالأسباب ينافي حقيقة التوكل على الله .

والدليل على فساد المفهوم الأول [٣] ، أن العقيدة الاسلامية حثت معتنقيها على التداوي ، وعلى الكسب ، وعلى السعي في طلب الرزق ، وعلى نشر الدعوة الاسلامية الصحيحة ، وعلى السعي في طلب العلم ، وعلى عمارة الأرض ماديا بمقتضى المنهج الرباني .

ولو كان الإيمان بالقضاء والقدر معناه السكوت والإستسلام لاقتضى ذلك أن يسكت محمد صلى الله عليه وسلم على ماكان عليه قومه من الشرك والفساد ، لأنه قضاء وقدر ، ولكن الذي فعله صلى الله عليه وسلم عكس ذلك ، فقد أنكر ماكان عليه قومه من الشرك والفساد في الأخلاق ولم يرض به وحاربه حتى أزاله وغيره .

---

(١) علي الطنطاوي : تعريف عام بدين الاسلام ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٧٩ .

(٣) المقصود بالمفهوم الأول : أن تغيير الواقع السيئ يعتبر تمردا على قدر الله .

وكذلك قاوم صلى الله عليه وسلم الفقر بالعمل، وقاوم الجهل بالعلم، وقاوم المرض بالعلاج، فلم يقعد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا صحابته رضوان الله عليهم عن نشر الدعوة إنتظارا لما يأتيهم به القدر من هداية للبشر، ولم يقعدوا عن الجهاد إنتظارا لما يأتيهم به القدر من نصر، ولم يقعدوا عن طلب الرزق بل سعوا في طلب الرزق لأنهم علموا أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة (١).

وقد سارت الأجيال الأولى على طريقة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم، في تغيير الواقع السيئ في جميع مجالات الحياة، أما الصوفية فإنها ..

" في حقيقتها عملية هروب عن مواجهة الواقع ومجالدته .. هروب إلى عالم (خاص) من صنع الوجدان، ينعم فيه الإنسان (بمشاعر) القرب من الله - وهمًا أو حقًا - فيقعد عن (العمل) إكتفاءً بتلك المشاعر التي تختصر له الطريق .

إن (الاعمال) وسيلة للقرب من الله .. ولكن ماحاجة (الواصل) إلى الوسيلة وقد وصل بالفعل ؟ !

كذلك يقعد الصوفية عن العمل والكدح في واقع الحياة الدنيا، كما يقعدون عن مجالدة الواقع المنحرف لرده إلى سواء السبيل، ويكتفون بتلك المشاعر التي تخيل إليهم أنهم قريبون من الله واصلون إليه عائشون في حضرته، سابحون في نوره " (٢).

فالصوفية صورة سلبية تتطهر بالإنعزال عن الواقع السيئ في جميع مجالات الحياة، فهي لا تواجهه ولا تقاومه، ولا تقاتله، فتكون النتيجة - حين ينعزل الأتقياء الصالحون كلهم عن تيار الحياة في المجتمع - أن يستأسد الشر ويستشرى، لأنه يعمل في الميدان وحده بغير مقاومة من العنصر النظيف في المجتمع .

والعقيدة الاسلامية لا تقر هذه الإنعزالية حتى لو كانت توفر لأصحابها التطهر الحقيقي، لأنها أشبه بالرهبانية، ولا رهبانية في الاسلام (٣).

---

(١) محمد بيصار : العقيدة والأخلاق، مرجع سابق، ص ١٧٠ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٣٩، ١٤٠ .

(٣) الثقافة الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المستوى الرابع، ص ٦٠ .

أما الدليل على فساد المفهوم الثاني - وهو أن الأخذ بالأسباب ينافي حقيقة التوكل على الله - هو أن سيد المتوكلين محمد صلى الله عليه وسلم، كانت جميع أعماله قائمة على إتخاذ الأسباب، لأنه علم أن لله سننا في كل شيء، إذا طبقت هذه السنن كلا حسب مجالها فإنها تؤدي إلى الأهداف المقصودة. فقد اتخذ صلى الله عليه وسلم السلاح، وحفر الخندق، وخطط للهجرة أحسن تخطيط، (ولم يقل أخرج على التوكل، بل كان ببدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب)(١) وأمر بتأبير النخل بعد أن أمر بتجربة تركه فلم يثمر(٢).

والتوكل على الله من أفضل العبادات القلبية، وعرف بأنه: "اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله وفعل الأسباب"(٣).

وقد ورد ذكر التوكل في القرآن مقرونا بالإيمان، قال تعالى:

((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))(٤).

وقال تعالى: ((وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ))(٥).

وقد حدث أن سأل أحد الأعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ناقته: أيتركها عند باب المسجد ويتوكل على الله ؟. فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم، أن يعلمه أن التوكل على الله لا يتم إلا بعد أن يستنفذ المؤمن جهده في إستعمال السنن الطبيعية، وفي مقدمتها هنا تقييد الناقة، لأن تقييدها يمنعها من الفرار(٦)، لذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل (أعقلها وتوكل)(٧).

---

(١) عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس ابليس، د.م، دار الفكر، د.ت، د.ط، ص ٣٠٥.

(٢) الثقافة الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المستوى الرابع، ص ١٠٦.

(٣) عبد العزيز المحمد السلمان: الكواشف الجلية، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٦) محمد المجذوب: مشكلات الجيل في ضوء الاسلام، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٧) رواه الترمذي.

قال ابن القيم : " أجمع السلف الصالح على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب . فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها ، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد "(١) .

وقال سهل بن عبد الله التستري : " من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ، ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة "(٢) .

فالتوكل على الله طاقة إيجابية دافعة - ككل شيء في دين الله - يقوم به المؤمن مع اتخاذ الأسباب والثقة بالله ، أما التواكل الذي تمارسه الصوفية ، الناتج عن عدم الأخذ بالأسباب فهو - ككل شيء في الصوفية - صورة سلبية معطلة تتقاعس عن اتخاذ الأسباب متذرعة بالتوكل على الله .(٣) وهذا التواكل هو الذي أصاب المسلمين في الوقت الحاضر ، وهو مرض إذا أصاب أمة من الأمم هوت في مهاوي التخلف حسب سنن الله .(٤)

٣ - سوء فهم مفهوم العبادة :

إن الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها هي العبادة - قال تعالى :

((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))(٥) .

ولأجلها أرسل الله جميع الرسل ، قال تعالى :

((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ))(٦) .

وقال تعالى :

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ))(٧)

---

(١) محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية : مدارج السالكين ، تحقيق محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣هـ ، ط٢ ، جـ٢ ص ١١٦ .

(٢) عبد الرحمن بن الجوزي : تلبيس ابليس ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

(٣) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٤) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ٦٢ .

(٥) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .

(٦) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٧) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

والعبادة "إسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنـــة والظاهـــرة"(١).

فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادة ، وكذلك صدق الحديث ، وأداء الأمانة، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإماطة الأذى عن الطريق ، والمشي إلى الصلاة ، والجهاد في سبيل الله، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، وذكر الله - من تسبيح وتهليل وتكبير واستغفار - وقراءة القرآن عبادة ، وكذلك حب اللـــه وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وخشية الله ، والإنابة إليه ، وإخلاص الدين لـه ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضاء بقضائه ، والتوكل عليه ، كلها من العبادات لله(٢). وكذلك السعي في طلب الرزق ، والسعي في طلب العلم عبادة ، ونشر الدعـــوة الاسلامية عبادة ، والتفكر في الكون عبادة ، وإصلاح ذات البين عبادة ، وعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني عبادة ، إلى غير ذلك من الأقوال والأعمال التي يحبهـا الله ويرضاها ، كلها تعتبر عبادة .

ولا تسمى هذه الأقوال والأعمال عبادة لله إلا إذا كانت مع التوحيد ، أمـــا إذا خالطها الشرك فانه يفسدها(٣).

فمفهوم العبادة في الاسلام مفهوم واسع يشمل الشعائر التعبدية ويشمل كل الحياة ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ.. ﴾(٤)

وهذا المفهوم هو الذى سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فهم لـم يحصروا العبادة في الشعائر التعبديه فقط ، إنما كان في حسهم أن حياتهم كلهـا

---

(١) أحمد بن تيمية : العبودية ، مرجع سابق ، ص ٤ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد بن عبد الوهاب : ثلاث عشرة رسالة ، نقلا عن الجامع الفريد ، ص ٢١٤ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٦٢ ، ١٦٣ .

عبادة، وأن الشعائر التعبدية إنما هي لحظات مركزة، يتزود الانسان فيها بالطاقة الروحية التي تعينه على أداء بقية العبادة المطلوبة منه في كافة مجالات الحياة.(١)

كان إحساس المسلم -من السلف الصالح- بواجبه في الجهاد في سبيل الله كإحساسه بواجبه في الصلاة. هنا يعبد الله، وهناك يعبد الله.

وكان إحساسه بضرورة الزواج لكي يحصن نفسه من الوقوع في الفاحشة، ولكي يتخذ السبيل إلى تكثير الأمة الاسلامية التي تجاهد في سبيل الله لاقتلاع الشرك من الأرض، ونشر التوحيد وإقامة شريعة الله في ربوعها، هو إحساس العبادة.

ولا يتناقض في حسه معنى العبادة مع الإحساس بمتعة الجسد مادامت في حلال أباحه الله.

كذلك كان إحساس المسلم بسعيه في طلب الرزق، وسعيه في طلبه للعلم، وعمارته للأرض، وكل نشاط جسده وعقله وروحه، هو إحساس العبادة.(٢)

لذلك حققت الأجيال الأولى ما حققته من منجزات رائعة في كل اتجاه.

وما كانت تلك الأجيال لتقدر على دك حصون الشرك واقتلاعها بمثل هذه السهولة، وبمثل هذه السرعة التي لا مثيل لها في التاريخ.

وما كانت لتقدر على إبراز تلك المثل الرفيعة التي أبرزتها في عالم الواقع، من إقامة العدل الرباني في الأرض، ونظافة التعامل، والوفاء بالمواثيق، وشجاعة النفس، والبطولة الفذة في ميدان القتال وميدان السلم سواء.

وما كانت لتقدر على إنشاء حركتها العلمية الضخمة التي رأينا بعض مظاهرها في الفصل الثاني، ولا حركتها الحضارية الفائقة التي رأينا بعض مظاهرها في الفصل الثالث، لولا هذا الإحساس العميق لديها بأنها في ذلك كله تقوم بالعبادة التي خلق الله الانسان من أجلها، وتقوم بها بذات الحس الذي تؤدى به الصلاة.(٣)

---

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٠ - ١٩١. (٣) المرجع السابق، ص ١٩٢.

هذا المفهوم الشامل للعبادة في الاسلام تغير في العصر الحالي لدى معظم المسلمين ، فقد أساء معظم المسلمين في العصر الحالي فهم العبادة وذلك حين حصروها في الشعائر التعبدية ، وحين أخرجوا العمل من مسمى العبادة ، وهذا لا يعني أن الاسلام لم يهتم بالشعائر التعبدية ، بل على العكس من ذلك ، فقد احتفى الاسلام بالشعائر التعبدية حفاوة ظاهرة ، فهي التي تربط القلب ربطا دائما ومتجددا بالله ، وهي بمثابة محطات في الطريق يتزود منها الإنسان بالزاد الذي يعينه على بقية الطريق[(١)] ، ولكنه في نفس الوقت لم يحصر العبادة المطلوبة في الشعائر التعبدية فقط ، بل جعل العبادة شاملة لجميع نشاط الانسان .

وفي العصر الحالي أخرج العمل من دائرة العبادة ، بمعنى أن العمل في الحياة الدنيا انفصل في حس الناس عن دائرة العبادة ، وصار للعمل ركيزة أخرى غير العبادة ، لتكن هي الكسب أو هي الإقتناء والملك ، أو هي الغلبة والسيطرة ، أو هي المتاع الحسي أو المتاع المعنوي ، أو أي دافع من الدوافع " الذاتية " التي تدفع الانسان للإنتاج والعمل غير مرتبطة بالإيمان بالله أو التعبد اليه .. وصار في حس الانسان أنه حين " يعبد " ينقطع عن العمل ، وحين " يعمل " ينقطع عن العبادة[(٢)] .

وهذا المفهوم السيئ للعبادة كانت له نتائج سيئة في المجتمع الاسلامي ، فقد أصبح مألوفا لدى اكثر الناس في العالم الاسلامي ، أن تجد الرجل يؤدي الشعائر التعبدية ثم يكذب ، وأصبح مألوفا أن يخرج الرجل من الصلاة بالمسجد ثم يغش المسلمين ، وأصبح مألوفا أن يخرج الرجل المسلم من الصلاة وقد خان الأمانة التي أؤتمن عليها ، أو أخلف الوعد الذي التزم به[(٣)] ، وأصبح مألوفا أن يتعامل الرجل

---

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

المسلم بالربا ، وأصبح مألوفا أن يتعامل المسلمون بالرشوة ، وأصبح مألوفا أن يتعامل المسلمون ببيع النجش .

وللأسف الشديد صار المنكر في بعض بلدان العالم الاسلامي أمرًا مألوفا ، أما المعروف فهو أمرٌ مستغرب ، حتى أن بعض الناس في العالم الاسلامي يعتبرون الشخص الذي يصدق في الحديث ، ويتقن العمل ، ولا يخون الأمانة ، ولا يرتشي ولا ينافق شخص (أبلـه) أو (مغفل) وأصبح الشخص الملتزم بتعاليم دينه في جميع شئون الحياة ، شخص شاذ أو نادر الوجود !!

هذا من ناحية إخراج العمل اليومي الذي يقوم به الانسان من دائرة العبادة .

أما من ناحية تثبيط الهمم عن العمل واعتباره فضول يشغل عن الله وعن عبادته ، فقد كان للصوفية دورا كبيرا في هذا المجال ، فهي قد حصرت العبادة في الشعائر التعبدية ، واعتبرت الجهاد وإنكار المنكر ، ورد الطغيان والإستعمار ، ومقاومة الظلم ، والعمل في جميع ما ينفع المسلمين من الأمور العامة فضول يشغل عن الله وعن عبادته (١) ، وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على جهل الفرق الصوفية .

والصوفية بالإضافة إلى أنها ثبطت الهمم عن العمل ، فإنها ابتدعت عبادات جديدة ، بعضها من جنس العبادات الاسلامية ، كصيام أيام لم تشرع ، واختراع أدعية مخصوصة تقال في أزمنة معينة ، أو إختراع أوراد وأذكار تقال بأعداد كبيرة جدا ، وبعضها من غير جنس العبادات المشروعة كالنذور للقبور ، أو اتخاذ أعياد ومواسم واحتفالات عندها ، أو في أيام مخصوصة ، وغير ذلك مما شاع وانتشر في معظم البلاد الاسلامية في صور متعددة ، حتى غدت العبادة في أصلها المشروع وزياداتها المبتدعة الشغل الشاغل الذي لا يُبقي مكانا لجهاد أو لعمل اجتماعي نافع أو لعمارة الأرض أو لنشر العلم أو للتفكر في قضايا عامة تهم المسلمين (٢) ،

---

(١) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

لأن الصوفية ترى أن الانسان لا يستطيع أن يبلغ الغاية التى يسعى اليها وهى " الوصول " إلى الله ، إلا عن طريق الإنشغال الكلى بالعبادات المشروعة والمبتدعة (١)، وعن طريق الإستسلام الكلى للشيخ . وإذا " وصل " الانسان إلى الله فما قيمة الأعمال ، إنه ليس بحاجة إلى العمل ، لأنه قد " وصل " إلى الله (٢) !.

وهكذا يقعد الصوفية عن العمل والكدح فى واقع الحياة ، لأن الدنيا فى مفهومهم الخاطئ هم وأتباعهم لا تستحق عند الله جناح بعوضة (٣)، ولأن العمل فى اعتقادهم يثقل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها (٤)، ويكتفون بتلك العبادات المحرفة والغير مشروعة التى تخيل اليهم أنهم قريبون من الله ، واصلون اليه عائشون فى حضرته ، سابحون فى نوره (٥).

والصوفية وإن كان فيها نزوع إلى تزكية الروح وتطهيرها - وهو من الاسلام - ونزوع الى الترفع عن متاع الأرض - وهو من الاسلام - ونزوع إلى ذكر الآخرة وما فيها من نعيم مقيم ، وعذاب مقيم - وهو من الاسلام - فإن فيها سلبية وإنعزالية ليست من الاسلام (٦)،

> " فهى التى فرقت بين الدنيا والآخرة ، واتجهت إلى إهمال الدنيا بحجة تزكية الروح من أجل الآخرة ، وأهملت بالتالى عمارة الأرض على أساس أن الإشتغال بها يثقل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها ، ومن ثم أهملت العلوم المتصلة بتلك العمارة ، واعتبرتها نافلة تستطيع الأمة أن تستغنى عن أدائها بلا ضير " (٧).

وكذلك أهملت الجوانب الحضارية ، حين زهدت الناس فى الإنشاء والتشييد ،

---

(١) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ١١٤ .
(٢) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٩ .
(٧) المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

وقعدت بهم عن التنظيم في جميع مجالات الحياة، حتى جعلتهم يحبون الفقر ويرضون به، على اعتبار أنه من قدر الله، وحتى جعلتهم يحسون بأنهم ليسوا في حاجة إلى تقدم حضاري، فالحضارة ليست لازمة لهم، والتنظيم ليس لازما كذلك، لأن الدنيا ماهي إلا سنوات عابرة تمضي على أي وضع وفي أي صورة، ثم يذهب الناس إلى ربهم فينعمون بالخلد في جنات النعيم (١).

وفي العصر الحاضر أصبحت الشعائر التعبدية المشروعة تؤدى أداءًا تقليديا،

"فقراءة القرآن وتلاوته لفظا، أصبح بديلا عن العمل بما فيه، من آيات الجهاد والنظر إلى الكون، والتفكير فيما خلق الله، وإقامة العدل والميزان بالقسط، والحكم بما أنزل الله، واستثمار مافي الكون من نعم الله، مع أن ذلك كله عبادة" (٢).

وأصبحت أيضا أعمالا مقصودة لذاتها بغير مقتضيات لها.

فالصلاة أصبحت مجرد حركات تؤدى بلا خشوع، ولا طمأنينة، ولا التفات إلى معنى مايتلى فيها من الآيات (٣)، حتى أنك لو سألت بعض المصلين الذين أدوا احدى الصلوات الجهرية عن الآيات التي قرأها الإمام في الركعة الأولى أو الثانية في تلك الصلاة فإنه لا يتذكرها. لذلك فإن المصلي ينصرف من الصلاة ولم تؤثر في نفسه، أو تؤثر على تصرفاته، بل تراه يفعل بعض المنكرات التي تخالف العقيدة التي يعتنقها.

والصوم أصبح - في حس معظم المسلمين - مجرد امتناع عن الطعام والشراب ساعات النهار، مع نهم ضخم لأشكال متنوعة من الطعام بعد الإفطار يصل إلى حد الإسراف، كأنما شهر رمضان شهر الأطعمة المختلفة لا شهر الصوم (٤).

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٢) الثقافة الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، المستوى الرابع، ص ١١٥.

(٣) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص ٢٤٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

أيضا ارتبط في حس بعض المسلمين أن نهار رمضان يستغل في النوم ، حتى أن بعض الصلوات لا تؤدى جماعة من قِبَل هؤلاء الناس الذين جعلوا نهار رمضان للنوم . وهذه الفئة من الناس تُحوّل ليالي رمضان من ليالٍ تستغل في القيام والتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، إلى ليالٍ حمراء يستغل وقتها في الملاهي والمسارح ، وأصبح رمضان في حس كثير من المسلمين أنه شهر نوم في النهار ، وسهر في الليل على الملهيات التي لا يرضاها الله ، لذلك لا يرى - بالطبع - أثرا للتقوى التي يحدثها الصوم على أناس يصومون رمضان بهذه الكيفية ، لأن التقوى لم تحدث وذلك لأن الصوم لم يؤدى الأداء المطلوب .

وزكاة الأموال لا تؤدى كاملة على وجهها المطلوب من قِبَل بعض المسلمين الذين تجب عليهم الزكاة ، وإن أُديت بالوجه الغير مطلوب لمستحقيها ، فإنها تتبع بالمن والأذى والتسلط والإستعباد ، والبعض من المسلمين لا يعطي الزكاة لمستحقيها ، بل يعطيها من لا يستحقها من أصحاب الوظائف المرموقة ، وذلك لكي يكسب ودهم ويسخرهم بعد ذلك لإنهاء مايحتاجه منهم بيسر وسهولة ، لذلك نجد أن الزكاة لم تحقق الحكمة التي شرعت من أجلها ، لأنها لم تؤدى الأداء الحقيقي ، ولو أنها أديت الأداء الحقيقي لطهرت نفوس من تجب عليهم الزكاة من البخل والشح والشره والطمع ، ولأغنت الفقراء والمساكين والمحرومين ، ولخففت من تضخم الأموال عند الأغنياء ، وبأيدى التجار المحترفين ، لكيلا تحصر الأموال في طائفة محدودة ، أو تكون دولة بين الأغنياء (١) .

والحج - على كونه مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا ، وعلى كونه أياما معدودات - فهو عبادة عميقة الأثر في حياة المسلم حين يؤديها الأداء الحقيقي ، الذي كانت تؤديه الأجيال الأولى ، التي مارست العبادة بمعناها الشامل (٢) .

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري : منهاج المسلم ، د . م ، دار الفكر ، ١٣٩٦هـ ، ط٨ ، ص ٢٤٧-٢٤٨ .

(٢) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

إن الحـــــج :

"عبادة تشمل في طياتها كل العبادات .. بتركيز واضح علـــى عبادة التوحيد بالذات .. .

إنه خلوص وتجرد إلى الله .. تجرد من كل ماتتعلق به النفس في الحياة الدنيا من أهل ومسكن وموطن ومتاع .. حتى الملبس الذى تعود الانسان أن (يتزين) به ويتأنق بخياطته على قده (تجرد منه) -إنه- (أياما معدودات" ولكنها في حساب النفس حدث هائـل عميق .. تغيير كامل شامل يتوغل في النفس حتى أعماقها ويلقـى عنها خبثها كله .. لتعود كأنما هي خلق آخر .. ولد اللحظـة ليبدأ رحلة حياة جديدة غير التي كانت من قبل .. ".(١)

لذلك كان للحج أثره في حياة المسلم، وذلك مصداقا لقول الرسول صلى اللـــه عليه وسلم : (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه).(٢)

أما الان فيؤدى الحج من قبل معظم المسلمين للحصول على لقب (الحاج) ولا حرج بعد ذلك على الحاج أن يكذب، أو يتعامل بالربا، أو يخون الأمانـــة ، كذلك أصبح سنة لدى بعض المسلمين، أن الانسان لا يؤدى فريضة الحـــج إلا إذا تجاوز سن الخمسين أو الستين ، وهذا مشاهد ، حيث إن معظم المسلمون الذين نراهم يؤدون فريضة الحج ، أعمارهم تتجاوز الخمسين والستين عامـا ، وإذا سألت أحدهم لماذا لم تؤدى فريضة الحج منذ سن الشباب ؟ أجاب بأنه لـــو أدى فريضة الحج في سن الشباب للزمه أن يتمسك بتعاليم الدين ، وينزوى عـــن الدنيا ومافيها من مباهج مباحة أو غير مباحة ، وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على سوء فهم للدين الاسلامى ، حيث أصبح في حس كثير من الناس أنهـــم لا يلتزمون بتعاليم الدين الاسلامى مع كونهم مسلمين ، إلا إذا أدوا فريضة الحج ، والكثير من المسلمين الذين يؤدون فريضة الحج بالرغم من هذا التصور الخاطيئ ،

---

(١) محمد قطب : مفاهيم ينبغي أن تصحح ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

(٢) متفق عليه .

فانهم لا يلتزمون بتعاليم الدين الاسلامى ،لأنهم نشأوا من الصغر على كثير من المخالفات التى لا يقرها الاسلام . هذا بالإضافة إذا لاحظنا مايقع فى الحج من مخالفات من بعض الحجاج تتمثل فى التدافع المقصود ، والدهس بالأقدام فوق بعض الحجاج ، مما يؤدى إلى وفاة البعض منهم فى المطاف أو عند الجمرات .

كذلك نلاحظ فى العصر الحاضر أن كثيرا من العبادات تصرف لغير الله فى بعض البلاد الاسلامية، ومعلوم أن حكم من صرف شيئا من العبادة لغير الله ، مشرك مخلد فى النار . قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢) .

لكن بالرغم من هذا التهديد الربانى ، فإن بعض المسلمين فى بعض الأقطار الاسلامية صرفوا بعض أنواع العبادة لغير الله * ، فالدعاء الذى يعتبر مخ العبادة، صار يصرف لغير الله ، فبدلا من التوجه إلى الله وحده بالدعاء ، صار التوجه بالدعاء إلى الأولياء والصالحين ، والذبح الذى يعتبر نوع من أنواع العبادة التى لا يجب صرفها إلا لله ، أصبح يصرف لغير الله ، حيث إن بعض المسلمون يذبحون الذبائح عند قبور الأولياء والصالحين بقصد القربة وطلب الشفاء منهم ، وكذلك بقية أنواع العبادة دخلها الشرك الذى يعتبر أكبر جريمة يرتكبها الانسان فى حق نفسه على وجه الأرض ، لأن الانسان المشرك بالله مهما عبد الله ومهما عمل من أعمال

---

(١) سورة النساء ، آية : ٤٨ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٢ .

* أنظر فى هذا المجال : عبد المنعم الجداوى : كنت قبوريا ، الرياض ، رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء ، ١٤٠١هـ ، ط٤ .

صالحة ، فإن عبادته وأعماله الصالحة لا تقبل منه ولا تسجل له في سجل حسناتـه ، لأن الشرك مفسد للعبادة بمفهومها الشامل .

هذه هي الصورة التي انتهت إليها العبادة في معظم أقطار العالم الاسلامي في العصر الحالي ، والفرق واضح بين مفهوم العبادة كما أنزل من عند الله ، وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووعاه الجيل الأول ومارسه ، وبين المفهوم الشائـه الهزيل الضامر الذي فهمته الأجيال المتأخرة ، سواء مارسته أم لم تمارسه .

"إن العبادة على هذا النحو الشائه الهزيل الضامر ، ولو قام بها الألف مليون كلهم الذين يعيشون من المحيط الى المحيط ، لـن تنقذهم مما هم فيه ، ولن ترفعهم من وهدة الهوان والذل الـتي تحيط بهم من كل مكان .

لأمر بسيط .. لأنها ليست هي العبادة التي كتبها الله ، وكتـب معها العزة لمن يقومون بها في صورتها الصحيحة .. وكتـب لهم التمكين والإستخلاف في الأرض .. - قال تعالى - ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا " يَعْبُدُونَنِي " لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)) (١) .

والمعول كله كما هو واضح من الآية هو تلك " العبادة - الخالصة لله - حين تؤدى على النحو الذي كتبه الله .. أما العبادة التي يقوم بها الغثاء الموجود اليوم من المحيـط الى المحيط - إلا من رحم ربك - العبادة التي تفرغ لا إله إلا اللـه من مقتضياتها ، وتجعلها مجرد كلمة تنطق باللسان ، وتخـرج التكاليف كلها من دائرة العبادة ، وتفرغ الشعائر - التعبديـة - من شحنتها الحية الدافعة ، وتتركها أداء شائها هزيلا لا روح فيه ، (العبادة التي يصرف منها شيئا لغير الله) فانها لا تحقق إلا هذا الخسران الذي يمارسه ذلك الغثاء في واقع الأرض ..

---

(١) سورة النور ، آية : ٥٥ .

والغثاء - بهذه العبادة الهزيلة الشائهة الضامرة (الغير خالصة لله) - لا يعجز عن انقاذ نفسه فحسب، بل هو كذلك يصد عن السبيل !" (١) .

إن سوء فهم المسلمين لمفاهيم عقيدتهم الاسلامية أبعدهم عن العقيدة الاسلامية وأصبحت تصرفاتهم في جميع المجالات مخالفة لتعاليم عقيدتهم الاسلامية .

فسوء فهم العقيدة الاسلامية أدى إلى سوء في السلوك، وكلا الأمرين خطير غاية الخطورة، ولكن الخطورة القصوى تكمن بلا شك في (سوء فهم العقيدة الاسلامية) لأنه هو الذي يؤدي إلى سوء في السلوك من ناحية، ويؤخر علاجه من ناحية أخرى، فحين تكون العقيدة صحيحة ومفهومة الفهم الصحيح، ويكون الإنحراف السلوكي ناشيئا من التفلت البشري الطبيعي من التكاليف، فإن التذكير يكفي لعلاجه، لأنه هو العلاج الرباني للغفلة التي تؤدي إلى نسيان التكاليف، أما حين يكون (سوء فهم العقيدة) هو الداء فالتذكير وحده - بالصورة المعتادة - لا يكفي - لأنه لا يجد استجابته الطبيعية في القلب، ويحتاج الأمر إلى إبراء القلب ذاته مما ألم به من سوء في المفاهيم (٢) .

إن هذا الفهم السيئ للعقيدة الاسلامية، أو هذا التخلف العقيدي كما يسميه الأستاذ محمد قطب، هو عقدة العقد في حياة الأمة الاسلامية في العصر الحالي، لأنه نشأت عنه كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الاسلامي ... التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والسياسي والحربي والثقافي .. (٣) .

ثانيا : الأسباب الخارجية :

تتمثل الأسباب الخارجية التي أدت إلى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية في السيطرة الإستعمارية الصليبية الإستعبادية على معظم البلاد الاسلامية .

---

(١) محمد قطب: مفاهيم ينبغي أن تصحح، مرجع سابق، ص ٢٤٧ .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٧٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣ .

ففي عام ١٨٣٠م احتلت فرنسا الجزائر، وفي عام ١٨٨١م احتلت تونس، وفي عام ١٩١٢م احتلت مراكش، وفي عام ١٩٢٠م احتلت كذلك سوريا، ولبنان .

وفي عام ١٨٥٧م احتلت بريطانيا الهند، وفي عام ١٨٨٢م احتلت مصر، واحتلت العراق في عام ١٩١٤م، وكذلك احتلت فلسطين عام ١٩٢٠م.

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن الحقد الذي يحمله الصليبيون في قلوبهم للاسلام والمسلمين، قال تعالى :

« وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ » (١).

وقال تعالى :

« وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ » (٢).

وقال تعالى :

« وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا » (٣).

فحقدهم على الاسلام والمسلمين منذ البعثة المحمدية وحتى الآن، فهو حقد دائم، مستقر في قلوبهم، فمجرد وجود الاسلام في الأرض كافٍ لتحريك ضغائنهم وباعث لهم على التحرك ضد المسلمين ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا (٤).

وعندما استولت الدول الصليبية الكافرة على معظم البلاد الاسلامية عسكريا في العصر الحديث، أخذت تطبق وصية " لويس التاسع " - الذي سجن في مصر بعد الحملة الصليبية الثامنة، والذي استغل فترة السجن في التفكير العميق لوضع سياسة جديدة تُتبع للسيطرة على العالم الاسلامي - الذي يقول لهم فيها :

"إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده،

---

(١) سورة البقرة، آية : ١٠٩ .

(٢) سورة البقرة، آية : ١٢٠ .

(٣) سورة البقرة، آية : ٢١٧ .

(٤) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ١٩٠ .

فقد هُزمتم أمامهم في معركة السلاح - ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم " .(١)

ويقصد بحرب العقيدة هنا ، إنتزاع العقيدة الاسلامية من قلوب المسلمين ، وصرفهم عن التمسك بها ، لأنه علم من التجربة التي خاضها ضد المسلمين أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بعقيدتهم .

وبالفعل عند ما سيطرت الدول الصليبية الكافرة على معظم البلاد الاسلامية ، بعد ما أصابها من ضعف وتخلف في جميع المجالات ، نتيجة بعد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية ، والمتمثل في سوء فهمهم لمفاهيم العقيدة الاسلامية ، أخذت تغزوهم فكريا لابعادهم أكثر عن عقيدتهم الاسلامية ، ولكي تطفئ نور العقيدة الاسلامية نهائيا في العالم الاسلامي ، لأنه لم يبق فيها ، إلا نور ضئيل جدا ، فلو انقشع الرماد في يوم من الأيام عن هذه الجذوة التي لم يبقى فيها إلا نور ضئيل ، فإنها سوف تعيد المسلمين إلى أمجادهم السابقة ، وبالتالي تفقد الدول الصليبية سيطرتها على بلاد المسلمين .

وقد استخدمت الدول الصليبية الكافرة ، الفكرة ، والكلمة ، والرأي ، والحيلة ، والنظريات ، والشبهات ، وبراعة العرض ، وشدة الجدل ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، وغير ذلك كسلاح لهذا الغزو الفكري .(٢)

ويمكن أن يبين الباحث هنا بإيجاز أهم الوسائل التي استخدمها الصليبيون الكفرة في إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية :

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٢) عبدالستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ، القسم الثاني ، بحث مقدم لموئتمر الفقه الاسلامي الذي عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٤هـ ، د .ط ، ص ١٧٩ .

١ - تشوية العقيدة الاسلاميـة :

يسعى الصليبيون بكل ما أوتوا من قوة لتشوية العقيدة الاسلامية، فهم يزعمون أن من أكبر أسباب إنحطاط المسلمين اليوم ، وتخلفهم العلمى والحضارى إنما هو تمسكهم بعقيدتهم الاسلامية ، ويزعمون بأن العقائد الدينية عموما والعقيدة الاسلامية بصورة خاصة لا تتفق مع العلم ، وأن التمسك بها لا يؤدى إلى التقدم العلمى والحضارى ، بل يقف حجر عثرة فى سبيل ذلك كله (١) .

فهم يظنون أن العقيدة الاسلامية ، مثل عقيدتهم المسيحية المحرفة التى عرقلة النهضة العلمية والحضارية فى أوروبا ، وأن علماء العقيدة الاسلامية ، مثل رجال الكنيسة المسيحية، الذين قتلوا العلماء وأحرقوهم بالنار أحياءً .

وما علموا أن العقيدة الاسلامية هى التى دفعت أتباعها لأن يقوموا بالنهضة العلمية والحضارية التى أنقذت العالم من الجهل والتخلف، عندما كانوا ملتزمين بها ومطبقين لتعاليمها التطبيق السليم .

وماعلموا أيضا أن كل نهضة علمية وحضارية لا يمكن أن تبنى وتستمر إلا إذا قامت على ثلاثة عناصر :

أ - عقيدة صحيحة واعية ونامية .

ب - علم ثابت يكتشف رجاله نواميس الكون وأسرار الحياة .

ج - خلق قويم عظيم يحتمل أعباء النهضة وتضحياتها . (٢)

وهذه العناصر الثلاث هى التى قامت عليها نهضة المسلمين العلمية والحضارية فى القرون الاسلامية الأولى ، وإذا أراد المسلمون اليوم أن تكون لهم نهضة علمية وحضارية، فما عليهم إلا أن يلتزموا إلتزاما فعليا بهذه العناصر أثناء بناء هذه النهضة وبعد البناء أيضا لكى يحافظوا على استمرارها .

---

(١) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، الدمام ، دار الاصلاح ، د. ت، د. ط ، ص١٠٨-١٠٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٠٩ .

وهدف الصليبيون الكفار واضح من هذا التشوية في العقيدة الاسلامية ، فهم يريدون من المسلمين أن يزيحوا عقيدتهم الاسلامية عن جميع شئون الحياة ، لأنها لا تساير ركب الزمن ، ولأنها لا تتفق مع العلم كما يزعمون .

ولم يكتف الكفار بتشويه العقيدة الاسلامية ، وإنما أمتد التشويه إلى مصدرى هذه العقيدة ، القرآن الكريم ، والسنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

يقول (غلاد ستون) :

" مادام هذا القرآن موجودًا بين أيدى المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هى نفسها فى أمان" (١) .

ومن أخطر من عبثوا بالقرآن الكريم ، وتعمد تشويهه المستشرق الكافر (ماكد ونالد) ، حيث إنه يرى أن القرآن الكريم من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، وليس من عند الله ، وهذه هى الطعنة التى يوجهونها للقرآن ويكثرون من ترديدها ، والهدف منها هو تشكيك المسلمين فى مصدر عقيدتهم لكى يبعدونهم عنه .

يقول (ماكد ونالد) :

" كما أنه من المحقق أن أهل مكة جعلوا بينه وبين الجنة نسبا .. وجعلوهم شركاء لله .. وقدموا لهم القرابين وكانوا يعوذون بهم ، ولسنا نعلم علم اليقين : هل كانت قد وجدت لديهم فكرة عن الملائكة أو أنهم جعلوهم شركاء لله ، وربما كان هذا تفسيرا من عند محمد " (٢) .

أما المستشرق الكافر (هـ.جـ.ويلز) فانه يرى أيضا أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذى صنع القرآن الكريم نتيجة معرفته بالديانة اليهودية ، وفى ذلك يقول :

---

(١) نقلا عن : محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، د .م ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م ، ط٧ ، ص ٤١ .

(٢) نقلا عن : دائرة المعارف الاسلامية ، القاهرة ، دار الشعب ، د .ت ، د .ط ، جـ٤ ص ٢٤٥ .

" حدث في مكة قرابة سنة ٥٧٠ ميلادية أن ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) مؤسس الاسلام، وولد له أطفال عديدون، كان اسم أحدهم (عبد مناف)* أي خادم الرب المكي (مناف) وذا يدل على أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يكن قد توصل في ذلك الوقت الى أية اكتشافات دينية، ويحتمل أنه رأى كنائس مسيحية في سوريا ويكاد يكون محققا أنه كان يعرف الكثير عن اليهود وديانتهم ... ، ورأى جماهير الحجيج، ولحظ أمارات الختل وعدم الإخلاص والخرافات المتجلية في وثنية البلدة، فضاق بذلك ذرعا، وربما كان اليهود قد هدوه إلى الاعتقاد في الرب الواحد .. وجاء بآيات معينة أعلن أنها قد أوحيت اليه عن طريق ملك من السماء " (١).

وكذلك المستشرق الكافر (جولد تسيهر) يزعم أن القرآن ماهو إلا مزيج من معارف وآراء دينية استقاها محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى، فهو يقول :

" فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب إتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثرًا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه " (٢).

ويرد الأستاذ عبدالكريم يونس الخطيب على قول (جولد تسيهر) بقوله :

" وهذا القول الآثم، هو زعم زعمه المشركون منذ أربعة عشر قرنا، في موقفهم العنادي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رسالته، وقد تولى القرآن الكريم رد هذا الزعم في حينه، فما إن قال المشركون هذا القول والدعوة الاسلامية في أول مطلعها في مكة، حتى فضحهم القرآن به، والقى به في وجوههم فلم يرفع

---

(١) هـ . ج . ويلز : معالم تاريخ الانسانية، جـ٣ ص ٦٢٦ .

(٢) جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الاسلام، نقلا عن : الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام، مرجع سابق، ص ٤٤ .

* لا أعرف أن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولد بهذا الاسم، ولا أدري من أين جاء (ويلز) بهذا الاسم .

أحد رأسه ، بعد أن تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله .. يقول تعالى على لسان المشركين ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾ (١) ، فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (٢) ... ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٣) فرد سبحانه وتعالى هذا الباطل بقوله جل شأنه ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٤) وبقوله سبحانه ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٥) ، وقد أفحم القوم ، وولوا أدبارهم منهزمين ، ولا يزال هذا التحدى المنتصر قائما إلى يوم الدين (٦).

ومن تشويهاتهم للقرآن الكريم أيضا ، أنهم يتهمون القرآن بالتناقض ، وباللحن ، وبفساد النظم ، وبأنه ليس معجز ، حتى أنهم لم يتركوا عيبا إلا نسبوه إلى القرآن وألصقوه به (٧).

والهدف من هذا التشويه ، هو أن تهتز ثقة المسلمين في عقيدتهم ، فإذا اهتزت ثقة المسلمين في عقيدتهم ، أصبح الواحد منهم يعاني من فراغ رهيب في نفسه وعقله وعاطفته ، ويصبح النظام الاسلامي في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية عنده لا يقنع ولا يحقق له شيئا من مطالبه ، وعندئذ تتلقاه دعايات هؤلاء الصليبيون الكفار لحضارتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فيصبح فريسة لها ، وما هو إلا أن يرتمي في شباكها فيضيع إعتزازه بعقيدته ،

---

(١) سورة الفرقان ، آية : ٤ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٤ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٥ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٦ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٣ .

(٦) عبد الكريم يونس الخطيب : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام ، القسم الرابع ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود ، ١٤٠٤هـ ، د . ط ، ص ٤٤٢-٤٤٣ .

(٧) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

ويصبح تابعا خاضعا لعدوه[١]. كما يهدف هذا التشوية إلى تقليل أعداد الجموع البشرية المقبلة على الدخول فى العقيدة الإسلامية[٢].

وعندما علم أعداء العقيدة الاسلامية، أن السنة النبوية المطهرة هى المفتاح الحقيقى لفهم القرآن الكريم، وأنها الدرع الحصين للعقيدة الاسلامية، وأن اتباعها يقى المسلمين أخطار الفوضى والضلال والإنحلال والضياع، عملوا على تشويهها والتشكيك فيها.

ومما سلكه أعداء العقيدة الاسلامية فى تشوية السنة المطهرة والتشكيك فيها هو إثارة الشبهات حول أكابر رواتها وحملتها ومدونيها، وكان الصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أكثر من أثيرت حوله الشبهات[٣]، لأنه كان من أكثر الصحابة رواية لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.*

والهدف واضح من تشويه السنة النبوية المطهرة، وهو إبعاد المسلمين عن العقيدة الاسلامية لكى لا يواجه أعداء العقيدة الاسلامية من جديد بأجيال من المسلمين تحسن التمسك بالعقيدة الاسلامية، لأن فى التمسك بالعقيدة الاسلامية صلاح جميع جوانب الحياة، وفى التمسك بالعقيدة الاسلامية أيضا تحدث الإنتصارات فى المعارك الحربية لصالح المسلمين، وعندما ينتصر المسلمون ينتشر العدل والإحسان فى الأرض، وتنعم بهما البشرية كلها، وهذا أخوف مايخافه الصليبيون الكفرة، إذ به تذهب ريحهم وتضيع أرباحهم[٤].

---

(١) على عبد الحليم محمود: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام، القسم الأول، ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق، نفس المكان.

(٣) محمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية..، مرجع سابق، ص١١٣.

(٤) على عبد الحليم محمود: المرجع السابق، ص ٤٣.

* أنظر فى هذا المجال: عبد المنعم صالح العلى العزى: دفاع عن أبى هريرة، بيروت، دار القلم، ١٩٨١م، ط٢.

٢ - إلغاء المحاكم الشرعية واحلال القوانين الوضعية محلها :

ظلت المحاكم الشرعية الاسلامية تعمل في المجتمعات الاسلامية أكثر من ألف سنة، وكانت تلبى حاجات هذه المجتمعات، حيث كانت الأعراض مصونة، والدماء محقونة، والأموال محفوظة، والأمن مستتبا، والناس فى إطمئنان على حقوقهم وقضاياهم .(١)

لكن هذه المحاكم الشرعية الاسلامية، التى كانت منتشرة فى كل بلد إسلامى، تعرضت لحملات ضارية من قِبَل الكفار المحتلين، تتمثل فى التشكيك فى صلاحيتها، ورميها بالجمود والتخلف عن مسايرة الحياة، وذلك لتنحية الشريعة الاسلامية عن الحياة، ولكى يبرر الكفار فرض قوانينهم الوضعية على المجتمعات الاسلامية، قال تعالى:

«وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا»(٢)

يقول (جلادستون) عند ما وقف يخطب وهو يشير إلى القرآن الكريم :

"إننا لن نستطيع الإستقرار فى الشرق مادام فيه هذا الكتاب".(٣)

ويقول (وليم جيفور بالكراف) :

" متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه ".(٤)

وبالفعل تحقق للكفار إلغاء المحاكم الشرعية الاسلامية، وإن كان هناك بقية من هذه المحاكم الشرعية الاسلامية، فإنها محدودة الإختصاصات لا تحكم إلا فى

---

(١) محمد محمود الصواف :المخططات الاستعمارية .. ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .

(٢) سورة البقرة ،آية : ٢١٧ .

(٣) نقلا عن :عبدالستار فتح الله سعد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام، القسم الثانى ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٤) نقلا عن : أ . ل . شاتليه :الغارة على العالم الاسلامى ،ترجمة محب الدين الخطيب، مساعد اليافى ،د .م، الدار السعودية، ١٤٠٠، ط٣، ص ٥٨ .

الأحوال الشخصية كالنكاح والطلاق والنفقة وما إلى ذلك [(١)].

كما تحقق لهم أيضا فرض القوانين الوضعية على أجزاء كبيرة من العالم الاسلامي، بالخديعة تارة، وبالقوة تارة أخرى،[(٢)] أو بأيدى أبناء المسلمين الذين تربوا على أيديهم وتشربوا أفكارهم وتولوا زمام الأمور فى البلدان الاسلامية.

والهدف من ذلك واضح، وهو إبعاد الاسلام عن مجال السلطة التنفيذية ليحرموه الرهبة، والهيبة والرغبة، ولكى يبقى مجرد هيكل أقرب إلى الموت منه إلى الحياة،[(٣)] ولكى تعم الفوضى بلاد المسلمين، ويحل الظلم مكان العدل، وتنتشر الفاحشة عيانا جهارا.

وكانت الهند أول بلد إسلامى ألغيت فيه المحاكم الشرعية الاسلامية، يقول الاستاذ أبو الأعلى المودودى:

"إن أول قطر بدأ فيه إلغاء الشريعة الاسلامية هو الهند، وكانت هذه الشريعة هى قانون الدولة العام فى الهند حتى بعد أن قام فيها الحكم الإنجليزى، فكانت يد السارق تقطع إلى سنة ١٧٩١م، ولكن الإنجليز أخذوا بعد ذلك يلغون القانون الاسلامى آنًا بعد آن، ويستبدلون به القوانين الوضعية، حتى تم الغاؤه فى أواسط القرن التاسع عشر، ولم يبق منه تحت النفاذ إلا ما كان يتعلق بمسائل النكاح والطلاق وغيرهما، على اعتباره قانون المسلمين لأحوالهم الشخصية" [(٤)].

وقد تلت الهند عدة دول إسلامية - وقعت تحت سيطرة الكفار الصليبيون - ألغيت

---

(١) محمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية..، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٢) عبدالستار فتح الله سعيد: الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام، القسم الثانى، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٣) على محمد جريشة، محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى، القاهرة، دار الاعتصام، د.ت، د.ط، ص ٧٤.

(٤) نقلا عن: عبدالستار فتح الله سعيد: المرجع السابق، ص ٢٣٩.

فيهـا المحاكـم الشرعيـة الاسلاميـة .

فعند ما احتل الكفار الانجليز مصر سنة ١٨٨٢م، ظهرت آثار إلغاء المحاكم الشرعية بعد سنة واحدة من الإحتلال، حيث اقتصر القضاء الشرعي الاسلامي في مصر على "الأحوال الشخصية" أما بقية المعاملات الهامة، من تجارة ومالية وزراعة كالإجارة والرهن والبيوع والمبادلات والشركات ونحوها فقد أحيلت إلى القانون الفرنسي الذي جُعل شريعة لما أسموه "بالمحاكم الأهلية" ليتحاكم إليها أهل البلاد المسلمين في سائر معاملاتهم.(١) وبهذا الكيد السافر وقع الشعب المصري المسلم وغيره من الشعوب الاسلامية التي وقعت تحت سيطرة الكفرة في انفصالية خطيرة ومدمرة بين ماسمي "بالقضاء الشرعي"، وماسمي "بالقضاء الأهلي" ومايستلزمه كل منهما من تشريع مختلف المصادر والوجهة، وكان من أخبث أساليب التهوين تسمية هذه المحاكم "بالأهلية".(٢)

وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) خرجت تركيا من المعركة مهزومة، وقد فقدت معظم أراضيها، ولكن مصطفى كامل قائد الحركة الكمالية استطاع طرد اليونان من تركيا، ولكن عند ما رأت بريطانيا قوة الجيش التركي وشدة بأسه، أخذت تعد العدة لضرب هذا الجيش مرة أخرى والإجهاز عليه.(٣) وعند ما علم مصطفى كامل أن الانجليز يعدون العدة لضربه، أرسل اليهم زميله (عصمت اينونو) برسالة يحملها إلى الإنجليز ويقول لهم فيها :

"لماذا تقاتلوننا مرة أخرى، لقد كنا امبراطورية كبيرة وكنتم تخشون جانبنا فانسلخت عنا اكثر البلاد، ولم يبق إلا العنصر التركي في الأناضول، وأصبحنا لا يخشى جانبنا فاتركونا متمتعين باستقلالنا كعنصر تركي وحده".(٤)

---

(١) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري .. ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية .. ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

(٤) المرجع السابق ، نفس المكان .

فرد عليه الإنجليز بعد عدة مفاوضات بقولهم :

"إننا نخشى أن تعودوا فتصبحوا مركز تجمع المسلمين ونواة لوحدتهم" [١]

لكن مصطفى كامل، طمأن الإنجليز، بأن تركيا لن تكون في يوم من الأيام مصدر إزعاج لبريطانيا . عندئذ أملى الإنجليز شروطهم المعروفة بشروط (كرزون) [٢] الأربعة المشئومة وهي :

أ - إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيا من تركيا .

ب - أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام .

ج - أن تتعهد بإخماد كل حركة إسلامية يقوم بها أنصار الخلافة .

د - أن تختار تركيا لنفسها دستورا مدنيا، بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الاسلامية. [٣]

فقبل مصطفى كامل هذه الشروط ونفذها بحذافيرها، وكان مما تفرع عن ذلك استعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية، ومنع إقامة الأذان باللغة العربية، ومنع تعليم الدين والقرآن في المدارس، وغير ذلك. [٤]

وفي الكويت، عندما تعهد الإنجليز بالخروج منه، شرطوا إلغاء الحكم بالشريعة الاسلامية، ووضع قانون مدني بدل الشريعة بدعوى أنه لا بد من قانون يحمي حقوق الأجانب والمواطنين! [٥]

فعن طريق الهند، ومصر وتركيا تغلغل تشريع الكفار في أحشاء الشعوب الاسلامية، ثم لم تلبث هذه القوانين الوضعية - بمرور الوقت وارتباط مصالح الناس

---

(١) محمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية، مرجع سابق، ص ١٢٨ .

(٢) هو وزير خارجية بريطانيا في ذلك الوقت .

(٣) عبد الستار فتح الله سعيد :الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام، القسم الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤٣ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣، نقلا عن مذكرات مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني رحمه الله، الحلقة (١١) المنشورة بمجلة آخر ساعة المصرية، عدد ١٩٩٢، وتاريخ ٢٢ من ذي القعدة ١٣٩٢هـ.

(٥) محمد محمود الصواف: المرجع السابق، ص ١٥٦ .

بها - أن اكتسبت صفة الثبات والاستقرار " والشرعية " الواقعية ، وصارت تنقل للشعوب الإسلامية بأسمائها الجديدة المزورة ، مثل القانون الهندي ، والقانون المصري ، والقانون العراقي .. ، ويمثل هذا العمل ذروة الخداع والتضليل ، حيث لا يفطن كثير من الناس إلى جذور هذه القوانين وأصولها الأجنبية المضادة للشريعة الاسلامية (١) .

وهكذا عندما حلت القوانين الوضعية محل الشريعة في البلاد الاسلامية ، عطلت الحدود ، وضروب التعزيرات في شرب الخمر ، والزنا ، ..الخ ، مما جعل الفرصة سانحة لشذاذ الآفاق وطلاب الربح الحرام من الغربيين الكفرة ، فأقبلوا من كل صوب وحدب ، وشرعوا ينشرون الحانات ودور الفساد في جميع أرجاء البلاد الاسلامية المسيطر عليها من قبل الكفار الصليبيون ، فكان هذا بداية إنقلاب أخلاقي واسع المدى ، يقوم على أساس الإنطلاق من قيود الأخلاق والدين ، حيث إن الخطة العامة التي رسمها الكفار لبلوغ مآربهم تتطلب الإستعانة بالقوانين الوضعية لإطلاق سراح الشهوات من قيود الشريعة الاسلامية (٢) .

وقد سعى الإحتلال الكافر جاهدا بشتى الطرق ، حتى تمكن من تحطيم مظلة الأعراف الأخلاقية في المجتمعات الاسلامية ، ففشت فيها كل موبقات الحضارة الغربية ، حتى وصلت في ظل الإحتلال الكافر إلى مرحلة الشيوع والإستعلان ، ثم إلى مرتبة الإستقرار والإستحسان ، ثم إلى درجة الشرعية ! التي تحميها القوانين الوضعية الوافدة (٣) .

وقد كان لإلغاء المحاكم الشرعية عدة آثار سلبية من أهمها :

---

(١) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكري والتيارات المعادية للاسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ، نقلا عن : ابراهيم اللبان : التربية الدينية التي يحتاج اليها العالم الاسلامي .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

الإنحلال الخلقي الذى انتشر فى المجتمعات الاسلامية ، التى كانت تتميز بطابع خاص في الأخلاق والعادات الحميدة بالرغم من كل مايموج بها من مخالفات لعقيدتها الاسلامية . وقد ظهر الإنحلال الأخلاقى فى البداية فى السلوك الفردى ، ثم انحرف معظم الناس عن "نهج الدين" واستهوتهم مظاهر الحضارة الغربية ، فأقبل كثير منهم على الخمور والفجور والربا وغير ذلك ، لأن القوانين الوضعية لا تعاقب على إرتكاب مثل هذه الإنحرافات بل تحميها . والذى زاد الأمر سوءًا أن الإحتلال الكافر يمثل حضارة غالبة ، فيها الصحيح الجيد وفيها الردىء الفاسد ، وبمكره وخداعه أدخل فى روع المغلوبين تلازم الأمرين ، فتوهموا أن مظاهر الإنحلال والفساد هى من ضرورات التحضر والمدنية فى جوانبها الصحيحة ! (١) .

ومن أهم آثار إلغاء المحاكم الشرعية الاسلامية أيضا قلة الإقبال على طلب العلوم الشرعية ، لأن طلاب العلم الشرعى عندما يتخرجون من المدارس الشرعية فانهم لا يجدون لهم محاكم شرعية إسلامية يقومون بأداء مهمتهم التى أعدوا من أجلها ، لذلك عزفوا عن طلب العلم الشرعى ، وبهذا العزوف كان للإستعمار الماكر ما أراد من قتل العلم الدينى ومحاربة العلماء فى كل ميدان حتى لا يبقى بين المسلمين من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحاربون الإستعمار ويبثون روح الجهاد بين المسلمين (٢) .

٣ - السيطرة على التعليم فى البلاد الاسلامية :

من أنجح الأساليب التى استخدمها الصليبيون الكفار ، لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية ، أسلوب السيطرة على التعليم فى البلاد الاسلامية ، لأن السيطرة على التعليم تعنى السيطرة على مستقبل الأمة فى جميع المجالات ، ومادخل

---

(١) عبدالستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى ... ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .

(٢) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية .. ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

الاستعمار بلدا إسلاميا إلا وكانت ضربته الأولى نحو سياسة* التعليم فى هذا البلد[١]، وذلك لكى يقوم المستعمر بوضع سياسة تعليمية يحقق بها الأهداف التى يسعى إليها ، والتى منها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين تدين له بالولاء والطاعة وتحتقر عقيدتها وتاريخها وتراثها.[٢]

ومن سياسة المستعمرين فى وضع سياسة تعليمية لأى بلد إسلامى يخضع لسلطان دولتهم المتسلطة المستعمرة، أنهم يجعلون من أوّل المواد التى يقررونها فى هذه السياسة التعليمية ، تربية جيل يدين لهم ولقومهم بالولاء والطاعة ، وينسلخ عن ولائه لعقيدته الاسلامية، وينصهر بالتدريج فى قومية ودين الشعب الغالب المستعمر، ويتقمص بالتدريج كل مفاهيم هذا الشعب المستعمر وأنواع سلوكه الفردى والإجتماعى ، وبالتالى يصبح هذا الجيل مسخرا مستذلا منهوب الذات والأرض والثروات والكرامة، لهذا المستعمر مهما طال زمن الإستعمار[٣]، ثم يقررون وراء هذا الهدف الرئيسى أهدافا أخرى قد تكون وسائل لتحقيقه ، كالعلمانية، وقد تكون من فروعه ، مثل الإلزام بأن تكون لغة الدولة المستعمِرة هى اللغة التى يتم بها التعليم فى جميع المراحل الدراسية ولكل المواد الدراسية.[٤]

فمثلا عندما احتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢م، رسمت لها سياسة تعليمية تحقق الأهداف دون أن تثير مشاعر المسلمين فى مصر، وكان الهدف الذى تسعى

---

(١) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام، القسم الاول ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

(٢) أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة، القاهرة ، دار الاعتصام، د.ت ، د.ط، ص ٧٧ .

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : غزو فى الصميم، دمشق، دار القلم، ١٤٠٥هـ ، ط٢ ، ص ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥ .

* يقصد بالسياسة التعليمية المواد الدستورية العامة للتعليم، وهى التى تبين الأسس العامة التى يقوم عليها ، والتخطيط لانشاء مؤسساته ، وتبين أهداف العملية التعليمية، وتحدد مقاصدها، والسياسة التعليمية توصى بها وتحددها عقائد واضعى هذه السياسة، أو مصالحهم القومية أو الشخصية" المرجع السابق ، ص ١٣ .

إليه بريطانيا من خلال السياسة التعليمية التى وضعتها لمصر هو القضاء على العقيدة الاسلامية فى نفوس المسلمين .(١)

وقد وضع سياسة التعليم فى مصر القسيس (دنلوب) المستشار البريطانى لوزارة المعارف المصرية، وكان من دهاء هذا الرجل ومكره أن استغل تعليم اللغة العربية والدين والتاريخ الاسلامى فى القضاء على العقيدة الاسلامية فى نفوس المسلمين بطريق غير مباشر .(٢)

فبالنسبة للغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ، التى كانت وماتزال مرتبطة بالاسلام فى نفوس المسلمين عامة ـ فقد خطط (دنلوب) لتحقيرها والزراية بها ، وذلك لكى تنتقل الزراية والتحقير إلى مايرتبط بها من معانى الدين .(٣) فقد كان يتعمد إعطاء مدرس اللغة العربية راتبا أدنى بكثير من مدرس المواد الأخرى ، فبينما كان الراتب الشهرى الذى يتقاضاه المدرسون من أصحاب التخصصات الأخرى إثنى عشر جنيها ، كان راتب مدرس اللغة العربية أربعة جنيهات !(٤)، فى حين كان العمل الذى يقوم به مدرس اللغة العربية مماثلا للعمل الذى يقوم به أى مدرس آخر من أصحاب التخصصات الأخرى .

وكان لهذا الوضع انعكاساته على مدرس اللغة العربية ، وعلى اللغة التى يدرسها سواء فى داخل المدرسة أو فى المجتمع الخارجى .

ففى داخل المدرسة لم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدم ، بل أصبح فى ذيل القافلة ! يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذوو المؤهلات المتوسطة ، بل يتقدمه ـ فى الراتب ـ فراش المدرسة إذا كان ذا أقدمية طويلة !! ، وبذلك لم تعد له كلمة فى المدرسة ، فلا هو يستشار فى شئونها ، ولا هو يشارك فى شيء من

---

(١) محمد قطب : هل نحن مسلمون ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٣هـ ، د.ط ، ص ١٣٢ .

(٢) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص ٦٦ .

(٣) محمد قطب ، المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٤) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ .

إدارتها، ولم يعد له كذلك عند التلاميذ إحترام .

أما في المجتمع الخارجي فهو أشد ضياعا منه في المدرسة! فالناس جميعا يعلمون وضعه المالي، ويعلمون أنه في ذيل القافلة، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب وفي الاحترام سواء !

وبذلك ينحدر وضع مدرس اللغة العربية في المجتمع بقدر ما ينحدر راتبه ، ويصبح مدرس اللغة العربية مادة دائمة للسخرية والتنكيت، يتحدث الناس عن جهله، وتخلفه، وضيق أفقه، وفقره ، وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري.. وأشد ما يعاب على مدرس اللغة العربية ويزدرى من أجله أنه لا يعرف لغة أجنبية !!(١) .

وحين يصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الإحترام والتقدير في داخل المدرسة وخارجها، فإن وضعه يوثر على اللغة العربية والدين، وهذا هو الهدف المقصود من وراء ذلك التدبير الخبيث الذي خطط له (دنلوب) .

وبالفعل قد انتقل الوضع المهين المزدرى من المدرس إلى المادة، حيث أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور .

" فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة ونصوصا وأدبا .. والكتّاب يشكون من جمود اللغة - العربية - وعدم مرونتها وعدم طواعيتها، وعدم قدرتها على نقل المعاني .. كما تستطيع ذلك اللغات الأجنبية - وبالذات الانجليزية ! - في طلاقة ويسر ورشاقة وعمق ! .. . ومترجمو العلوم يشكون من أن اللغة العربية لغة غير علمية !! إن صلحت للأدب - أي الأدب الردئ!- فإنها لا تصلح للعلم .. جامدة .. معقدة .. محدودة .. متخلفة - لذلك - لابد من اتخاذ اللغات الأجنبية - وبالذات الانجليزية - لدراسة العلوم، ولابد أن نعلمها لأبنائنا في المدارس إذا أردنا أن يكون لدينا في يوم من الأيام علماء ! وكأنما لم يكن لهذه

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٠ .

اللغة صلة بالعلم من قبل - فى عصور الإزدهار - بل كأنها لم تكن فى وقت من الأوقات هى لغة العلم ، يوم قال (روجر بيكون) : من أراد أن يتعلم فليتعلم العربية ، فهى لغة العلوم !! ".(١)

وكذلك أنتقل الوضع المزرى من اللغة العربية ذاتها إلى ماهو مكتوب بها ، وكان هذا هو الهدف من وراء تخطيط (دنلوب) .

" فالمكتوب باللغة العربية هو تراث الأمة كله .. وعلى رأسه القرآن !! والمطلوب هو صرف الأمة عن تراثها كله .. وعلى رأسه القرآن !! وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج ، فلم يعودوا يشعرون أنه هو (الزاد) .. إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين ".(٢)

أما درس الدين فلا يقل سوءًا عن اللغة العربية إن لم يكن أسوأ . فمدرس الدين وضعه مثل وضع مدرس اللغة العربية ، ولكن يزيد عليه أنه أكبر سنا منه ، بل إن مدرس الدين الذى يختار لتدريس الدين كان ينتقى دائما من العجزة المسنين ، وكذلك كانت حصة الدين توضع فى نهاية الجدول المدرسى يوميا ، والقصد من ذلك أن التلاميذ يتلقون درس الدين وهم فى حالة من الضجر والإعياء فى نهاية اليوم الدراسى ، ويتلقونه كذلك وهم ينتظرون دق الجرس لينفلتوا إلى الشوارع وإلى البيوت ، ويتلقونه أيضا من مدرس عجوزٍ فانٍ .. فيقترن درس الدين فى نفوسهم بالعجز والفناء والضجر والضيق والرغبة فى الإنفلات ! بالإضافة إلى أنه درس ميت فى طريقة تدريسه ، فهو مجموعة من النصوص تلقى لتحفظ حفظا وتستظهر .. وليس له أثر فى سلوك التلاميذ .(٣)

وبالإضافة إلى ماذكر فإن درس الدين فى منهج (دنلوب) ماهو إلا رقعة فى المنهج الدراسى غير متجانسة معه ، بل متنافرة معه ، لأن منهج (دنلوب) الذى

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠-٢٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

وضعه منهج علمانى بحث، لا علاقة له بالدين على الإطلاق ، فهو قائم على الطريقة الغربية اللادينية التي فصلت الدين عن العلم وفصلته عن الحياة ، فإذا جاء درس الدين ذكر الله ورسوله ... ولكنه - حتى فى أفضل أحواله - صوت ضعيف لا يكاد صداه يبلغ الآذان فضلا عن القلوب (١) .

ولكي يبعد (دنلوب) أبناء المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية أكثر ، فقد جعل درس الدين ضمن (المواد الإضافية) التي تلغى فى نهاية العام مع المواد الإضافية التي لا تعتبر من صميم الجدول ، وبذلك يصبح درس الدين فى حس التلاميذ مادة (هامشية) ليس لها إعتبار (٢) !.

بهذا المخطط الدنلوبى الخبيث تخرجت أجيال كثيرة من أبناء المسلمين لا تحس بأى توقير نحو الدين (٣) !.

أما درس التاريخ الاسلامى ، فكان يبدأ بتلك الجمل التقليدية :

أ - نزل الاسلام فى قوم وثنيين يعبدون الأصنام فدعاهم الى عبادة الله الواحد .

ب - وكانوا يئدون البنات فنهاهم عن ذلك .

جـ - ثم دعاهم لنشر الدعوة الاسلامية ، فكانت الغزوات والفتوح التى انتهت بإنتشار الاسلام فى البقاع التى يوجد فيها اليوم !

ومن ثم يكون الاسلام قد استنفد أغراضه ، ولم تعد له مهمة يؤديها فى واقع الحياة ! ، فلم يعد هناك أولئك الوثنيون عباد الأصنام الذين يدعوهم الاسلام إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ولم يعد أحد يئد البنات حتى يحتاج إلى دعوة الاسلام للقضاء على هذه الفعلة الشنيعة ، ونشر الدعوة - أو الجهاد - قد توقف

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

بحكم الظروف الدولية الحديثة، ولم يعد له مكان فى العالم الحديث [(١)].

وهذا هو الإيحاء المطلوب من تدريس التاريخ الاسلامى، فالإسلام جاء لزمن معين كان يتسع له ويحتاج إليه، ولكن لم تعد هناك حاجة إليه فى الوقت الحاضر، فهو جزء من التاريخ الغابر ولا زيادة [(٢)].

ثم يدرس للتلاميذ عصر البعثة وصدر الاسلام بطريقة، قد تكون وافية، ولكن تدرس هذه الفترة بإيجاز، وتنمحى صورة عصر البعثة وصدر الاسلام فى أذهان التلاميذ وتخبو بسرعة، لأن الذى يدرس للتلاميذ بعد ذلك هو (التاريخ السياسى) للاسلام والتاريخ السياسى للاسلام هو أسوأ شيئ فى التاريخ الاسلامى، وهذا شيئ سعى (دنلوب) إلى تحقيقه، لأنه يريد أن يقتل إعتزاز المسلمين بتاريخهم الاسلامى، لذلك نجده قد أخفى الصفحة البيضاء كلها، أو بالأحرى يخفى ما فى صفحة التاريخ الاسلامى من بياض ويبرز الخط الأسود وحده على أنه هو التاريخ [(٣)].

فهو قد أخفى نشر العقيدة الاسلامية الصحيحة فى مساحة واسعة من الأرض تمتد من المحيط إلى المحيط وإخراج الناس فيها من الظلمات إلى النور، ونشر العدل بين الناس، حتى بين من بقى على دينه فى تلك الرقعة الواسعة من الأرض، ولم يكتف بذلك بل أخذ يشوه هذه الحقائق، حيث إنه اعتبر حركة الفتوحات الاسلامية، حركة توسع حربى لا هدف من ورائه إلا بسط النفوذ والبحث عن الطعام .

وأخفى بقاء المجتمع الاسلامى فى عمومه فترة طويلة من الزمن نظيفا من الفاحشة آمنا على أعراضه، آمنا على أنسابه، آمنا على دمائه وأمواله فى ظل شريعة الله التى تحكم بها الدولة الاسلامية .

وأخفى الحركة العلمية الاسلامية الهائلة التى نشرت نورها فى الأرض لجميع

---

(١) محمد قطب: هل نحن مسلمون، مرجع سابق، ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٥ .

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٨ .

الشعوب، والتي تعلمت أوربا منها ، وأخذت منها المنهج التجريبي ـ الذى ابتكره العلماء المسلمون بدافع من عقيدتهم الاسلامية ـ والذى أهّلها لأن تصل إلى ماوصلت إليه من تقدم فى جميع المجالات فى القرون الأخيرة .

وأخفى أيضا الحركة الحضارية الاسلامية بشقيها المعنوى المتعلق بالقيم الأخلاقية الاسلامية ، والمادى المتعلق بالعمارة المادية للأرض والأشكال التنظيمية للحياة .(١)

يقول الاستاذ محمد قطب:

" وحين يخفى (دنلوب) هذا كله (من منهج التاريخ الاسلامى)
فماذا يبقى ؟ ! يبقى إيحاءان خبيثان مقصودان :
أولهما :أن الاسلام لم يحكم إلا فترة قصيرة جدا فى عهد الخلفاء الراشدين ثم انتهى إلى غير رجعة .
والثانى :أن التاريخ الاسلامى ـ بعد صدر الاسلام ـ خال من كل القيم التى تقيم الحياة الانسانية الصحيحة، وأنه عبارة عن عمليات دموية من أجل السلطان ! ".(٢)

وبعد أن قدم للتلاميذ الخط الأسود من التاريخ الإسلامى ، فإنه يقدم لهم فى نفس الوقت الخط الأبيض من التاريخ الأوربى ، ويبين لهم أن :

" أوربا هى العلم ! ، أوربا هى الحضارة ! ، أوربا هى القيم ! أوربا هى الديمقراطية ! أوربا هى حقوق الانسان ! ، أوربا هى التقدم الصناعى ! ، أوربا هى الصورة الصحيحة للوجود البشرى فى جميع المجالات ! ".(٣)

وحين يقدم التاريخ الاسلامى بصورته الكاذبة، والتاريخ الأوربى بصورته الكاذبة أيضا فماذا تكون النتيجة ؟ ! .

تكون تخريج أجيال متعاقبة من أبناء المسلمين المتعلمين منسلخين من

---

(١) محمد قطب: واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٨ .
(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٨-٢٢٩ .
(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

الاسلام باعتبار أنه دين قد استنفد أغراضه ولم تعد له مهمة يؤديها فى الوقت الحاضر، ومتجهين إلى أوربا على أنها بلد العلم والحضارة، وأنها منبع النور، ومنتجع الصحة لمن يريد الإستشفاء من التخلف العلمى والحضارى (١).

بهذا الأسلوب الخبيث إستطاع (دنلوب) أن يستخدم درس اللغة العربية، والدين، والتاريخ الاسلامى فى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية .

و(دنلوب) قام بهذا كله دون أن يتعرض للأزهر، بل جعل الأزهر على وضعه السابق، ولكن بتخطيطه الماكر، استطاع أن يصرف أبناء المسلمين عن الإلتحاق بالأزهر .

لقد كان المتخرج من الأزهر يلقى إهمالا من قِبَل المسئولين عن توظيف الخريجين، ففرص التوظيف أمام المتخرجين من الأزهر ضئيلة ، ورواتب المتخرجين من الأزهر ضئيلة جدا أيضا، أما المتخرج من المدارس المدنية (العصرية) التى أنشأها (دنلوب) فإنه يعين فور تخريجه فى دواوين الحكومة براتب أكثر بكثير من الراتب الذى يستلمه المتخرج من الأزهر (٢). وحين رأى الآباء ثمار التعليم المدنى فى الوظيفة المحترمة، والراتب الكبير، تسابقوا فى إلحاق أبنائهم بالمدارس المدنية، وبذلك أصبحت المعاهد الدينية لا يقبل عليها إلا بعض أبناء الأسر التى لها صلة بالدين، أو أبناء الفقراء (٣).

وقد استطاع المستعمرون الكفار بمدارسهم العصرية التى أنشأوها فى البلاد الاسلامية التى وقعت تحت سيطرتهم أن يقضوا على كل مقومات الأصالة الدينية فى نفوس الطلاب، بحيث يتخرج الطالب من هذه المدارس وهو لا يعرف عن دينه وعقيدته وقيمه وأمته الاسلامية شيئا (٤).

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٧، ٢١٨ .

(٣) أحمد البيلى : التصور الاسلامى لمناهج التربية والتعليم، مكة المكرمة، المركز العالمى للتعليم الاسلامى، ١٤٠٣هـ، ص ١٨ .

(٤) أنور الجندى : من التبعية الى الأصالة، مرجع سابق، ص ٨٢ .

فقد حرص القائمون على المدرسة "العصرية" على اهمال القيم والعقائد والأخلاق والعلوم العلمية والمعارف الكونية، ووجهوا أبناء المسلمين إلى صرف أوقاتهم في فلسفات نظرية وعلوم خيالية سقيمة وتفاهات تشغل الوقت، ودراسات جانبية لا نفع لها في الحياة العملية، وأحاطوا ذلك كله بشيء من القداسة والإهتمام حتى يحولوا دون تغييره إلى ما هو خير منه . ومن ذلك تدريس الخلافات المذهبية والإنصراف عن فهم روح الاسلام الحق ، وتدريس الخصومات التي وقعت بين الحكام والخلفاء، وتجاهل جوانب البناء والإنشاء في مجالات الحضارة والعلوم .(١)

كذلك عمدت نظم التعليم الغربية في البلاد الاسلامية الى خلق تلك الإزدواجية الخطيرة في مجال التعليم والهدف من ذلك هو فصل الدين عن المجتمع والحياة، ولكي يبقى العلم بعيدا عن الدين ومنفصلا عنه، ولكي يبقى الدين كأنه نظام لاهوتي لا صلة له بالحياة .(٢)

وكذلك حرصت المدرسة العصرية الغربية على عدم تعريف الطلاب بالاسلام تعريفا صحيحا ، وعدم تدريس القرآن الكريم دراسة صحيحة .(٣)

كما تعمدت المدرسة العصرية الغربية تدريس الطب والعلوم مقطوعة الصلة عن بداياتها الاسلامية، فالطلاب المسلمون لم يعرفوا الدور الذي قام به أجدادهم في بناء مناهج هذه العلوم ، ولا قيل لهم أن المسلمين كان لهم دور أساسي في إنشاء مادة الطب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، والمنهج العلمي التجريبي .(٤)

ولم يكتف المستعمرون الكفار بكل مافعلوه في الشعوب الاسلامية من إبعادهم عن العقيدة الاسلامية بل أخذوا في استدراج أرتال من أبناء المسلمين إلى بلدانهم، لكي يدرسوا لديهم الآداب والفنون والعلوم الانسانية، وبعض العلوم

---

(١) أنور الجندي : من التبعية الى الأصالة ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٤ .

الأخرى التي لا تمد الشعوب الاسلامية بأسباب النمو الصناعي الحقيقي ، أو أسباب القوة الحقيقية ، حتى العلوم العربية والعلوم الاسلامية يدرسها أبناء المسلمين في بلاد الكفرة على أيدي المستشرقين الكفرة (١) .

وهدف المستعمرون الكفار من إستدراج أعداد كبيرة من أبناء المسلمين إلى بلدانهم هو :

" أن يضعوهم في المناخ الملائم لتغيير عقائدهم ومفاهيمهم وأخلاقهم وسلوكهم الفردي والإجتماعي ، وأن يصنعوهم بأيديهم وتحت رقابتهم صناعة دقيقة ضمن منهج مرسوم يعدّهم ليكونوا معلمين على وفق أهداف الغزاة متى عادوا الى أوطانهم . وليكونوا موجّهي العلم فيها ، وواضعي السياسات التعليمية والخطط والمناهج والكتب الدراسية لها . وليكونوا المشرفين على المؤسسات التعليمية المختلفة فيها . وليكون منهم من تسنّم مراكز الإدارة والحكم فيها . كل ذلك بعد أن يكونوا قد تشبعوا بالأفكار والمذاهب وأنواع السلوك الفردي والإجتماعي التي ربّاهم عليها الغزاة " (٢) .

بهذه الطريقة استطاع الغزاة أن يصنعوا من أبناء المسلمين عملاء أمناء ، يقومون بتحقيق الأهداف المرسومة لهم في داخل أوطانهم ، دون أن يخسر الغزاة شيئا من المال والرجال ، ودون أن يتعرضوا للمشكلات التي يتعرض لها الغزاة عادة في البلدان المستعمرة ، إنهم لا يخسرون إلا توقيعات على شهادات لا يؤمنون هم بجدواها (٣) . إن هؤلاء العملاء الذين تربوا على يد الكفرة ، وتشربوا أفكارهم وآراءهم (٤) ؛ اذا تولوا الأمور في أوطانهم - بتخطيط ومساعدة دول الاستعمار -

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : غزو في الصميم ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٤) انظر وسائل الغزاة لصناعة الدارسين لديهم وفق مخططاتهم ، غزو في الصميم ، ص ٧١ - ٧٥ .

فإنهم يعملون على هدم الاسلام، وعلى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية أكثر مما يعمله الغزاة لو كانوا مستعمرين للأوطان إستعمارا مباشرا . فهم ينفذون مخططات أعداء الاسلام في أوطانهم بمكر وخبث وتدرج ، وإن أحوج الأمر إلى استخدام العنف فإنهم يلجؤن إليه ،لأنهم يجدوا موءازرة من القوى العالمية الكبرى المعادية للاسلام .(١) وهذا النوع من العملاء ، يوجد بكثرة في العالم الاسلامي ،لدرجة أن مقاليد الأمور أصبحت في أيديهم فهم المسيطرون على الأنظمة السياسية في معظم البلاد الاسلامية ، والأنظمة السياسية في العالم الاسلامي هي المسيطرة والموجهة لجميع الأنظمة الأخرى ، وهذا هو مكمن الداء في معظم الدول الاسلامية .

وكان للسيطرة على التعليم والمتعلمين في معظم البلاد الاسلامية من قِبَل الدول المستعمرة آثار سلبية ، من أهم هذه الآثار :

١ ـ تحول ولاء كثير من المتعلمين والمتعلمات إلى الثقافة الغربية والحضارة الغربية، متجاهلين ثقافتهم الاسلامية ، وحضارتهم الراشدة، وآداب كتابهم وسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم .(٢)

٢ ـ ظهور دعوات خبيثة تنادى بأن العقيدة الاسلامية ليس لها أدنى صلة بالنظم السياسية والإجتماعية والإقتصادية السائدة في الحياة، وليس لها أدنى صلة بالمعايير الأخلاقية ، لذلك يجب أن لا يكون لها أى صلة موءثرة في الحضارة أو الثقافة أو الفنون .

وهذه الدعوات تستهدف عزل العقيدة الاسلامية عن حياة المسلمين ، ومسخ الشخصية الاسلامية بتحويل انتمائها الى الحضارة الغربية .(٣)

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : غزو في الصميم، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

(٢) على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام ، القسم الاول ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

٣ - ظهور دعوات تنادى بالإلحاد والزيغ والفساد، وتنادى بتحرير المرأة ومخالطتها الرجال، لكى يمكن تحويلها بعد ذلك إلى ممثلة وراقصة ومغنية ومسامرة على موائد الخمر فى الملاهى.(١)

٤ - ومن الآثار السلبية الناتجة عن السيطرة على التعليم والمتعلمين فى العالم الإسلامى، تمهيد الطريق أمام الأعداء لكى ينشئوا مراكز وهيئات ومؤسسات معادية للاسلام محاربة لفكره وحضارته وأخلاقه وآدابه مثل :

مراكز التربية الأساسية فى بعض الدول الاسلامية، فهى تستهدف القضاء على القيم الاسلامية بدعوى التطوير والتنمية، وهذه المراكز من أهم ركائز الغزو الفكرى فى العالم الاسلامى، فهى تعمل جاهدة لتحويل العادات والتقاليد الموروثة إلى عادات وتقاليد غريبة لا تعرف الحياء ولا تستحى من الأحاديث الجنسية المكشوفة بين الناس.(٢)

هذه أهم الآثار السلبية - فى نظر الباحث - الناتجة عن السيطرة على التعليم من قِبل الدول المستعمرة لبعض الدول الاسلامية، والهدف الكبير من وراء كل ذلك، تذويب العقيدة الاسلامية من نفوس المسلمين، ليصبحوا نهبا للفكر الغربى والحضارة الغربية.(٣)

يقول محمد إقبال* عن أثر التعليم الغربى فى العالم الاسلامى :

---

(١) على عبدالحليم محمود : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام، القسم الاول، مرجع سابق، ص ١٢١ .

(٢) المرجع السابق، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق، نفس المكان .

* هو محمد اقبال بن نور محمد، ولد فى مدينة "سيالكوت" احدى مدن مقاطعة البنجاب سنة ١٨٧٧م، تلقى دراسته العليا فى "لاهور" و"لندن" و"ميونيخ"، له عدة محاضرات فى الفلسفة والاقتصاد والسياسة، ترجمت اكثر كتبه الى الانجليزية، والفرنسية، والالمانية، والطليانية، والروسية، توفى سنة ١٩٣٨م.
انظر: الندوى: الصراع بين الفكرة الاسلامية والغربية فى الأقطار الاسلامية، ص ٧٧ .

لقد أضعف نظام التعليم الغربي المطبق في العالم الاسلامي الروح المعنوية في الشباب المسلم ، وجنى على رجولته ، فأصبح شبابا رخوًا رقيقًا ، ضائعًا ، متحللاً من القيم الخلقية ، جبانًا لا يستطيع الجهاد في سبيل الله ولا يحتمل المكروه (١).

وله أنشودة رائعة يصف فيها الشباب المثقف ثقافة غربية يقول فيها :

" الشباب المثقف فارغ الأكواب ظمآن الشفتين ، مصقول الوجه ، مظلم الروح ، مستنير العقل ، كليل البصر ، ضعيف اليقين ، كثير اليأس ، هؤلاء الشبان ينكرون أنفسهم ويؤمنون بغيرهم ، شباب ناعم رخو رقيق يموت الأمل في مهده في صدورهم ، إن المدرسة نزعت منها العاطفة الدينية ، وأصبحوا خبر كان ، أجهل الناس لنفوسهم وأبعدهم عن شخصياتهم ، شغفهم بالحضارة الغربية ، يبيعون أرواحهم في سبيلها ، إن المعلم لا يعرف قيمتهم فلم يخبرهم بشرفهم ولم يعرفهم بشخصيتهم ، .. يشترون من الافرنج اللات ومناة ، مسلمون ولكن عقولهم تطوف حول الأصنام ، كل ماعندهم من علم وفن ودين وسياسة وعقل وقلب يطوف حول الماديات ، قلوب باردة لا لوعة فيها ولا حرارة ونظر غير عفيف ، قلب لا يعرف الخشوع وعين لا تعرف الدموع .. هذا الجيل ليس حيًا قائمًا بنفسه مفكرًا بعقله ، إنه ظل لأوربا ... " (٢).

ويقول : " إن نظام التعليم الغربي ، إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة " (٣).

بهذه الوسائل وغيرها إستطاع الصليبيون الكفرة أن يبعدوا أبناء الأمة الاسلامية عن العقيدة الاسلامية ، وبذلك أصبحت الأمة الاسلامية - نتيجة للأسباب الذاتية والخارجية - في تخلف عقدي رهيب نتج عنه كل ألوان التخلف التي أصابت الأمة الاسلامية في العصر الحالي في كافة المجالات .. التخلف في المجال العلمي والحضاري والسياسي والاقتصادي والحربي .. .

---

(١) أنور الجندي : من التبعية الى الأصالة ، مرجع سابق ، ص ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) أبو الحسن علي الحسني الندوي : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٥ ، ص ١٧٥ .

وسوف يتحدث الباحث الآن عن أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية في المجالين العلمي والحضاري :

أولاً : أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية في المجال العلمي :

١ - الجمود الفكري :

من أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية في المجال العلمي ، الجمود الفكري الذي عمّ معظم أرجاء العالم الاسلامي في العصر الحالي ، وهذا بعكس ما كان عليه العالم الاسلامي في القرون الأربعة الأولى والقرون التي تلتها حتى القرن التاسع الهجري .

فقد كان العالم الاسلامي في القرون الأربعة الأولى للهجرة يمر بمرحلة بناء وإبداع في جميع العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والفلسفية وفي الرياضيات والعلوم الطبيعية، حتى أنه قد أُطلق على عصور تلك القرون عدة مسميات وذلك بحسب مابرز في ذلك العصر من تقدم علمي . ففي البداية كان هناك عصر الإجتهاد الفقهي ، وعصر أئمة التفسير والحديث وأعلام المؤرخين والجغرافيين ... ، وعصر كبار الأدباء والنقاد واللغويين ، وعصر إرتقاء العلوم والرياضيات، وإبتكار علوم جديدة فيها ، وإرتقاء الطب وكبار الأطباء العالميين .

ثم كان عهد الموسوعات الكبرى وروائع الإبداع الفكري فيما بين القرن السابع والتاسع للهجرة حيث ظهر أمثال : العز بن عبد السلام (٦٦٠هـ) صاحب" قواعد الأحكام في مصالح الأنام" ، وابن تيمية (٧٢٨هـ) ، وابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) .. وغير ذلك .

ثم كان عهد الركود والجمود والإنحسار الذي بدت بوادره في القرن التاسع والعاشر بعد عهد الحركة والإبداع والإبتكار[1]، وهو في ذروته في العصور الحالية ،

---

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين ، د.م ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ ، د.ط ، ص ٥٧-٥٨ ، "بتصرف" .

حيث أصبح الناس في هذه العصور مقلدين لمن سبقهم من العلماء ، ومقدسين لهم تقديسا يقرب من العصمة ، وآخذين لأقوالهم من غير معرفة الدليل النقلي في الشرعيات ، والدليل العقلي في العقليات (١).

ويصف الشيخ محمد المبارك يرحمه الله حال العلوم على إختلاف أنواعها في عصور الجمود الفكري في العالم الاسلامي بقوله :

تحولت العقيدة الاسلامية من إيمان ووعي شامل لدى الصحابة إلى فلسفة فكرية لدى المتكلمين والفلاسفة في القرون الخمسة الأولى من الهجرة، ثم إلى متون مكثفة تشمل على جزئيات مجمدة من بقايا تلك الآراء الكلامية والفلسفية كمتن جوهرة التوحيد للقاني (١٠٤١هـ) الذى كان شائع الإستعمال بكثرة في القرن الثالث عشر الهجري والقرن الرابع عشر الهجري في كثير من بلاد العالم الاسلامي .وكان من أبرز النتائج التي جاءت نتيجة إنحدار علم الكلام إبطال فكرة السببية ورفضها بحجة أنها منافية على زعمهم لكون الله خالقا ومريدا . وأعان على ذلك مهاجمة الصوفية لفكرة الأخذ بالأسباب، وإشاعتهم فكرة الخوارق والكرامات، واتخاذهم من البدع الخرافية المخالفة لمنطق العقل طريقا لمعالجة شئونهم بدلا من الأخذ بسنن الله التي أجراها في مخلوقاته . فتعاونت هذه العوامل كلها على تعطيل التفكير العلمي لدى المسلمين (٢).

ونتج عن هذا الاتجاه الذي اتجه نحوه المتكلمون والمتصوفة إنحسار في العلوم البحته والرياضيات، حيث أهمل تدريس الرياضيات التي كانت مفخرة من مفاخر الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية بما ابتدع فيها المسلمون من الجبر والمثلثات وغيرها . وأهملت أبحاث الكيمياء والفيزياء كعلم البصريات (الضوء) وعلم الحيل (الميكانيكا) وغيرها من العلوم التي اشتهر فيها أعلام عالميون في تاريخ العلم من المسلمين كالبيروني وابن سينا وغيرهم. وكذلك أهمل تدريس الطب

---

(١) الثقافة الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز ،المستوى الرابع، ص ١٠٤ .

(٢) محمد المبارك :بين الثقافتين ، مرجع سابق ، ص ٥٨-٥٩ . (بتصريف) .

والفلك الذى تقدم وارتقى فى العهد الاسلامى الأول ، كما أهمل علم الجغرافيا بعد إزدهاره على يد ابن حوقل واليعقوبى والإدريسى . وكذلك أهمل تدريس جميع فروع العلوم المتعلقة بالكون واكتشاف سننه (١) .

وعند وصفه للحالة التى وصل إليها علم الفقه قال :

" انتقل الفكر الفقهى الرائع المبدع الذى حلّق فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم الذين استطاعوا أن يحلوا المشاكل التى واجهتهم فى المناطق التى خضعت لهم نتيجة الدعوة والفتوحات ، وفى عهد تلاميذهم التابعين ، ثم فى عهد الإجتهاد والإبداع ، عهد الأئمة المجتهدين الذين لا يكاد يحصى عددهم ، ثم فى عهد مؤلفى الموسوعات الفقهية الكبيرة كالمغنى لابن قدامة الحنبلى ، والمجموع للنووى الشافعى ، والمبسوط للسرخسى الحنفى ، حيث تستعرض آراء المذاهب وأدلتها ويوازن بينها ، إنتقل الفكر الفقهى من هذه المستويات العالية إلى مستوى المتن المكثفة المعقدة التى قلما تستوعب جميع أبواب الفقه ، فلا يكاد يذكر باب السير والجهاد أو باب الإمامة والخلافة أو باب المعادن والركاز " (٢) .

لأن هذه المتون مذهبية صرفة ، تقتصر على مذهب واحد ، وتتألف من جزئيات فقهية بعيدة عن فهم كليات الشريعة ومقاصدها والقواعد الكلية ، وهى كذلك منفصلة إنفصالا تاما عن أدلتها من القرآن والسنة . لذلك فإن دراسة هذه المتون ، وشروحها . وحواشيها لن تنشيء مجتهدين ولا مدركين واعين لفقه المجتهدين المدعوم بالأدلة من القرآن والسنة . فوقفت بذلك الحركة الفقهية الرائعة وجمدت ، ولم يعد الفكر الفقهى قادرا على حل المشكلات الطارئة ، لأنه فقد الملكة التى تكونها دراسة الفقه بأدلة من القرآن والسنة ومناقشة مختلف آراء المذاهب وأدلتها. (٣)

---

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين ، مرجع سابق ، ص ٥٩ - ٦٠ " بتصرف " .

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠-٦١ .

وعند حديثه للحالة التي وصل اليها الأدب قال :

انحط الذوق الأدبي في العصور الحالية ، فهي لم تخرج أعلاما في الأدب أمثال ابن المقفع والجاحظ .. ، وأمثالهم من القمم الأدبية العالية ، بل انحط الأسلوب والذوق الأدبي في القرون الأربعة الأخيرة إلى أدنى الدركات (١) .

وبصفة عامة انحطت سائر العلوم الاسلامية الأخرى كالأخلاق والعلوم الانسانية التي ابتدعها المسلمون انطلاقا من المفاهيم المستمدة من الكتاب والسنة .

ونتج عن هذا الجمود الفكري في العالم الاسلامي تأخر المجتمع الاسلامي فكريا بوجه عام ، وركود الحركة العلمية المتعلقة بالكون أو الطبيعة بوجة خاص، فقد ضعف الإبداع العلمي تدريجيا حتى زال واختفى في العصور الحالية، وفقد المسلمون القدرة على التفكير الكلي الشامل الذي يستطيع أن يستخرج من الجزئيات الكليات ، ومن الحوادث سننها وقوانينها العامة ، وشاع فيهم التفكير الذي يقتصر على النظر في الجزئيات مبعثرة مشتتة دون القدرة على وضعها في مواقعها من نظام عام شامل (٢) .

ويقول أبو الأعلى المودودي في هذا المجال :

"إذا استعرضنا .. حالتنا الفكرية والعلمية في هذه القرون -الأخيرة - ظهر - لنا - أن باب التحقيق والإجتهاد العلمي موصدا عندنا إلى ماتركه لنا أوائلنا وأسلافنا والفكرة التي سادت وكانت لها جذور متأصلة في نظام تعليمنا أن كل شيئ قد تمّ على يد أسلافنا ، هو آخر لبنة في بناء العلم والتحقيق ، لا يضاف ولا يمكن أن يضاف إليه بعدها شيئ أبدا . وأن أعظم خدمة يمكن اسداؤها الى الأمة هي أن يذيّل ماكتبه الأولون بحواشي وشروح يؤلفونها ويشتغلون بتدريسها . فلا نكاد نعثر في هذه القرون على أثر فكرة مبتكرة واختراع مبتدع واكتشاف جديد ،

---

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين ، مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(٢) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز، المستوى الرابع، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وبذلك طرأ علينا جمود فكرى وغشى أجواءنا العقلية سحابة سوداء من العقم والتبلد .." (١).

كما بين أن الجمود الذى أصيب به العالم الاسلامى كان ناتجا عن بعد المسلمين عن مصدرى العقيدة الاسلامية ، حيث يقول :

" - لقد حدث - أن المسلمين لطول ممارستهم للحكم بالقلم والسيف غلبهم التعب والكلام . فخمدت فيهم روح الجهاد وضعفت قوة الإجتهاد . فجعلوا كتاب الله الذى منحهم نور العلم وقوة العمل تذكارا مقدسا غلفوه ووضعوه فى المحاريب وتركوا اتباع السنة النبوية ، التى شكلت حضارتهم فى صورة نظام مكتمل للفكر والعمل . فكانت النتيجة أن توقف سير رقيهم ، وتحول ذلك النهر الذى بقى جاريا منهمرا على طول القرون الى مستنقع ساكن فى وادى الجمود . فانعزل المسلمون عن منصب الإمامة فى العالم وضعف ما كان لأفكارهم وعلومهم وغلبتهم السياسية من سلطان على أمم العالم ." (٢).

٢ - التخلف العلمى :

يعتبر التخلف العلمى سمة بارزة فى الأمة الاسلامية فى العصر الحديث ، فبعد أن كانت الأمة الاسلامية فى القرون الأولى تقود العالم وتتزعمه بفضل ما وصلت إليه من قوة فكرية وعلمية ناتجة عن تمسكها بتعاليم عقيدتها الاسلامية أصبحت فى القرون الحالية تابعة لغيرها من أمم الأرض التى استعملت قواها الفكرية فى الكشف عن سنن الكون ، وفى البحث عن ذخائر القوى الفطرية المكنونة فى جوف الأرض وأعماق البحار (٣)، وذلك لأنها ابتعدت عن التمسك بعقيدتها الاسلامية

---

(١) أبو الأعلى المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، بيروت ، موءسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ ، ط٥ ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) أبو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، بيروت ، موءسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ ، د . ط ، ص ٤٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ - ١١ .

التى تحثها دائما على مزاولة التفكير والبحث والتدقيق ، وعلى الاجتهاد وتحصيل العلم .

فالمسلمون اليوم توقفوا عن السير فى كشف سنن الكون وأعرضوا عن ذلك إعراضا يكاد يكون تاما ، فأهملت العلوم الطبيعية لديهم ، وضعف الإبداع العلمى لديهم (بل زال واختفى فى العصر الحاضر) ، وفقدوا القدرة على التفكير الكلى الشامل الذى بموجبه يستطيع الانسان أن يستخرج من الجزئيات الكليات ومن الحوادث سننها وقوانينها العامة ، وشاع فيهم التفكير الذى يقتصر على النظر فى الجزئيات مبعثرة مشتتة دون القدرة على وضعها فى مواقعها من نظام عام شامل.(١)

إن فقدان الإبداع العلمى الذى عرف به المسلمون الأوائل فى القرون الأولى للاسلام فى شتى مجالات العلوم النظرية والعلمية والدينية والدنيوية كان نتيجة لغلبة روح التقليد للسابقين ، وتقديس الرجال تقديسا يقرب من العظمة ، حتى غدت حياة أعلام الاسلام وعظمائه منسوجة فى نظر أهل العصر ـ الحديث ـ من الخوارق والكرامات ، وغدت الخوارق والكرامات هى المقياس الوحيد لصلاحهم وتقواهم ومنزلتهم فى الاسلام ، وأهملت جوانب عظمتهم الحقيقية.(٢)

وحينما نلقى نظرة خاطفة على الواقع العلمى فى العالم الاسلامى المعاصر ، نجد أن الأمة الأسلامية عالة على الأمم الغربية والشرقية فى كل مايتعلق بالمكتشفات والمخترعات العلمية فى كافة مجالات الحياة المختلفة ، وهذا راجع فى نظر الباحث إلى بعد الأنظمة السياسية عن التمسك بالعقيدة الاسلامية والعمل بتعاليمها لأن الأنظمة السياسية فى العالم الأسلامى هى المسيطرة والمحركة لكافة الأنظمة المختلفة فى الدول الاسلامية .

ونجد أن الإنفاق الذى تنفقه الدول الاسلامية على عمليات التقدم العلمى والتقنى لا يتعدى ٣ر٠٪ من إجمالى ناتجها القومى ، بينما نجد أن الدول

---

(١) الثقافة الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، المستوى الرابع ، ص١٣٤-١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الكبرى تنفق على عمليات التقدم العلمى والتقنى مابين ٢٪ و ٤٪ من إجمالى ناتجها القومى .(١) وكذلك نجد مايسمى بدولة إسرائيل تنفق على البحث العلمى ٥,٠١٪ من دخلها القومى .(٢)

ونجد أن عدد الطلاب فى جامعات* العالم الاسلامى يبلغ حوالى الثلاثة ملايين طالبا فى عام ١٩٨٥م بينما يبلغ عدد الطلاب المسجلين فى جامعات الدول المتقدمة علميا عشرة أضعاف عدد الطلاب المسجلين فى جامعات العالم الاسلامى فى نفس الفترة .(٣)

ونجد أن معظم الدراسات التى يقوم بها طلاب الجامعات فى العالم الاسلامى دراسات نظرية وأدبيه واجتماعية أما الدراسات العلمية والتقنية فإنها مهملة فى أكثر الجامعات فى العالم الاسلامى . وبإهمال هذه الدراسات ندرت الخبرات العلمية والتقنية فى العالم الاسلامى المعاصر، حيث بلغت نسبة العلماء التقنيين إلى مجموع تعداد السكان فى الدول الاسلامية رقما لا يذكر إذا قورن بنسبتهم فى الدول المتقدمة علميا وتقنيا ،إذ تتراوح نسبة العلماء والتقنيين فى" بنجلادش" عشرين فى المليون ، وأما نسبتهم فى مصر فإنها تبلغ مائة وتسعين فى المليون ، بينما تتراوح نسبة العلماء والتقنيين عند غير المسلمين بين (٤٣٠٠) فى المليون " فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية" ،و(٨٢٠٠) فى المليون " فى الكتلة الشرقية المكونة من الإتحاد السوفييتى وأوربا الشرقية والصين " .(٤)

---

(١) زغلول راغب النجار : قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الاسلامى ، قطر، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية، ١٤٠٩هـ، ص١٢٢ .

(٢) جريدة الرياض، ٩ ربيع الثانى عام ١٤٠٣هـ، ص١٤ .

(٣) زغلول النجار، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

* يبلغ عدد الجامعات فى دول العالم الاسلامى اكثر من ٢٢٤ جامعة . زغلول النجار، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

ونجد أن الأمية متفشية في هذا العصر بين أبناء المسلمين البالغين (أكبر من ١٥ سنة) ، حيث تتراوح نسبتها بين ٥٠٪ و ٨٠٪ ، في حين تقل نسبة الأمية عن ٢٪ بين أبناء دول الشمال (١) ، وتبلغ نسبة طلاب المدارس (بين عمر خمسة أعوام وتسعة عشر عاما) ٣٧٪ من مجموع تعداد السكان في العالم الاسلامي المعاصر ، في حين تبلغ نسبة طلاب المدارس ٧٥٪ في دول الشمال (٢)

ولو نظرنا إلى دولة إسلامية واحدة كمصر مثلا نجد أنه يوجد بها (٢٠٠) ألف طفل ينضمون إلى الأمية سنويا نتيجة قصور الإستيعاب في المدارس (٣) .

وهناك إحصائية صدرت عن هيئة اليونسكو ورد فيها أن العالم سيضم عام ٢٠٠٠م مايقرب من ≠ ١٠٠٠ ≠ مليون أمي أكثرهم من العالم الاسلامي (٤) .

إن هذا الواقع العلمي المحزن للعالم الاسلامي ، لا يؤهله أن يحرز أي تقدم علمي أو حضاري ، لأن أي تقدم علمي أو حضاري يحتاج إلى عقولا مستنيرة ، ونفوسا صابرة ، وحواس مستوعبة ، وذاكرة حاضرة ، وتدريبا متواصلا ، وعملا دؤوبا ، وتجمعا بشريا لا يقل عن مائة مليون نسمة ، وإنفاقا سخيا ، وتشجيعا متواصلا ، والتزام أخلاقي ناتج عن تعاليم العقيدة الاسلامية (٥) .

إن الاستبداد السياسي في معظم البلاد الاسلامية يعتبر من أهم الأسباب التي أدت الى تخلف المسلمين في كافة المجالات ، وخاصة في مجال التقدم العلمي والحضاري ، لأن معظم الأنظمة السياسية في العالم الاسلامي أنظمة علمانية لا تطبق تعاليم العقيدة الاسلامية في جميع شئون الحياة ، ولا تقيم للعقيدة الاسلامية وزنا .

---

(١) زغلول راغب النجار : قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) مجلة المسلمون ، العدد (٦٥) ، ٦-١١-١٤٠٦هـ ، ص ٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣ .

(٥) زغلول النجار ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

ولا سبيل للمسلمين اليوم إذا أرادوا النهوض من هذا التخلف العلمي إلا إذا أحيوا في نفوسهم معنيين أصوليين هامين .

" أولهما شمول (العقيدة الاسلامية لكافة جوانب الحياة) وثانيهما وحدة الأمة الاسلامية ، فإذا آمنت القيادة السياسية والفكرية في عالمنا الاسلامي المعاصر بهذين الأساسين الشرعيين ، ودعت إليهما ، وعملت جاهدة على تحقيقهما بخطى وئيدة متزنة ، وتخطيط بعيد النظرة عميق الرؤية ، تبلور الأمل في إمكانية نهضة الأمة من كبوتها واجتياز فترة التخلف التي عاشتها ، وفي مقدمة ذلك التخلف العلمي (والحضاري) ... الذي يمكن أن توظف كل طاقات الأمة المادية والبشرية لاجتيازه وتخطيه (إذا طبقت الأمة تعاليم العقيدة الاسلامية في جميع شئون الحياة) وإذا توحدت الأمة وتكاثفت إمكاناتها وطاقاتها ".(١)

وقد تحدث (جوستاف لوبون) عن التقدم العلمي وارتباطه بالعقيدة الاسلامية فقال : "إن السبب في انحطاط الشرق (المسلم) هو تركه روح الدين ، وتشبثه بالعقائد الباطلة ... ، وقال : إن الشعب الذي يريد الرقي يجب ألا يقطع الصلة التي تربطه بماضيه ، وأن العلوم الحديثة لا تفيد المسلمين إلا إذا اقترنت بدينهم ولم تنفصل عنه".(٢)

فنقول للذين يقولون إن إلتزام المسلمين بالعقيدة الاسلامية هو سبب تخلفهم في جميع المجالات ، وخاصة في المجال العلمي والحضاري نقول لهم :

إن التخلف الذي يعاني منه العالم الاسلامي اليوم في جميع المجالات وخاصة المجال العلمي والحضاري لا دخل للعقيدة الاسلامية فيه ، ولا تتحمل العقيدة الاسلامية وزره ، بل هو عقوبة إلهية أوقعها الله بالمسلمين جزاء تخليهم عن عقيدتهم الاسلامية .

---

(١) زغلول النجار : قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الاسلامي ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٢) نقلا عن : أنور الجندي : قضايا العصر ومشكلات الفكر ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

ونقول لهـــــــم :

إنه لا يوجد دليل علمي يثبت لنا أن الإلتزام بالعقيدة الاسلامية هو سبـــب تخلف المسلمين علميا وحضاريا ،بل إن هناك الكثير من الأدلة العلمية الـــتى تثبت أن الإلتزام بالعقيدة الاسلامية هو السبب فى تقدم المسلمين الأوائل فـــى القرون الأولى . وهناك أيضا الكثير من الأدلة العلمية التى تثبت أن تخلـــف المسلمين فى جميع المجالات كان سببه عدم إلتزام المسلمين بتعاليم عقيدتهـــم الاسلامية فى كافة مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربويـــة وغيرهـــا .

٣ - التبعية الفكرية للغـــرب:

فى الوقت الذى أصيب المسلمون بالجمود الفكرى والتخلف العلمى بسبـــب بعدهم عن العقيدة الاسلامية التى تحثهم على الاجتهاد فى طلب العلـــم ، وعلى اعمال العقل فى تدبر الكون ومافيه من مدخرات، واستغلالها الاستغـــلال الأمثل ،كانت دول الغرب قد بلغت فيها الحضارة أوج كمالها ، وفى الوقـــت نفسه أيضا أبتليت معظم الدول الاسلامية بغلبة الدول الغربية عليها فى الحكـــم والسياسة، وأصبحت معظم الدول الاسلامية مستعبدة سياسيا وعسكريا من قِبَـــل الدول الغربية الصليبية .

وحينما سيطرت الدول الغربية الصليبية عسكريا وسياسيا على معظـــــم العالم الاسلامى نتيجة لقوتها المادية، كانت تتمتع فى نفس الوقت بقوة معنويـــة فكرية، وبذا أصبحت بعض الدول الاسلامية مستعبدة سياسيا وعسكريا ومعنويـــا ، والبعض الآخر مستعبدة إستعبادا معنويا ،لأنها لم تستغل ماآتاها الله من قوى الفكر والعقل فى البحث والتحقيق والإكتشاف.(١)

"إن الغلبة والإستيلاء المعنوى يقوم بنيانه فى الحقيقة علـــى

---

(١) ابو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ٨ .

الإجتهاد والتحقيق العلمي . فكل أمة تسبق غيرها إليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم ، وتستولى أفكارها هي على العقول . وأما الأمة التى تتخلف فى هذا الطريق فلا تجد مناصا من اتباع الغير وتقليده ... ".(١)

إن المسلمين عند ما كانوا ملتزمين بتعاليم عقيدتهم الاسلامية فى كافة المجالات ، كانوا قادة العالم وكانت جميع الأمم تابعة لهم وسائرة فى ركابهم ، وكان الفكر الاسلامى غالبا على أفكار النوع الانسانى بأجمعه .

ولكن عند ما ابتعد المسلمون عن الالتزام بعقيدتهم الاسلامية ، وتركوا مزاولة التفكير والبحث والتدقيق والإجتهاد فى تحصيل العلم ، انتقلت قيادة العالم إلى أمم الغرب التى أستغلت قواها الفكرية فى التنقيب عن أسرار هذا الكون ، وفى البحث عن دخائر القوى الفطرية المكنونة فى جوف الأرض وأعماق البحار .(٢)

واضطر المسلمون فى بعض الدول الاسلامية المستعبدة عسكريا وسياسيا ومعنويا إلى الخضوع لسلطان الدول الغربية الصليبية ، التى فرضت الفكر الغربى من خلال سيطرتها على التعليم والصحافة والثقافة . فنشأ الجيل الجديد من أبناء المسلمين على أشد مايكون من الإنفعال والتأثر بالأفكار الغربية ، وظلت عقلياتهم تتلون بلون الغرب .

" فهم لا يفكرون إلا بعقول غربية ولا يبصرون إلا بأعين غربية ولا يسلكون إلا الطرق التى قد مهدها لهم الغرب . وقد رسخ فى نفوسهم ، سواء أشعروا به أم لم يشعروا ، أن الحق هوماعند أهل الغرب حق والباطل مايعدونه باطلا ، إن المقياس الصحيح للحق والصدق والآداب والأخلاق والإنسانية والتهذيب هو الذى قد قرره الغرب لكل ذلك . فيقيسون بهذا المقياس ما بأيديهم من العقيدة والإيمان ويختبرون ماعندهم من الأفكار والتصورات والمدنية والتهذيب والأخلاق والآداب . فكل مايطابق

---

(١) ابو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠-١١ .

منها ذلك المقياس يطمئنون إلى صدقه ويفتخرون بمجيئ أمر من أمورهم موافقا للمعيار الأوربى . وأما مالا يطابقه منها فيظنونه خطأ وباطلا ، شعروا بذلك أم لم يشعروا ، ثم يأتى المتعسف منهم فيتبرأ منه ويرفضه علنا ، ويقف المقتصد منهم باخعا نفسه عليه ، أويعود يعالجه جذبا ومدا حتى ينطبق على المعيار الغربى بوجه من الوجوه ". (١)

ولا يخفى على متبصر مالقوة نظم التعليم من قوة فى تغيير الأفكار والقيم والتصورات، فكل نظام تعليمى يحمل بين طياته معتقدات وتصورات وأفكار ومفاهيم واضعية . يقول أبو الحسن الندوى :

" إن لنظام التعليم روحا وضميرا كالكائن الحى ، له روح وضمير ، إن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم ، وغايتهم من العلوم ودراسة الكون ، ووجهة النظر إلى الحياة ومظهر لأخلاقهم ، وذلك مايمنح نظام التعليم شخصية مستقلة وروحا وضميرا بذاتهما ، إن هذه الروح هى التى تسرى فى هيكله تماما ، إنها تسرى فى جميع العلوم ، فى الأدب والفلسفة والتاريخ والفنون والعلوم العمرانية ... " . (٢)

وعندما يطبق أى نظام تعليمى على أبناء أى مجتمع ما ، فانهم يتأثرون بالمعتقدات والتصورات الموجودة فى هذا النظام ، وهذا هو عين مافعله الإستعمار الصليبى الغربى عندما سيطر على بعض الدول الاسلامية ، فقد طبق نظامه التعليمى على أبناء المسلمين ، مما كان له الأثر الكبير فى تغيير أفكارهم وقيمهم ولغتهم . حتى أن بعض المستشرقين جعل من تغريب البلاد الاسلامية مقياسا لقوة النظام التعليمى الغربى ، فهاهو " جب " فى كتابه وجهة الاسلام يقول :

" والسبيل الحقيقى للحكم على مدى التغريب " أو الفرنجة "

---

(١) أبو الاعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، مرجع سابق ، ص ٩ .

(٢) أبو الحسن على الحسنى الندوى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

هو أن نتبين إلى أى حد يجرى التعليم على الأسلوب الغربى ، وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربى ".(١)

وقد كان للعلوم الاجتماعية أثر واضح فى تكوين التبعية الفكرية للغرب، حيث إنها أثرت بما تحتويه من نظريات وآراء على أفكار الطلاب . فتدريس الأدب الغربى للطلاب يؤدى إلى :

" حمل العقول الناشئة الغضة ... على أن تتشرب روح المدنية الغربية بثقة عمياء واندفاع كبير قبل أن يتاح لها أن تعرف النواحى السلبية فيها معرفة كافية ، وهكذا لا تكون الطريق معبدة لحسب ذلك الأدب حبا عذريا فقط، ولكن تساعد على التقليد العملى لتلك المدنية الغربية التى لا يمكن أن تتفق مع روح الاسلام ".(٢)

وفى درس التاريخ كان يفسر تاريخ الأمة الاسلامية وفكرها ولغتها بطريقة تعطى للطالب صورة :

" للتخلف البشرى فيه .. كى يفسح مكانا للحاجة إلى قيادة متقدمة فى خطوات الانسانية ... وفى مقابل هذا التفسير يفسر تاريخ الدول الغربية وإنتاجها فى الفكر واللغة ، بما يجعلها ذات أهلية للتقدم لقيادة المجتمعات والشعوب من أجل إسعاد البشرية نفسها ".(٣)

أما تدريس علم الاجتماع ونظرياته الغربية لأبناء المسلمين فقد أشاع فى أفكارهم " أن الدين ظاهرة اجتماعية حسيه كغيرها وأن الإله فكرة تعللها كل نظرية إجتماعية على طريقتها على أساس أنها فكرة طارئة فى حياة البشر الاجتماعية لا على أساس أنها تتضمن حقيقة خارجية ".(٤)

---

(١) نقلا عن : محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، جـ٢ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٢) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، د .م ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م ، ط٧ ، ص ٧٤ .

(٣) محمد البهى : الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجية ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٥م ، ط٢ ، ص ٣٨٤ .

(٤) محمد المبارك : بين الثقافتين الغربية والاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

والأخلاق لا تدرس بهدف تنمية الضمير الإنساني ، انما تدرس باعتبارها فرعا من فروع علم الإجتماع ، وباعتبار الفضائل والرذائل والقيم ظواهر إجتماعية نسبية تختلف من بلد إلى بلد ومن عصر إلى عصر (١).

ونتيجة لهذه العلوم المصبوغة بالفكر الغربي والنظريات الغربية ، والتي كانت تدرس لأبناء المسلمين ، ظهرت طبقة من المثقفين من أبناء المسلمين تنادي بالأخذ بالأفكار والنظريات الغربية، لأنها تأثرت بها ، لدرجة أنها أصبحت لا تفكر إلا بعقول غربية ولا تبصر إلا بأعين غربية . فهي ترى أن كل قضايا الفكر لا بد أن تفسر من خلال ماقاله العلماء والفلاسفة في الغرب، وكل مشاكل المسلمين لا بد أن تحل عن طريق الفكر الغربي ، وترى أن الانسان المثقف هو الشخص الذي يلم بالأفكار الغربية ، ويستشهد بأقوال العلماء الغربيين ، ويسير على النمط الغربي في كافة المجالات (٢).

وكمثال لهذا الصنف من المثقفين الذين ينادون بالأخذ بالأفكار الغربية أو ينادون بالتجديد* قاسم أمين ، طه حسين .

فقاسم أمين نجد أنه يدعوا من خلال كتابه " المرأة الجديدة" إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ، فيقول بعد أن ذكر أن إعجاب المسلمين وافتخارهم الشديد بالماضي إنما هو ناتج لشعورهم بالضعف والعجز:

---

(١) محمد المبارك: بين الثقافتين الغربية والاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ ، ط٧ ، جـ٢ ص ٢٨٣ .

* التجديد هو : محاولة أخذ الطابع الغربي ، والأسلوب الغربي في تفكير الغربيين ، سواء في تعبيرهم عن الدين ، أو في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيم الحياة التي يعيشونها، أو في تقديرهم للثقافات الشرقية الدينية والانسانية . انظر: محمد البهي ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٢٠٠ .
وقيل : هو أخذ كل ماعند الغربيين من فكر ، ومنهج للبحث ، وحضارة ، وعادات ، وتقليد في فصل الدين عن السياسة ... الخ .
انظر: محمد البهي ، مرجع سابق ، ص ٢٠٦ .

" هذا هو الداء الذى يلزم أن نبادر إلى علاجه . وليس له دواء إلا أننا نربى أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها . إذا أتى ذلك الحين - ونرجو أن لا يكون بعيدا - انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربى ، وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما فى أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة ، وأن أحوال الانسان مهما اختلفت ، وسواء كانت مادية أو أدبية ، خاضعة لسلطة العلم . لهذا نرى أن الأمم المتمدنة على إختلافها فى الجنس واللغة والوطن والدين متشابهة تشابها عظيما فى شكل حكومتها وإدارتها ومحاكمها ونظام عائلتها وطرق تربيتها ولغاتها وكتابتها ومبانيها وطرقها ، بل فى كثير من العادات البسيطة كالملبس والتحية والأكل . هذا هو الذى جعلنا (نضرب الأمثال بالأوروبيين) ونشيد بتقليدهم" . (١)

كما يدعوا فى كتابه "تحرير المرأة" إلى السفور ، لأنه يعتبر السفور ليس فيه خروج على الدين أو مخالفة لقواعده ، فهو يقول :

إن الشريعة الاسلامية ليس فيها نص يوجب الحجاب على الطريقة المعروفة لدى المسلمين . (١) ويزعم أن الطريقة المتبعة فى الحجاب لدى المسلمين إنما هى عادة عرضت لهم من مخالطة الأمم ، فاستحسنوها وأخذوا بها ، وألبسوها لباس الدين ، كسائر العادات الضارة التى تمكنت فى الناس باسم الدين ، والدين منها براء . (٢)

فلو كان قاسم أمين فاهما لعقيدته الاسلامية الفهم الصحيح وملتزما بتعاليمها ، هل يصدر منه مثل هذه الأقوال ؟ .

---

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ، ص ١٨٥ - ١٨٦ . نقلا عن : محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١ ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ، ص ٥٩ . نقلا عن : محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، جـ١ ص ٢٩٤ .

أليس بالأحرى أن يطالب قاسم أمين بأن تعود الأمة إلى التمسك بعقيدتها الاسلامية، وتربي أبناءها التربية الاسلامية الصحيحة، وأن يُعَرف الأمة على عوامل القوة التي دفعت المسلمين الأوائل لأن يأتوا بكل ما أتوا به في جميع المجالات وخاصة في المجالات العلمية والحضارية ! ولكن إنبهار قاسم أمين بالغرب جعله ينادي بالأخذ بالأفكار الغربية ، والحياة الغربية لدرجة أنه أصبح لا يرى أن السفور فيه خروج على الدين .

أما طه حسين فإنه يدعو من خلال كتابه " مستقبل الثقافة في مصر " إلى مسايرة الغربيين في تفكيرهم وفي خطواتهم في الحياة، وفي فصل الدين عن السياسة، وفي إبعاد الدين واللغة لأنهما لا يحققان الوحدة السياسية، فهو يقول : يجب أن نتعلم كما يتعلم الغربي .. ، ولنشعر كما يشعر الغربي ، ولنحكم كما يحكم الغربي ، ثم لنعمل كما يعمل الغربي ، ونصرف الحياة كما يصرفها (١) .

ويقول أيضا : " ومن المحقق أن تطور الحياة الانسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين، ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ، ولا قواما لتكوين الدول "(٢) .

ويدعوا أيضا إلى الأخذ بالحضارة الغربية، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، مايحب منها ومايكره، ومايحمد منها ومايعاب ! !(٣) .

وهو يرى أن الإستقلال الفكري والنفسي لا يكون إلا بالإستقلال العلمي والأدبي والفني ، وأن وسائل هذا الإستقلال هي : أن نتعلم كما يتعلم الغربي ، ونفكر كما يفكر الغربي ، ونطبق النظم الغربية كما يطبقها الغرب، ونصرف حياتنا بالأساليب التي يصرف بها الغرب حياته !(٤) .

---

(١) طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر، د. م، مطبعة المعارف، ١٩٣٨م، د. ط، جـ١ ص ٤٩ - ٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، جـ١ ص ١٥ .

(٣) المرجع السابق ، جـ١ ص ٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، جـ١ ص ٤٩ - ٥٠ .

وهذا ليس إستقلالا فكريا بل إستعباد وتبعية فكرية .

ولو كان طه حسين فاهما لعقيدته الاسلامية ، وملتزما بتعاليمها إلتزاما واقعيا لما صدر منه مثل هذه الآراء والدعوات والمطالبات التي لا تصدر من إنسان مسلم . ولكن الإنبهار بالحضارة الغربية جعله ينادى بالأخذ بها وبعيوبها أيضا !

وهناك الكثير من أبناء الأمة الاسلامية الذين تأثروا بالأفكار والنظريات الغربية ، والتى تظهر جلية فى مؤلفاتهم العلمية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن عباس محمود العقاد فى كتابه " الله " كتاب فى نشأة العقيدة يقول :
" ترقى الانسان فى العقائد كما ترقى فى العلوم والصناعات .. ، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى ، وكذلك كانت علومه وصناعاته ، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات .. " (١) .

فهو يرى أن الانسان من لدن آدم عليه السلام أخذ يترقى فى عقائده حتى وصل فى النهاية الى عقيدة التوحيد ، أى أن أبونا آدم عليه السلام وذريته التى كانت معه كانوا منحرفى العقيدة ، وكانوا يعبدون آلهة أخرى غير الله ، ثم أخذت ذريته من بعده تترقى فى الاعتقاد شيئا فشيئا حتى وصلت الى عقيدة التوحيد . ومفهوم العقاد هذا مفهوم يخالف المفهوم الاسلامى فى هذا المجال ، والظاهر أن العقاد تأثر بأفكار الغربيين فى هذه الناحية ، خاصة علماء المقابلة بين الأديان الذين يرون أن الأمم البدائية مرت بثلاثة أطوار فى إعتقادها بالآلهة والأرباب وهى :

أ ـ دور التعدد . ب ـ دور التمييز والترجيح . جـ ـ دور الوحدانية (٢) .

ولا ريب أن مفهوم العقاد هذا يتناقض مع المفهوم الاسلامى فى هذه الناحية ، فآدم عليه السلام كان نبيا موحدا ، والناس جميعا كانوا موحدين ، ولكن مع مرور الزمن حدثت هناك إنحرافات فى عقائد الناس ، فأرسل الله سبحانه وتعالى الرسل

---

(١) عباس محمود العقاد : " الله " كتاب فى نشأة العقيدة ، مصر ، دار المعارف ، د . ت ، ط ٧ ، ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

للناس لكي يردونهم الى جادة الطريق طريق الفطرة التى فطر الله الناس عليها . وعلى هذا فإن عقيدة التوحيد هى أقدم عقيدة عرفتها البشرية، وأن البشرية لم تترقى فى العقائد كما يزعم العقاد .

ويوضح أبو الحسن الندوى الحد الذى وصل إليه تأثرأ بناء المسلمين بالأفكار الغربية بقوله :

".. فلا يقرأ إنسان لعالم مستشرق فى الغرب بحثا ولا يعرف له نظرية إلا ويجد أديبا أو مؤلفا - فى العالم الاسلامى - يتبنى هذه النظرية بكل إخلاص، ويشرحها ويدعو إليها فى كل لباقة وبلاغة ، مثل : بشرية القرآن ، وفصل الدين عن السياسة، وأن الاسلام دين لا دولة، والدعوة إلى العلمانية، والشك فى مصادر العربية الأولى ، والشك فى قيمة الحديث العلمية، وإنكار مكانته وحجيته ومكانة السنة فى الاسلام، والدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وإلى السفور، وكون الفقه الاسلامى مقتبسا من القانون الرومانى ومتأثرا به فى روحه وسبكه، والدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الاسلام، ... والدعوة إلى العامية والتأليف فيها ، واقتباس الحروف اللاتينية، والتقنين المدنى (الاسلامى) على أساس القانون المدنى الغربى ، والدعوة إلى القومية العربية والإشتراكية المادية ... ،ترى ظلال الفكر الغربى ،بل التعبير الغربى وارفة ممدودة على العقول (الاسلامية) والأقلام (الاسلامية) ، مسيطرة عليها كسيطرة الأشجار الكبيرة على الحشائش الصغيرة، منعكسة فيها إنعكاس الشمس فى المرآة الوضيئة ".(١)

٤ - سوء اختيار مواد العلوم التى تترجم :

لا خلاف فى أن العلوم النظرية والتطبيقية تراث إنسانى قابل للأخذ والعطاء، أما الأفكار الفلسفية والسياسية والعقائدية الخاصة بأمة من الأمم فإنها لا تنتقل

---

(١) ابو الحسن على الحسنى الندوى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية ، مرجع سابق، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

لأمة أخرى إلا لغرض الدراسة والنقد والمقارنة، وذلك لأن الأفكار الفلسفية والسياسية والعقائدية فى أى أمة من الأمم تتأثر بالذات القومى والتاريخى وبالعقائد الدينية وبالأخلاق السائدة فى تلك الأمة.[١]

ومن الأمور المتعارف عليها أن أىّ أمة من الأمم لا تترجم إلى لغتها إلا مايضيف جديدا لديها فى مجال العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية .

ولكن الأمة الاسلامية اتجهت فيها حركة الترجمة فى العصر الحاضر إتجاها يختلف عن ماهو متعارف عليه لدى الأمم فى عملية الترجمة . فهى قد ترجمت للمسلمين ماليسوا فى حاجة إليه أصلا ، ونحت عنهم ماهم فى حاجة إليه . فهى قد ترجمت لهم الفكر الوثنى والفلسفات والمذاهب المادية والإباحية فى مجالات النفس والإجتماع والأخلاق والتربية ..[٢] فى حين أنها حالة بينهم وبين ترجمة العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية . والسبب فى ذلك أن القائمين على حركة الترجمة فى معظم البلاد الاسلامية من دعاة التجديد الذين نبذوا تعاليم عقيدتهم الاسلامية وأخذوا يلهثون وراء الأفكار الغربية ، ويتسابقون لإرضاء أساتذتهم من المستشرقين الذين يوجهونهم لتنفيذ مايطالبونهم به ، فهم كأدوات فى يد الغرب ينفذون له خطط المؤتمرات التى تحاك ضد أبناء الأمة الاسلامية ، لأن الغرب الكافر حريص غاية الحرص على حجب العلوم الحديثة عن الأمة الاسلامية ، والحيلولة دون ولوج المسلمون فى ميدان العلم الحديث ، لأنه لا يريد لهذه الأمة أن تمتلك إرادتها بل يريدها تابعة له ، مستهلكة لمنتجاته .

---

(١) أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة فى الفكر الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٢) أنور الجندى : محاذير وأخطار فى مواجهة احياء التراث والترجمة من الفكر الغربى ، القاهرة ، دار الاعتصام ، د .ت ، د .ط ، ص ١٩–٢٠ .

إن ترجمة الفكر الوثني والفلسفات والمذاهب المادية والإباحية في مجالات النفس والأخلاق والتربية لأبناء الأمة الاسلامية قد ترك آثارا بعيدة المدى في هدم طبائع الأمة الاسلامية، لأن هذه المترجمات تقدم مفاهيم وأعرافا ليست إسلامية مما كتب دعاة الفلسفة المادية والإنحلال الخلقي أمثال فرويد، ودوركايم، وسارتر وغيرهم.(١) فهي قد سممت الكثير من عقول أبناء الأمة الاسلامية وأفسدت كثيرا من النفوس، وخلقت أجيالا مضطربة لأنها إستطاعت أن تقرأ الفكر الغربي القائم على عقائد ومفاهيم وقيم تختلف عن الفكر الاسلامي.(٢)

تقول نازك الملائكة :

"إن اتجاهات الكتب المترجمة عن الغرب تقلقنا حتى أصبحنا نخشى على نفسية القارئ (المسلم) من رشائش هذه الموجة التي تأتينا .. من الغرب، وقد نصف هذه الموجة بالتبذل وذلك لأن التبذل هو صفتها من وجهة نظر الأمة (الاسلامية)".(٣)

ويقول أبو الحسن الندوى :

إن ترجمة كتب دعاة الإلحاد والثورة والإضطراب الفكري في المجتمع الغربي قد ساعد في إنشاء التبلبل الفكري والإضطراب الإجتماعي، وفي ضعف شخصية الفكر الإسلامي والأدب الإسلامي، وفي إحداث إصطراع الأفكار والمثل ومناهج الفكر.(٤)

ويقول محمد محمد حسين :

إن الإشتغال بترجمة كتب الأدب والفلسفة والتربية يضر مرتين :

---

(١) أنور الجندى : العودة الى المنابع، د.م، دار الاعتصام، د.ت، د.ط، ص ٣٠٣ .

(٢) أنور الجندى : محاذير وأخطار في مواجهة احياء التراث والترجمة من الفكر الغربي، مرجع سابق، ص ٢٠ .

(٣) نقلا عن : أنور الجندى : محاذير وأخطار ...، ص ٢٤ .

(٤) أبو الحسن على الحسنى الندوى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية، مرجع سابق، ص ١٠٤ .

" يضر بإفساد أذواق شبابنا وتدمير كيانهم، وتحويل شخصيتهم بحيث يصبحون غرباء بين قومهم. ثم يصبح قومهم بعد قليل - من الوقت - هم الغرباء بينهم حين يكثر عددهم ويكثف جمعهم. ويضر ثانية بتبديد الجهد والمال في غير وجهه، وصرف (المسلمين) عن الطريق الصحيح إلى تحررهم ثم سيادتهم". (١)

إن الأمة الاسلامية اليوم تحتاج إلى الترجمة من الغرب في مجال العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية، لأن هذه المجالات تنقصها، وإذا توفرت لديها هذه المجالات فإنها تقدم لها مايعينها على النهوض والقوة وإمتلاك إرادة الحياة، أما مايتصل بالمفاهيم النفسية والإجتماعية والأخلاقية، ومايتصل بالفنون والقصص والآداب فإن الأمة الاسلامية ليست في حاجة إليه لأن لها آدابها وقيمها المستمدة من عقيدتها الاسلامية .

ولو نظرنا إلى حركة النقل الأولى التي تمت على يد الأجيال الأولى من أبناء الأمة الاسلامية الذين كانوا ملتزمين بالعقيدة الاسلامية لوجدنا أن الأجيال الأولى من أبناء الأمة الاسلامية عندما كانوا يأخذون مايحتاجون إليه من الأغريق والرومان والفرس في المجال العلمي أو المجال المادي والتنظيمي يأخذون وهم في موقف العزة والإستعلاء .

" كان ملء نفوسهم الإستعلاء بالإيمان والإعتزاز به، فلم يشعروا - وهم ينقلون عن الإغريق والرومان والفرس - أنهم أقل منهم، ولم يشعروا بالضآلة أمامهم أو بالذلة لهم لأنهم في حاجة إليهم، بل شعروا أنهم هم الأعلون وإن كانوا في حاجة إلى غيرهم، لأنهم مؤمنون وغيرهم ليسوا مؤمنين . ومن أجل ذلك لم يفتنوا ولم ينبهروا بما عند الجاهليات من حولهم، فأخذوا ما أخذوا في عزة، وأخذوا ما رأوه نافعا لهم ولم يأخذوا مارأوه مخالفا لعقيدتهم، لأن موقف الإستعلاء يتيح لهم أن يتخيروا وينتقوا،

---

(١) محمد محمد حسين: حصوننا مهددة من داخلها، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ، ط٨، ص١٢٣ .

بينما موقف الضعف والإستخذاء والإنبهار لا يتيح لصاحبه الفرصة للإختيار، ولا القدرة على الإختيار (كما هو واقع اليوم)*، فيأخذ الغث والثمين ، ويأخذ من الغث أكثر مما يأخذ من الثمين .."(١) .

وكانوا يطوعون كل ما يأخذونه من الغير - سواء في الجوانب المادية أو التنظيمية - لمنهجهم الخاص في الحياة ، فأصبحوا بذلك أصلاء فيه لا مقلدين .(٢)

يقول محمد قطب :

"إن الأصالة أمر له أهميته البالغة في وقت النقل عن الغير بصفة خاصة . فالأصالة لا تمنع الإستفادة من ثمار العلم وثمار الحضارة المادية ... ولكنها تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل . وأوثق أسباب الأصالة أن يكون الانسان صاحب عقيدة وصاحب منهج خاص في الحياة ، وقمة ذلك أن يكون الانسان مسلما لأنه يكون عندئذ صاحب العقيدة الصحيحة ومنهج الحياة الصحيح . فإذا كان مسلما على النحو الذي كانت عليه الأجيال الأولى فقد تحققت له الأصالة في أعلى قممها ، لا التي تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل فحسب ، بل التي سرعان ماتكتسب الحاسة الخاصة ، وتنتقل في فترات وجيزة من الزمن من التتلمذ إلى التمكن إلى الأستاذية ".(٣)

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

* طالب القائمون على حركة الترجمة في اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية السفارة الامريكية بمصر أن تختار لهم ماتراه نافعا من الكتب لكي يترجموه الى اللغة العربية ! .

فاختارت لهم من ضمن ما اختارت كتاب " مختارات من امرسون" وهو من أشد الكتب فتكا بالدين الاسلامي والأخلاق الاسلامية ، وأفعلها في قتل الشخصية الاسلامية ومحو مقوماتها وتدمير تفكيرها وتسميم ينابيع الثقافة فيها . انظر : محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ ، ١٢٤ .

ثانيا : أهم آثار البعد عن العقيدة الاسلامية فى المجال الحضارى :

١ - التبعية الحضارية للغرب .(١)

لكل أمة من الأمم عقيدتها ومفاهيمها وقيمها وتصوراتها الخاصة التى تقيم عليها حضارتها ، والتى توجه سلوكها وتحدد ملامحها بين الأمم الأخرى . فالأمة الاسلامية أمة قائمة على أساس العقيدة الاسلامية ، فهى أمة تقيم تصرفاتها وحضارتها على الإعتراف بالله والإعتقاد بوجوده ووحدانيته ، وأى عمل أو فكر أو إنجاز إنما يجب أن يتم فى إطار هذا الإعتقاد ، لذلك نجد أن الحضارة الاسلامية قائمة منذ البداية على مراعاة رضا الله سبحانه وتعالى فى كل خطوة ، وفى كل عمل صغير أو كبير . فهى حضارة روحها الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، ومراعاة رضاه بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه .

أما الأمتين الغربية والشرقية فإنهما لا يقيمان وزنا لله فى الحياة . فالحضارة الغربية قامت ..

> "على أساس تنحية الدين المسيحى وعزله عن تنظيم الحياة ، بعد الثورة الفرنسية وغيرها فى أوربا على تحكيم رجال الكنيسة ، ففصلوا الدين عن الدولة ، ونظموا حياتهم كما يشاؤن بعيدا عن مراعاة الله فى أى نظام يخطونه لحياتهم ، فانطلقوا كما يريدون وتريد شهواتهم ، وتخطه عقولهم ، وترسم أهواءهم ، فكانت حضارة مادية ليس لله فيها نصيب ، كل همها الرقى المادى والمتعة المادية : جسدية جنسية أو غير ذلك مع إهدار القيم الروحية ".(٢)

أما الحضارة الشرقية الماركسية فإنها قائمة على جحود الله ، وإنكار وجوده ،

---

(١) نعنى بالتبعية الحضارية للغرب : اقتباس الأفكار والقيم والمفاهيم الغربية التى تشكل الحياة وتصبغها بالصبغة الغربية ، بما فيها من قوانين و نظم وعادات وسلوك .

(٢) عبد المنعم النمر : حضارتنا وحضارتهم ، القاهرة ، دار المعارف ، د .ت ، د .ط ، ص ١٠ .

ومحاربة كل من يؤمن به ،فهي بذلك تقيم جميع أنظمتها على هذا الأساس .[١]

ومن المتعارف عليه أن إدخال نظام أمة من الأمم على نظام أمة أخرى يعتبر تخريبا له واعتداء عليه، وتدخلا في أموره الخاصة. لذلك نجد أن كل أمة من الأمم تحرص على إستقلال الأنظمة الخاصة بها ، وتقاوم بشدة وصرامة أي نظام غريب يحاول الدخول إلى أنظمتها الخاصة بها .[٢]

فالمسلمون يعتزون بنظامهم الاسلامي باعتباره نظاما ربانيا منفردا يخالف ماعند المعسكرين الشرقي والغربي ، ويرفضون أي فكر أو نظام دخيل يؤثر على الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية والنظم الاسلامية والمجتمع الاسلامي .

والغربيون يعتزون بنظامهم الرأسمالي ، ويحاربون تسرب أي فكر شيوعي إليه ، ويحاكمون كل إنسان يحاول هدم النظام الذي أقاموه على أسس مخالفة للأسس التي قام عليها المجتمع الشيوعي .[٣]

والشيوعيون لن يقبلوا أن يدخل على الأنظمة الشيوعية أي فكر أو نظام يخالف أفكارهم وأنظمتهم الشيوعية، أو ينال من المجتمع الشيوعي ويزعزعه . فهم يعتبرون أي تسرب للفكر الاسلامي أو الغربي إلى مجتمعهم خطرا يهددهم .[٤]

وكل نظام من هذه الأنظمة ـ سواء الاسلامي أو الغربي أو الشيوعي ـ لن يدوم ولن يكون قويًا سائدًا متحكما في سير الحياة ،إلا إذا كان أصحابه المؤمنون به ، محافظين عليه ،حريصين على تنفيذه ،غيارى على شخصيته ،رافضين كل دخيل عليه، يخدشه أو يحد من هيبته، ويزاحمه في تنظيم مجتمعه ، مدافعين عنه ضد كل غزو من الخارج ، كما يدافعون عن أوطانهم وأموالهم بل أشد .[٥]

---

(١) عبد المنعم النمر : حضارتنا وحضارتهم، مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥ .

ومن الطبيعي بعد ذلك أن تحمي كل أمة من الأمم مفاهيمها وقيمها وتصوراتها وحضارتها ، وتحافظ عليها من أى غزو خارجي فى أى مجال من مجالات الحياة .

ولكن فى العصر الحاضر ابتليت الأمة الاسلامية بدعاة (التجديد) الذين تساندهم الأنظمة السياسية ، والذين يدعون إلى الأخذ بالحضارة الغربية والشرقية ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، مايحب منها ومايكره ، ومايحمد منها ومايعاب . وذلك لأن الطبقة المثقفة ، والقادة وولاة الحكم فى بعض البلاد الاسلامية كلهم إنتاج نظام التعليم الغربى ووليدى حضارته .

وبالفعل بدأت بعض الأنظمة السياسية في بعض الدول الاسلامية بالأخذ بالحضارة الغربية ، وقامت بتطبيق النظم والمبادئ الغربية فى البلاد الاسلامية على أبناء المسلمين ، لأن هذه الأنظمة المتسلمة ترى أن الحضارة الغربية كتلة واحدة إما أن تؤخذ كلها وإلا لا فائدة من أخذ بعضها وترك البعض الآخر (١) ، فلو أخذ جزء من الحضارة وتركت بقية الأجزاء فإنه لا يتم التقدم العلمى والحضارى المنشود . وهذه دعوى باطلة ، ولكن بعض ولاة الأمر على الأنظمة السياسية فى بعض الدول الاسلامية مقتنعين بما أوهمهم به أساتذتهم فى الغرب ، فغزت بذلك الحضارة الغربية معظم الدول الاسلامية بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، حتى غدت كل الأنظمة فى بعض الدول الاسلامية أنظمة غربية ، فالنظام السياسى نظام غربى ، والنظام الاقتصادى نظام غربى ، والنظام القانونى نظام غربى ، والأخلاق السائدة فى المجتمع أخلاق بالمفهوم الغربى ، والثقافة السائدة ثقافة غربية * ،

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

* أنظر : أبو الاعلى المودودى : واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٤-١٦٠ .

وكذلك أنظر : محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ص ٣٤١-٣٥١ .

ونظام التعليم المطبق هو نظام التعليم الغربي* ، وكذلك النواحي المادية كتخطيط المدن وبناء المساكن والفنادق تسير وتنفذ حسب المفاهيم والتصورات الغربية.** حتى أن المسلم أصبح لا يرى في بعض البلاد الاسلامية أي شئ يذكره بالإسلام أو يذكره بأنه في بلد إسلامي ، لأن جميع جوانب الحياة في بعض الدول الاسلامية صبغت بطابع الحضارة الغربية الذي لا يتلاقى أبداً مع طابع الحضارة الإسلامية .

ويجب أن نلاحظ هنا أن الإسلام لا يمنع الإستفادة من المنجزات الحضارية المادية ، ولكنه في نفس الوقت يحرم تطبيق النظم الغير إسلامية على أبناء المسلمين .

إن الأمة الاسلامية عندما أخذت من قبل - من الفرس والبيزنطيين - بعض الأمور التنظيمية وبعض الأشكال المادية التي احتاجت إليها - والتي لم تكن في رصيدها السابق من قبل - لتقيم الدولة على مستوى الكفاءة اللازمة لدولة متنامية القوة ، لم تجد في نفسها حرجا من ذلك . ولكن تمت عملية الأخذ وفق قاعدتين مهمتين :

> " الأولى : أن الأمة لم تشعر بالصغار والإنكسار وهي تأخذ ما هي محتاجة إليه من (حضارة) أعدائها ، بل كانت تحس بالإستعلاء ، الناشئ من الإيمان : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١) أي من كونهم مؤمنين وكون أعدائهم غير مؤمنين فالمؤمن هو الأعلى - بسبب إيمانه - أيًّا كانت حالته المادية أو العسكرية وغير المؤمن هو الأدنى - بسبب كفره وإعراضه عن الهدى الرباني - أيًّا كانت حالته المادية والعسكرية . فهم يشترون هذه (البضاعة) الحضارية ممن يملكها ، دون أي خضوع

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٣٩ .

* انظر : محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٧ - ٢٣٤ .

** انظر : ابو الحسن علي الحسني الندوي : أهمية الحضارة في تاريخ الديانات ، مرجع سابق ، ص ص ١٥ - ٣٠ .

روحى له ، ودون أى إكبار له ،لأنه لا يستحق الإكبار وهو معرض عن دين الله .

والثانية : أن الأمة ـ فى حركة الأخذ هذه ـ لم تأخذ إلا ما كانت فى حاجة إليه .. فهى لم تأخذ كل ما كان عند أعدائها من التنظيمات والأشكال المادية من الحضارة، إنما أخذت فقط ماشعرت أنها محتاجة إليه من هذه (البضاعة الحضارية) . وأهم من ذلك أنها حين أخذت تلك التنظيمات والأشكال المادية لم تأخذ معها قط المبادئ والنظم التى كانت لاصقة بها عند الذين أخذت عنهم ـ فقد كانت تلك المبادئ والنظم قائمة على عقائد وتصورات جاهلية ،لا تصلح للمسلمين البتة ، وليس المسلمون فى حاجة إليها ،لأن دينهم فيه الغناء عنها ،بل هم مأمورون أمرا ألا يتخذوا شيئا منها ، وإلا فهى ردة جاهلية لا تستقيم مع الاسلام ".(١)

لقد كان الأجدر بدعاة التجديد ، وبالقائمين على النظم السياسية فى بعض الدول الاسلامية ،أن يقلدوا الغرب فى مظاهر الجد والعمل والإبتكار والإتقان الذى يبدو فى الغرب، والذى تطالبنا به عقيدتنا الاسلامية .

وكان الأجدر بهم أن يأخذوا من الحضارة الغربية مايحتاجون إليه فى الأمور التنظيمية أو الأشكال المادية المجردة من الأفكار اللاصقة بها .

لكن الذى حدث بالفعل من قِبَل دعاة التجديد ، والقائمين على النظم السياسية فى بعض الدول الاسلامية أنهم أخذوا من مساوئ الحضارة الغربية اكثر من أخذهم لمنافعها . فهم قد اتجهوا إلى الأشياء النافعة، ولكن اتجاههم إليها كان بجهد متقاعس متخاذل متعثر الخطوات.(٢) أما الأشياء الفاسدة فقد سارعوا إليها واستوعبوها كلها ، وعبوا منها عبًّا كأنما هى الزاد،(٢) وأما النظم فقد سعوا إلى إستيرادها وتطبيقها فى المجتمعات الإسلامية، ضاربين بذلك

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ،مرجع سابق ،ص ٣٤١، ٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ،ص ٣٤٤ .

صفحـــــا عمـــــا أنـــزل اللـــــه (١) .

وهذا كله راجع إلى بعد هؤلاء عن العقيدة الاسلامية، وعن تعاليمهـــــا السمحاء ، مما جعلهم يرتمون في أحضان الغرب ، ويستوردوا حضارته التى لا تتلاقى مع المفاهيم والقيم والمبادئ الاسلامية . وبهذا أصبحت النظم الاسلامية ليســـت هى السائدة ، وليست هى الموجهة لكافة جوانب الحياة المختلفة ، لأن أبناءهـــا تخلوعنها ، ولم يدافعوا عنها ، بل قاوموها ، وأحلوا مكانها نظما غير إسلاميـــــة ـ شرقية كانت أم غربية ـ وأخذوا يدافعون عن هذه النظم المستوردة بكل غـــــال ورخيـــص ! .

إن هذه التبعية الحضارية للغرب، التى بدون ضابط، أدت الى تجميع اكـوام كبيرة من منتجات الحضارة الغربية لم تصنع شيئا للأمة الاسلامية سوى أنها جعلتها أمة إستهلاكية من الدرجة الأولى . وأدت أيضا الى تنمية التخلف فى الأمـــــــة الاسلامية الناتج عن تطبيق النظم التربوية والتعليمية المستوردة من الغرب و الـتى وُضعت خصيصا لجعل الأمة الاسلامية أمة إستهلاكية ومتخلفة (٢) .

٢ ـ التخلف الزراعى :

يعتبر التخلف الزراعي فى العالم الاسلامي مظهرا أساسيا من مظاهر التخلف الحضاري* الناتج عن البعد عن العقيدة الاسلامية. فمعظم الدول الاسلاميـــة ليست مكتفية إكتفاءً ذاتيا فى مواردها الغذائية، فهى تأكل مما لا تزرع وذلك بالرغم من توفر المقومات الزراعية لديها .

---

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٣٤٤ .

(٢) مجلة منار الاسلام، العدد الثانى ، شهر صفر الخير، ١٤٠٨هـ، ص ١٠٢ .

* هناك مظاهر كثيرة للتخلف الحضاري فى العالم الاسلامى ، وسوف يكتفـــى الباحث بعرض بعض المظاهر التى من خلالها نتعرف على الواقــــــع الحضاري المؤلم الذى يعيشه العالم الاسلامى بسبب بعده عن العقيـــدة الاسلاميــــة .

وبالنظر إلى الإحصائية التالية تتضح لنا كمية المواد الغذائية التي استوردتها بعض الدول الإسلامية في عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م[١].

الدولـــة	كميـــة الاستـــيراد	النوع
بنغلاديش	٢٫٦٥ مليون طن	حبوب
تركيا	٣٥٠٫٠٠٠ طن	قمح
تونس	٨٠٠٫٠٠٠ طن	قمح
الجزائر	٢٫٨ مليون طن	حبوب
سورية	أكثر من مليون طن	قمح
العراق	٣٫٢ مليون طن	قمح
مالـــي	٣٣٠٫٠٠٠ طن	حبوب
ماليزيا	٥٠٠٫٠٠٠ طن	أرز

وتعتبر إندونيسيا وهي أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكان (١٦٥ مليون نسمة) أكبر دولة مستوردة للأرز في العالم، فهي تشتري من ربع إلى ثلث مجمـــوع الصادرات العالمية من الأرز[٢].

ولو نظرنا إلى الدول العربية باعتبارها جزءًا مهما من أجزاء العالم الإسلامي، لوجدنا أن المساحة الكلية للعالم العربي تبلغ (١٣٫٧٧١٫٠٠٠) كيلو مترا مربعا، وأن المساحة المزروعة تمثل حوالي ١٦٪ فقط من هذه الأراضي، يروى ٢٥٪ منها ريًّا دائما يسمح بأكثر من محصول في السنة، بينما ٧٥٪ منها تعتمد على ميـــاه الأمطار، ولا يزرع فيها سوى محصول واحد في السنة[٣]. لذلك نجد أن العجـــز الغذائي في القمح زاد في الدول العربية من ٥٧٪ (في الفترة من ٧٥-١٩٧٩م) إلى ٦٦٪ (من ٨٠-١٩٨٤م)! أي أن واردات الدول العربية من القمح زادت

---

(١) مجلة الأمة، عدد ذي الحجة، ١٤٠٦هـ، ص ١٣-١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) مجلة منار الاسلام، مرجع سابق، ص ٨٠.

من (٤٫٨) مليون طن سنة ١٩٧٠م إلى (٩٫١) مليون طن سنة ١٩٨٣م أى بزيادة قدرها ٣١٤٪ فى مدة ١٢ سنة ! (١).

وقد دفع الوطن العربى عام ١٩٧١م حوالى (٢) مليار دولار ثمنا لإستيراد القمح ، وفى عام ١٩٨٠م أصبحت مدفوعاته عشرة أضعاف ذلك أى (٢٠) مليار دولار ، ويتوقع الخبراء أن يصبح الرقم عام ١٩٩٠م مامقداره (٩٠) مليار دولار (٢).

فلو عمل القائمون على الأنظمة السياسية فى العالم الاسلامى على إستصلاح الأراضى الزراعى ، وانفقوا ولو جزءًا يسيرا من الأموال التى دفعوها لشراء القمح لبناء السدود وحفر الآبار وشق الترع ، ودعم القطاع الزراعى فى أوطانهم لما أصبحت الحالة الزراعية فى العالم الاسلامى على هذه الحالة المزرية ، ولما أنتشرت المجاعات فى الكثير من الدول الاسلامية . ولكن البعد عن العقيدة الاسلامية وعن تعاليمها هو الذى أدى إلى هذا الوضع الزراعى المشين فى العالم الاسلامى . قال تعالى :

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (٣).

إن الإنسان ليعجب عندما يرى كثيرا من الدول الاسلامية التى تتوفر لديها جميع المقومات الزراعية ، تستورد المواد الغذائية الأساسية من غيرها ! ، فى حين استطاعت دولة كالمملكة العربية السعودية لا تتوفر لديها جميع المقومات الزراعية أن توفر لنفسها الإكتفاء الذاتى من أهم غذاء أساسى هو القمح ، ولم تتوقف عند ذلك الحد ، بل أخذت فى زيادة الإنتاج حتى أصبحت من الدول المصدرة للقمح !.

فالعراق ، وسوريا ، ومصر مثلا ، من الدول الإسلامية التى تتوفر لديها جميع المقومات الزراعية (أرض خصبة + مياه متوفرة + أيدى عاملة + مناخ ملائم) لكنهم

---

(١) مجلة منار الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٢-٨٣ .

(٢) مجلة الحوادث ، عدد ٢٨ تشرين الأول ، ١٩٨٣م ، ص ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ٩٦ .

يعتمدون على غيرهم فى توفير المواد الغذائية الأساسية لهم ! .

فالجمهورية العراقية استوردت فى عام ٨٤-١٩٨٥م (٣٫٢) مليون طن من القمح ، وسورية استوردت فى نفس الفترة أكثر من مليون طن من القمح ،(١) ومصر تستورد الطعام بما قيمته (٨) ملايين دولار فى اليوم الواحد !.(٢)

من هنا نستطيع أن نتبين الفارق بين النظم السياسية التى تلتزم بالعقيدة الإسلامية فى كافة جوانب الحياة ، والنظم السياسية التى لا تلتزم بالعقيدة الاسلامية ، بل تجحدها وتوصمها بالرجعية والتخلف . فالمملكة العربية السعودية ، قامت أصلا على العقيدة الاسلامية ، والنظام السياسى فى المملكة العربية السعودية هو النظام الوحيد فى العالم الاسلامى الملتزم بالعقيدة الاسلامية ، لذلك نجد أن جميع النظم الأخرى المتعلقة بكافة جوانب الحياة فيها تسير وفق العقيدة الاسلامية التى توجه كافة جوانب الحياة توجيها ربانيا مستمدا من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فلا عجب إذاً عندما نرى إخلاص القائمين على الأمور فى كافة مناحى الحياة فى المملكة العربية السعودية ، لأنهم يقومون بهذا بدافع من عقيدتهم الاسلامية التى تربوا عليها .

ويحضر الباحث فى هذه الأثناء الحديث الذى دار بين وزير الزراعة السعودى (عبد الرحمن آل الشيخ) ، ووزير الزراعة الأمريكى (جون بلوك) ، حيث قال الثانى للأول عندما بدأت المملكة العربية السعودية العمل فى مشروعها الزراعى الطموح قال له :

لماذا تتعبون أنفسكم وتنفقون هذه الأموال الطائلة لزراعة القمح ؟ ! ، ونحن باستطاعتنا أن نوفر لكم ماتحتاجون إليه من القمح بمبالغ أقل من المبالغ التى تنفقونها فى إستصلاح الأراضى الزراعية لزراعة القمح بكثير .

---

(١) مجلة الأمة ، مرجع سابق ، ص ١٣-١٤ .

(٢) نبيل صبحى الطويل : الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية ، ١٤٠٤هـ ، ص ٥٩ .

فقال له وزير الزراعة السعودى :

ونحن بإستطاعتنا أن نوفر لكم ماتحتاجون إليه من البترول بمبالغ أقل من المبالغ التى تنفقونها فى البحث والتنقيب عن البترول . فتوقفوا عن التنقيب والحفر واستخراج البترول ونحن نتوقف عن إستصلاح الأراضى الزراعية، وزراعة القمح .

فأمريكا تستغل القمح كسلعة سياسية للسيطرة على شعوب العالم، وخاصة العالم الاسلامى ، باعتبار أنها تملك أكبر فائض منه . وللأسف الشديد فإن بعض الأنظمة السياسية فى العالم الاسلامى تعتمد على مايسمى بالمعونات الزراعية الامريكية التى تكون فى البداية غير مشروطة بشروط معينة، وتهمل العناية بالإنتاج الزراعي فى أراضيها ، وبعد سنوات توضع لها شروط معجزة، فإذا رفضت الأنظمة السياسية هذه الشروط أوقفت المعونة. لذلك نجد أن بعض النظم السياسية فى العالم الاسلامى واقعة بسبب بعدها عن العقيدة الاسلامية ـ تحت فخ مايسمى بالمعونة أوذل المعونة الأمريكية .(١)

٣ ـ التخلف الصحي :

ومن مظاهر التخلف الحضاري فى العالم الاسلامى الناتج عن البعد عن العقيدة الإسلامية التخلف الصحى . حيث إن معظم الشعوب الاسلامية فى العالم الاسلامى تعانى كثيرا من إنتشار الأمراض فيما بينها ،لأنها لا تجد الرعاية الصحية المطلوبة من قبل النظم السياسية التى تسيطر عليها .

وإذا ألقينا نظرة على الحالة الصحية فى الشرق الأوسط المسلم والذى يبلغ عدد السكان فيه حوالى (٢٥٠) مليون نسمة، والذى يعتبر من أحسن المناطق فى العالم الاسلامى نجد أن فيه تقديريا : مليون حالة من السل ، وسبعة ملايين ونصف مليون فقدان البصر (العمى) ، و(٢١٧) مليونا من السكان معرضون

---

(١) جان سيمون :صحة الشرق الأوسط، اصدار منظمة الصحة العالمية، ١٩٨٠م، نقلا عن :نبيل صبحى الطويل ،الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ، مرجع سابق، ص ٨٣ .

للإصابة بمرض الملاريا ، بالإضافة إلى عدة ملايين من المصابين بضعف البصر.(١)

ونجد أن نسبة وفيات الرضع تتراوح فيه مابين ٥ إلى ٢٠٪ ، في حين نجد النسبة في الولايات المتحدة الأمريكية ٨ر٪ (إحصاءات عام ١٩٧٥م)(٢). فمن مجموع أحد عشر مليونا من المواليد في الشرق الأوسط المسلم سنويا يموت مليونان: مليون ونصف طفل يموتون في سن الرضاعة (أقل من سنة) ، ونصف مليون طفل يموتون قبل سن الثالثة(٣)؛ وذلك لعدم توفر الرعاية الصحية المطلوبة لهؤلاء الأطفال ، مم تسبب في إنتشار بعض الأمراض كالإسهالات المعوية ، والأمراض السارية كالملاريا والحصبة وغيرها من الأمراض التي تتسبب في وفاة الكثير من هؤلاء الأطفال(٤).

وإذا نظرنا إلى ماتوفره بعض الدول في الشرق الأوسط المسلم من رعاية صحية لأبنائها مقارنة ببعض الدول الغربية والشرقية نجد أنها غير كافية. فمثلا نجد أنه لا يوجد إلا سرير واحد في المستشفيات لكل ٤٦٤ مواطنًا في مصر ، و١٠٥٤ في سوريا ، و١٠٩٧ في السودان ، و٩٣٧ في الأردن ، مقابل سرير واحد لكل ١٤٩ مواطنا في الولايات المتحدة الأمريكية ، و٩٨ في فرنسا ، و٨٦ في الإتحاد السوفياتي(٥)، وكذلك نجد أن نسبة السكان في العالم العربي - باعتباره يشكل الجزء الأكبر في الشرق الأوسط المسلم - الذين يشربون الماء النقي

---

(١) جان سيمون : صحة الشرق الأوسط ، اصدار منظمة الصحة العالمية ، ١٩٨٠م. نقلا عن : نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٢) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، نفس المكان .

(٤) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٥) جريدة الرياض ، العدد (٥٣٣٥) ، الأحد ٩ - ٤ - ١٤٠٣هـ ، ص ١٤ .

لا تزيد عن ١٥٪ فقــــط[١] .

إن الإنفاق على الخدمات الطبية في الشرق الأوسط المسلم يكاد يكون معدوما إذا قورن بالإنفاق على السلاح ، فالنظم السياسية القائمة في الشرق الأوسـط المسلم تنفق أموالا طائلة لشراء السلاح ، فهي قد اشترت عام ١٩٨٠م سلاح بـ(٤٩٢٦) مليار دولار ، واشترت عام ١٩٨١م سلاح بـ(٤٢٨٧) مليار دولار[٢] . فلو دفعت هذه النظم جزءًا بسيطا من هذه الأموال الطائلة للخدمات الطبية لما كان في الشرق الأوسط المسلم اليوم مليون شخص مصابون بمرض السل ، و (٦٠) مليـون طفل معرضون للإصابة بفقدان البصر . حيث تقدر تكاليف علاج المليون شخـص المصابون بمرض السل بـ(٢٥٠) مليون دولار إذا عولجوا بأغلى أنواع العقاقـير الحديثة[٣] ، كما تقدر تكاليف وقاية (٦٠) مليون طفل من الإصابة بمرض فقدان البصر بـ(٦) ستة ملايين دولار أمريكي[٤] .

إن حماية الإنسان ووقايته من الأمراض من الأهمية بمكان ، حيث يجب أن يصبح الإنفاق على حمايته من الأمراض متقاربا ولو جزئيا مع الإنفاق على السلاح الـذي توفره النظم السياسية لحماية الأوطان والشعوب . ولكن الأمر المؤسف حقا هـو أن ميزانية وزارة الصحة في معظم دول العالم الاسلامي - باستثناء بعض الـدول النفطية - ليست من الأولويات ، لذا فهي في ذيل القائمة من حيث المخصصـات إذا قورنت ببقية الوزارات في الدولة الواحدة ، وكذلك إذا قورنت بوزارات الصحة في بعض الدول الكافرة . فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن دولـة كالسويد أنفقت في عام ١٩٧٦م على الخدمات الطبية (٥٥٠) دولارا على كـل

---

(١) جريدة الرياض ، العدد (٥٣٣٥) ، الأحد ٩-٤-١٤٠٣هـ ، ص ١٤ .

(٢) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

مواطن في العام، في حين نجد أن دولة إسلامية كبنغلادش تنفق على كل الخدمات الطبية (٤) سنتات على كل مواطن في العام[(١)].

مما سبق يتضح لنا مدى التخلف الصحي الذي تعاني منه شعوب العالم الاسلامي، والذي يمثل مظهرا من مظاهر التخلف الحضاري الناتج عن عدم الإلتزام بالعقيدة الإسلامية .

٤ - التخلف الإقتصادي :

ومن مظاهر التخلف الحضارى في العالم الاسلامي الناتج عن عدم الإلتزام بالعقيدة الاسلامية، التخلف الإقتصادي، الذي يعاني منه المسلمون في كثير من الدول الاسلامية .

فالدخل القومي في أكثر بلاد العالم الاسلامي يضع الشخص المسلم في أقل مستوى الأدميين، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن دخل الفرد في مصر بلغ عام ١٩٧٤م ٨٧ دولار أمريكي في العام، وفي سيراليون عام ١٩٧٧م ٨٠ دولار أمريكي، وفي الصومال عام ١٩٧٦ ٦٥ دولار أمريكي، وفي بنغلاديش عام ١٩٧٥م ٤٦ دولار أمريكي، وفي أندونيسيا عام ١٩٧٧م ٣٨ دولار أمريكي[(٢)].

ويسود معظم الدول الاسلامية فقر مدقع وحرمان شديد، فقد ذكرت مصادر البنك الدولي أن في سنة ١٩٧٨م كان حوالي (٨٠٠) مليون شخص يعيشون في فقر مطلق، وأغلبهم من المسلمين الذين يعيشون في جنوبي آسيا وإندونيسيا وأفريقيا الإستوائية[(٣)]. كما ذكرت مصادر الأمم المتحدة أن أكثر من نصف سكان " بنغلاديش " البالغ عددهم (٩٢) مليونا من البشر، يعيشون دون مستوى الكفاف وذكرت وكالة رويتر للأنباء أن ١٠٪ من سكان العاصمة البنغلاديشية " دكا "

---

(١) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف في ديار المسلمين، مرجع سابق، ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ٣١ .

والبالغ مجموعهم ٥ر٢ مليون نسمة هم من الشحاذيـــن .(١)

وفيما يلى إحصائية تبين لنا نسبة الفقر بين السكان فى بعض الدول الاسلامية :

الصومال	: تبلغ نسبة الفقر فيها عام ١٩٧٦م					٧٠٪
اندونيسيا	: ،،	،،	،،	،،	عام ١٩٧٧م	٨٠٪
بنغلاديش	: ،،	،،	،،	،،	عام ١٩٧٥م	٧٤٪
تنزانيا	: ،،	،،	،،	،،	عام ١٩٦٩م	٦٥٪
سيراليون	: ،،	،،	،،	،،	عام ١٩٧٧م	٥٥٪
ماليزيا	: ،،	،،	،،	،،	عام ١٩٧٠م	٥٥٪ .(٢)

إن الفقر المنتشر بهذه الصورة فى معظم الدول الإسلامية ناتج عن عـــدم إخلاص النظم السياسية فى معظم الدول الاسلامية لشعوبها ، لأن الأراضى الاسلامية تحتوى على ثروات كثيرة ، فلو استغلت هذه الثروات الموجودة فى العالم الاسلامى الإستغلال الأمثل لما أصبح حال معظم المسلمين بهذه الحالة التى يرثى لهـا . فالعالم العربى على سبيل المثال لا الحصر نجد أنه يشغل مساحة كلية مـــن الأراضى قدرها (١٣٥٢) مليون هكتار (أى أنه يحتل المركز الرابع من حيـث المساحة فى العالم بعد الصين والهند والإتحاد السوفيتى)(٣)، يستغل منهـا مايقرب من خمسين مليون هكتار فقط، ويحتوى ٢٤٤ مليون هكتار من المراعـــى ، وتنتشر فيه الغابات على مساحة تقدر ب ١٣٨ مليون هكتار، ويملك ثروة حيوانيـة تقدر ب ٢ر٥٪ من جملة الموجود فى العالم، فضلا عن الثروة النفطية التى تمثـل ٧ر٣٠٪ من الإنتاج العالمى لعام (١٩٧٢م) كما يمثل إحتياطيه ٥ر٥٦٪ مـن مجموع الإحتياطى العالمى ، بالإضافة إلى وجود الثروات المعدنية المتنوعة فيـه ، حيث بلغ إنتاج العالم العربى منها عام ١٩٧١م ٢ر٢٧٪ من مجموع إنتـــاج الفوسفات فى العالم، و ٥ر٣٪ من مجموع إنتاج الأنتيمون، و ٣٪ من إنتاج الرصاص،

---

(١) نبيل صبحى الطويل : الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين، مرجع سابق، ص ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٣) مجلة منار الاسلام ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

و ٣ ر٢٠٪ من إنتاج الحديد ... مما يشكل في مجموعه ثروات هائلة . ومع توفر هذه الثروات فإن أكثرية الشعب العربي المسلم تعيش فقيرة بائسة تعيسة لا تتجاوز قوتها العاملة ٣٠٪ من المجموع .(١) ومتحملة لديون كثيرة أثقلت كاهلها وحرمتها الكثير من الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الأخرى . فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن ديون مصر بلغت عام ١٩٨٢م (١٩٢٠٠) مليون دولار ، وديون السودان بلغت عام ١٩٨٢م (٧٨٠٠) مليون دولار ، وديون سوريا بلغت عام ١٩٨١م (٣٩٠٠) مليون دولار .(٢)

ومن العجيب أن بعض هذه القروض أموال إسلامية مودعة في البنوك الغربية ؟! أي أن بعض الدول الإسلامية تقترض الأموال الاسلامية من طرف ثالث بتكلفة إقتصادية وسياسية أعلى ! .

فقد بلغت بعض الأرصدة الاسلامية في الخارج عام ١٩٨٣م حوالي (٤٠٠) بليون دولار ، منها (٨٠٪) أودعت في دول منظمة التعاون الإقتصادي ، و ١٤ ٪ منها في العالم الثالث بما فيها الدول الإسلامية ، و ٦٪ من الموءسسات المالية الدولية ؟ ! .(٣)

إن بُعد بعض النظم السياسية في العالم الاسلامي عن العقيدة الاسلامية وتعاليمها هو السبب في إثقال كاهل الشعوب الاسلامية بالديون الخارجية التي هي في غنى عنها لو أخلص القائمون على هذه الشعوب في إستغلال الثروات الطبيعية لديهم الإستغلال الأمثل . وهو السبب في جعل الدول الكبرى الدائنة توءثر على الدول الاسلامية الفقيرة المدينة - بسبب النظم السياسية - على

---

(١) جريدة الرياض ، العدد (٥٣٣٥) ، الأحد ، ٩/٤/١٤٠٣هـ ، ص ١٤ .

(٢) نبيل صبحي الطويل ، الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) مجلة منار الاسلام ، صفر ١٤٠٨هـ ، ص ٨١ ، ٨٢ .

سياساتهـــا الداخليـــة والخارجيـــة .[١]

مما سبق يتضح لنا مدى التخلف الإقتصادي الذى تعانى منه الشعـــوب الاسلامية ، والذى يمثل مظهرا من مظاهر التخلف الحضاري الناتج عن عـــدم الإلتزام بالعقيدة الاسلاميـــة .

---

(١) نبيل صبحي الطويل : الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ، مرجع سابـــق ، ص ٤٧ .

الفصل الختامي

- النتائج
- التوصيات
- قائمة المصادر والمراجع

النتائـــــــــج

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة الى عدة نتائج من أهمها مايلي :

١ - ان العقيدة الاسلامية هي القوة الحقيقية الدافعة لكل عمل خير ، فهي الدافعة للتعليم ، وهي الدافعة للتخلق بالأخلاق الحسنة ، وهي الدافعة لانشاء نهضة علمية مباركة مقيدة بتقوى الله سبحانه وتعالى وخشيته ، ومتحلية بالأخلاق الاسلامية الحميدة ، وهي الدافعة لعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني الذي ينشـــىء حضارة انسانية شاملة ، لا مادية ولا آلية متجردة من الانسانية ، والذي ينشــيء كذلك حضارة انسانية ملتزمة بالأخلاق الحميدة في كافة مجالات الحياة .

وحين التزمت الأجيال الأولى من أبناء الامة الاسلامية - التي لم تكن من قبل أمة علم ولا حضارة ولا نظام - بهذه العقيدة ، والتزمت بالمنهج التربوي المنبثق عنها حسنت تربيتها ، فأنشأت أكبر حركة علمية وقتئذ ، وأنشأت أكبر حركة حضاريــــة وقتئذ ، وأنشأت أكبر دولة اسلامية منظمة وقتئذ .

٢ - ان الأمة الاسلامية عند ما ابتعدت عن العقيدة الاسلامية في العصور الحاليـــة حدث لها كل أنواع التخلف في مختلف المجالات ، حدث لها التخلف العلمـــي والحضاري والاقتصادي والحربي والسياسي والفكري والثقافي .

٣ - اذا التزم العالم المسلم بالعقيدة الاسلامية الصحيحة وتربى وفق المنهج التربوي المنبثق عن هذه العقيدة ، فان ذلك ينعكس على علمه ، بحيث لا يصدر منه الا كـــل علم نافع ومفيد ، سواء كان ذلك في مجال العلوم الاجتماعية أو في مجـــال العلـــوم الطبيعيـــة .

٤ - اذا طبقت العقيدة الاسلامية الصحيحة التطبيق الصحيح في أى زمان ومكـــان ، فانها تأتي بنفس النتائج الايجابية التى جاءت بها الأجيال الأولى . وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب اللـــه وسنـــتي " .

٥ - أن الغرب يخطط لابقاء العالم الاسلامي في حالة من التخلف ، وذلك بالفصـــل بينه وبين عقيدته الصحيحة التي هي مصدر قوته .

٦ - ان الدول الاسلامية سهلت مهمة الغزو الثقافي بقصد أو بدون قصد حين وضعت المناهج التعليمية متأثرة بتوجيهات الغرب .

التوصيـــات

١ ـ المبادرة بالعمل على نشر العقيدة الاسلامية الصحيحة بين المسلمين فى كافة أرجاء العالم الاسلامى ، لأن العقيدة الاسلامية الصحيحة هى الدافع لكل عمل خير ينشده المسلمون اليوم .

٢ ـ على القائمين على نظم التعليم فى البلاد الاسلامية أن يعملوا بجد على جعل التعليم فى بلدانهم تعليما إسلاميا ، وذلك عن طريق صياغة كافة مناهج المواد الدراسية فى كل المراحل التعليمية صياغة إسلامية صحيحة وفق المنهج الربانى .

٣ ـ على القائمين على نظم التعليم فى البلاد الاسلامية أن يركزوا على تعليم العقيدة الاسلامية الصحيحة وتثبيتها فى نفوس الطلاب منذ الصغر ، وذلك عن طريق وضع مادة دراسية باسم " العقيدة الاسلامية " توضح من خلالها العقيدة الاسلامية الصحيحة على أساس أنها منهج حياة متكامل يهدف إلى إخراج الإنسان الصالح الذى يحقق المنهج الربانى فى واقع الأرض ، وتقرر هذه المادة على مراحل التعليم كل بقدر ما يناسبه ابتداءً من الصف الأول الابتدائى ، وانتهاءً بآخر مراحل التعليم الجامعى ، ويمكن للدول الاسلامية أن تستفيد من خبرة المملكة العربية السعودية فى هذا المجال .

٤ ـ على النظم السياسية فى العالم الاسلامى أن تمنع نشر أى فكر أو تصور يخالف مبادئ وتصورات العقيدة الاسلامية ، وهذا من أوجب الواجبات على الحكومات فى العالم الاسلامى لأن حماية العقيدة والفكر الاسلامى من الضرورات التى يجب أن تقوم بها أى حكومة إسلامية .

٥ ـ ضرورة وضع مادة علمية دراسية جديدة باسم " مفاهيم ينبغى أن تصحح " توضح المفاهيم الاسلامية التى ينبغى للمسلم أن يلتزم بها ، مع بيان المفاهيم الخاطئة فى نفس الوقت ، وذلك لكى يتضح الفرق بين المفهوم الصحيح والمفهوم الخاطئ ، ومن ثم يوضح السلوك العملى الناتج من كلا المفهومين ،

مع ابراز محاسن السلوك العملى الناتج عن المفهوم الصحيح ومساوئ السلوك العملى الناتج عن المفهوم الخاطيء ، وتدرس هذه المادة فى مختلف مراحل التعليم فى العالم الاسلامى كل بقدر ما يناسبه ابتداءً من الصف الرابع الابتدائى وانتهاءً بآخر مراحل التعليم الجامعى .

٦ – على النظم السياسية فى العالم الاسلامى أن تلتزم بالعقيدة الاسلامية ، وتجعل جميع أنظمة الحكم فيها نظما إسلامية تستمد تعاليمها من العقيدة الاسلامية .

٧ – على النظم السياسية فى العالم الاسلامى أن تعمل على محو الأمية بين جميع الفئات من أبناء المسلمين وذلك ضمن خطة موحدة ومحددة الأجل ، لأن الأمة الأمية التى لا تقرأ ولا تكتب لا يمكن أن تقوم فيها نهضة علمية أو حضارية .

٨ – على المسئولين عن التعليم العام والجامعات فى العالم الاسلامى أن يهتموا ويركزوا على تعليم العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها الكيميائية والطبيعية والميكانيكية النظرية والتطبيقية من منظور إسلامى بحت ، لأن هذه التخصصات تنقص الأمة الاسلامية وهى فى أمس الحاجة إليها .

٩ – يجب الاهتمام بترجمة العلوم التجريبية والمادية بكل فروعها ، مع التحفظ والتقليل من ترجمة العلوم الاجتماعية بكل فروعها ، مع ملاحظة صياغة المفاهيم المخالفة للعقيدة الاسلامية صياغة اسلامية أثناء الترجمة ، وكذلك تمحيصها وبيان مافيها من انحراف .

١٠ – على الجامعات فى العالم الاسلامى أن توجه الدراسات الحضارية فيها من دراسات تاريخية ، ودراسات الهدف منها احياء الحضارات القديمة مثل الحضارة الاغريقية والفرعونية والبابلية والآشورية الى دراسات أكاديمية علمية بناءة عن الحضارة الاسلامية ، أو دراسات منهجية نحو بناء حضارة اسلامية عصرية ومتفوقة .

المصـــادر والمراجـــع

قائمة المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - أبو الأعلى المودودى .
نحن والحضارة الغربية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ ، د .ط.

٣ - ابو الأعلى المودودى .
واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ ، ط٥ .

٤ - أبو زيد شلبى .
تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٦م ، ط٥ .

٥ - أبى القاسم بن حوقل النصيبى .
صورة الأرض ، بيروت دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩م ، د .ط .

٦ - أبو اليزيد أبو زيد العجمى .
السلوك الخلقى للمسلم ، ملحق مجلة الجندى المسلم ، المملكة العربية السعودية ، وزارة الدفاع والطيران ، العدد ٣٩ ، د .ت .

٧ - أحمد ابراهيم الشريف .
دراسات فى الحضارة الاسلامية ، د .م ، دار الفكر العربى ، ١٩٨١م ، ط٢ .

٨ - أحمد أمين .
كتاب الأخلاق ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٤م ، د .ط.

٩ - أحمد أمين .
ضحى الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، د .ت ، ط.١ ، جـ٢ .

١٠ - أحمد البيلى .
التصور الاسلامى لمناهج التربية والتعليم ، مكة المكرمة ، المركز العالمى للتعليم الاسلامى ، ١٤٠٣هـ .

١١- أحمد شلبي .
التربية الاسلامية، نظمها ، فلسفتها ، تاريخها ، القاهرة ، مكتبة النهضة، ١٩٨٢م، ط٧ .

١٢- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .
الايمان ، دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٤٠١هـ، ط٣ .

١٣- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .
العبودية ، الرياض، مكتبة المعرف، ١٤٠٤هـ، طبعة جديدة .

١٤- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .
العقيدة الواسطية ، تقديم مصطفى العالم ، جده ، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ، ط٨ .

١٥- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .
مجموعة الفتاوى/ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الرباط، مكتبة المعارف، د .ت، د .ط، ج٨ .

١٦- أحمد بن على بن حجر العسقلانى .
فتح البارى بشرح صحيح البخارى، د .م، دار الفكر، د .ت، ج١ .

١٧- أحمد بن على الخطيب البغدادى .
تاريخ بغداد ، بيروت، دار الكتب العلمية، د .ت، د .ط، ج٤ .

١٨- أحمد بن على المقريزى .
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية، بيروت، دار صادر ، د .ت، د .ط، ج٢ .

١٩- أحمد على الملا .
أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، دمشق ، دار الفكر، ١٤٠١هـ، ط٢ .

٢٠- أحمد بن على بن شعيب النسائى .
سنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى والامام السندى، د .م، دار الفكر، ١٣٤٨هـ .

٢١- أحمد بن فارس بن زكريا .
معجم مقاييس اللغة ، مصر ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩١هـ ، ط٤ ، ج٢ .

٢٢- أحمد فؤاد باشا .
التراث العلمي للحضارة الاسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة ، ج . م . ع ، دار المعارف ، ١٤٠٣هـ .

٢٣- أحمد فؤاد باشا .
فلسفة العلوم بنظرة اسلامية ، مصر ، دار المعارف ، ١٤٠٤هـ .

٢٤- أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة .
عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت ، د . ط .

٢٥- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ، د . ت ، د . ط ، ج١ .

٢٦- أحمد بن محمد بن محمد المكناسيي .
أشرف المقاصد في شرح المقاصد ، د . م ، المطبعة الخيرية ، مالكها عمر حسين الخشاب ، ١٣٢٥هـ .

٢٧- أحمد محمد محمود سليمان .
دراسات في العقيدة في ضوء العقل والعلم ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠١هـ ، ط٢ .

٢٨- أحمد بن محمد بن مسكوبة .
تهذيب الأخلاق في التربية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠١هـ .

٢٩- أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ ، ج٢ .

٣٠- أحمد نوفل ، وآخرون .
في الثقافة الاسلامية ، عمان ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ .

٣١- آدم متز .

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري/ ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٣٦٠هـ، د.ط.

٣٢- اسماعيل بن حماد الجوهري .

الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ، ط٢، ج٢ .

٣٣- اسماعيل بن عبّاد .

المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد، مطبعة المعارف، ١٣٩٥هـ، ج١ .

٣٤- اسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) .

البداية والنهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧م، ط٢، ج١٤ .

٣٥- أنور الجندي .

الاسلام تاريخ وحضارة، د.م، دار الاعتصام، د.ت، د.ط .

٣٦- أنور الجندي .

تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة، د.م، دار الاعتصام، د.ت، د.ط .

٣٧- أنور الجندي .

سقوط العلمانية، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٣هـ .

٣٨- أنور الجندي .

الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي، د.م، دار الاعتصام، د.ت، د.ط .

٣٩- أنور الجندي .

العودة الى المنابع، د.م، دار الاعتصام، د.ت، د.ط .

٤٠- أنور الجندي .

قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الاسلام، بيروت، موسسة الرسالة، ١٤٠١هـ .

٥٢- جابر الجزائرى . أبو بكر .
العلم والعلماء ، القاهرة ، دار الكتب السلفية ، د .ت ، د .ط .

٥٣- جابر الجزائرى ، أبو بكر .
منهاج المسلم ، د .م ، دار الفكر ، ١٣٩٦هـ ، ط٨ .

٥٤- جابر عبد الحميد جابر/أحمد خيرى كاظم .
مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة ، النهضة العربية ، ١٣٨٨هـ ، ط٢ .

٥٥- جاك س . رسيلر .
الحضارة العربية/ ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة ، الدار المصرية ، د .ت ، د .ط .

٥٦- جلال محمد عبد الحميد موسى .
منهج البحث العلمى عند العرب ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، د .ت ، د .ط .

٥٧- جلال مظهر .
حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٤م ، د .ط .

٥٨- جودت سعيد .
حتى يغيروا ما بأنفسهم ، دمشق ، دار الثقافة للجميع ، ١٣٩٥هـ ، ط٢ .

٥٩- حافظ بن أحمد حكمى .
٢٠٠ سؤال وجواب فى العقيدة الاسلامية ، القاهرة ، دار الاعتصام ، د .ت ، د .ط .

٦٠- حسن ابراهيم حسن .
تاريخ الاسلام السياسى ... ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧ ، ج٤ .

٦١- حسن ابراهيم عبد العال .
مقدمة فى فلسفة التربية الاسلامية ، الرياض ، عالم الكتب ، ١٤٠٥م ، د .ط .

٦٢- حسن أحمد البنـا .
العقائد ،د .م،دار الشهاب،د .ت،د .ط .

٦٣- حسن الباشـــا .
مدخل الى الآثار الاسلامية،مصر،دار النهضة المصرية،١٩٧٩م ، د .ط .

٦٤- حسن الترابـــى .
الايمان وأثره في حياة الانسان،الكويت،دار القلم،١٤٠٣هـ،ط٤ .

٦٥- حسنين محمد مخلوف .
كلمات القرآن تفسير وبيان ،د .م،د .ن،د .ت،د .ط .

٦٦- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى .
المفردات في غريب القرآن ،تحقيق محمد سيد كيلانى ،بيروت، دار المعرفة،د .ت،د .ط .

٦٧- حكمت نجيب عبد الرحمن .
دراسات في تاريخ العلوم عند العرب،وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ،جامعة الموصل ،١٩٨٥م،ط٤ .

٦٨- زغلول راغب النجار .
قضية التخلف العلمي والتقنى في العالم الاسلامى ،قطر،مركـــز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية،١٤٠٩هـ .

٦٩- زكريا هاشم زكريا .
فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم،القاهرة،دار نهضـة مصر،د .ت،د .ط .

٧٠- زيغريد هونكـــة .
شمس العرب تسطع على الغرب/ ترجمة فاروق بيضون ـ كمال دسوقى، بيروت ،دار الآفاق الجديدة ،١٤٠٦هـ،ط ٨ .

٧١- سعيد اسماعيل على .
معاهد التعليم الاسلامى ،القاهرة ،دار الثقافة،١٩٧٨م،د .ط.

٧٢- سعيد اسماعيل على .
دراسات في التربية الاسلامية ،القاهرة،عالم الكتب،١٩٨٢م،د .ط.

٧٣ - سعيد اسماعيل على .
معاهد التربية الاسلامية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٦م، د.ط .

٧٤ - سعيد الديوه جى .
التربية والتعليم فى الاسلام، الموصل، مكتب التراث العربى، د.ت، د.ط .

٧٥ - سليمان بن الأشعث .
سنن أبى داود، بيروت، دار الفكر، د.ت، د.ط، ج٤ .

٧٦ - سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل .
طبقات الأطباء والحكماء / تحقيق فؤاد سيد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ط٢ .

٧٧ - سيد سابق .
العقائد الاسلامية، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، د.ط .

٧٨ - سيد قطب .
دراسات اسلامية، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٣هـ، د.ط.

٧٩ - سيد قطب .
خصائص التصور الاسلامى ومقوماته، الكويت، الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الاسلامية، ١٣٩٨هـ، د.ط، القسم الاول .

٨٠ - سيد قطب .
معالم فى الطريق، بيروت، دار الشروق، ١٣٩٩هـ، ط٦ .

٨١ - سيد قطب .
فى ظلال القرآن، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ط١٠، ٦ مجلدات .

٨٢ - سيد قطب .
أفراح الروح، الدمام، دار ابن القيم، ١٤٧٧هـ، ط٢ .

٨٣ - سير توماس أرنولد .
تراث الاسلام / ترجمة جرجيس فتح الله، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨م، ط٣ .

٨٤ - شاكر عبد الجبار .

المنهج العلمي للاعتقاد ، بغداد ، مكتبة القدس ، ١٩٨٤م .

٨٥ - صالح بن أحمد بن حنبل .

سيرة الامام أحمد بن حنبل / تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، الاسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٤٠١هـ .

٨٦ - طه حسين .

مستقبل الثقافة في مصر ، د . م ، مطبعة المعارف ، ١٩٣٨م ، د . ط ، جـ١ .

٨٧ - ظهير الدين البيهقي .

تاريخ حكماء الاسلام / تحقيق محمد كرد علي ، دمشق ، مطبعة المفيد الجديدة ، ١٣٩٦هـ ، ط٢ .

٨٨ - عابد توفيق الهاشمي .

مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة ، عمان ، دار الفرقان ، ١٤٠٢هـ .

٨٩ - عباس محمود العقاد .

" الله " كتاب في نشأة العقيدة ، مصر ، دار المعارف ، د . ت ، ط٧ .

٩٠ - عبد الجواد رجب .

الايمان بالبرهان ، د . م ، دار التراث العربي ، د . ت ، د . ط .

٩١ - عبد الحكيم قاسم .

الايدلوجية والتربية بين المسيحية والاسلام ، د . م ، دار الفكر العربي ، د . ت ، د . ط .

٩٢ - عبد الحليم الجندي .

احمد بن حنبل إمام أهل السنة ، العراق ، لجنة التعريف بالاسلام ، الكتاب الخامس والستون ، ١٣٩٠هـ ، د . ط .

٩٣ - عبد الحميد الصيد الزنتاني .

أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية ، ليبيا ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، د . ت ، د . ط .

٩٤ - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي .
الاتقان في علوم القرآن ،بيروت ،دار الفكر ،د .ت،د .ط، جـ٢ .

٩٥ - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي .
تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي/تحقيق عبد الوهاب عبداللطيف، القاهرة ،دار الكتب الحديثة ،١٣٨٥هـ،ط٢ ،جـ١ .

٩٦ - عبدالرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي .
كتاب الجرح والتعديل ،بيروت، دار الكتب العلمية ،عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ،١٢٧١هـ،جـ١ .

٩٧ - عبدالرحمن بن الجوزي .
تلبيس ابليس ،د .م،دار الفكر ،د .ت،د .ط .

٩٨ - عبدالرحمن بن الجوزي .
ذم الهوى/تحقيق مصطفى عبد الواحد ،مراجعة محمد الغزالي ،د .م، د .ن، ١٣٨١هـ .

٩٩ - عبدالرحمن بن الجوزي .
مناقب الامام أحمد بن حنبل ،بيروت ،خانجي وحمدان ،د .ت،ط٢ .

١٠٠ - عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني .
أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ،دمشق ،بيروت ،دار القلم، ١٤٠٠هـ،ط٢ .

١٠١ - عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني .
غزو في الصميم ،دمشق ،دار القلم ،١٤٠٥هـ ،ط٢ .

١٠٢ - عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب .
خمس رسائل ،ضمن مجموعة كتاب الجامع الفريد ،قدم له زيد بن عبدالعزيز بن فياض ،د .م،د .ن،د .ت،د .ط .

١٠٣ - عبدالرحمن بن محمد بن خلدون .
مقدمة ابن خلدون ،بيروت ،دار القلم ،١٩٨١م ،ط٤ .

١٠٤ - عبد الرحمن النحلاوي .

التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة ، بيروت ، المكتب الاسلامـــي ، ١٤٠٢هـ .

١٠٥ - عبد الرزاق نوفل .

المسلمون والعلم الحديث ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣هـ ، ط٣ .

١٠٦ - عبد العزيز المحمد السلمان .

الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ، الرياض ، مطابع المجـــــــد التجارية ، ١٤٠١هـ ، ط١١ .

١٠٧ - عبد العزيز المحمد السلمان .

الاسئلة والأجوبة الأصولية ، د .م ، د .ن ، ١٤٠٣هـ ، ط١٢ .

١٠٨ - عبد الغني الدقـــر .

أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ، دمشق - بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩هـ .

١٠٩ - عبد الله عـــزام .

العقيدة وأثرها في بناء الجيل ، عمان ، مكتبة الأقصى ، ١٤٠٠هـ ، ط٣ .

١١٠ - عبد المجيد النجـــار .

العقل والسلوك في البنية الاسلامية ، مدنين ، مطبعة الجنـــــوب ، د .ت ، د .ط .

١١١ - عبد المنعم النمـــر .

حضارتنا وحضارتهم ، القاهرة ، دار المعارف ، د .ت ، د .ط .

١١٢ - عز الدين فـــراج .

فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ، د .م ، دار الفكر العربـــي ، ١٩٧٨م ، د .ط .

١١٣ - عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الآيجـــي .

المواقف / تحقيق علي بن محمد الجرجاني ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٥هـ ، جـ١ .

١١٤ - عفيف عبد الفتاح طبّارة .

روح الدين الاسلامي ،بيروت ،دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م،ط٢٥ .

١١٥ - على أحمد الجرجاوى .

حكمة التشريع وفلسفته ،د .م،د .ن، ١٣٨١هـ،ط٥ ،ج٢ .

١١٦ - على الطنطاوى .

تعريف عام بدين الاسلام ،بيروت ، موءسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ،ط١١ .

١١٧ - على عبد الحليم محمود ،وآخرون .

الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام ،بحث مقدم لموءتمر الفقة الاسلامى الذى عقدته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ،جامعة الامام محمد بن سعود ، ١٤٠٤هـ،د .ط،أربعة أقسام .

١١٨ - على عبد الله الدفاع .

لمحات من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ،القاهرة -الرياض ، الخانجى ،الرفاعى ،د .ت،د .ط .

١١٩ - على عبد الله الدفاع .

نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ،نيويورك ،دار جون وايلي وابناوءه ،د .ت،د .ط .

١٢٠ - على عبد المنعم عبد الحميد .

العقيدة الاسلامية ،الكويت ،دار القلم ، ١٤٠٠هـ .

١٢١ - على محمد جريشة - محمد شريف الزيبق .

أساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى ،القاهرة ،دار الاعتصام ،د .ت، د .ط .

١٢٢ - على بن محمد بن على الجرجانى .

التعريفات ،مصر ،مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٥٧هـ ،د .ط .

١٢٣ - على الحسنى الندوى ابو الحسن .

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ،الكويت ،دار القلم ، ١٣٩٣هـ ، ط١٠ .

١٢٤ - علي الحسني الندوي أبو الحسن .
أهمية الحضارة في تاريخ الديانات ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، ١٤٠٢هـ .

١٢٥ - علي الحسني الندوي أبو الحسن .
الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية ، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٥هـ ، ط٥ .

١٢٦ - علي الحسني الندوي أبو الحسن .
الاسلام أثره في الحضارة وفضله على الانسانية ، القاهرة ، دار الصحوة ، ١٤٠٦ هـ .

١٢٧ - علي بن يوسف القفطي .
إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د .ت ، د .ط .

١٢٨ - عماد الدين خليل .
معاول في جدار العلمانية ، مقال في مجلة الوعي الاسلامي ، العدد ٥٥ ، ١٣٨٩هـ .

١٢٩ - عمر سليمان الأشقر .
العقيدة في الله ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٨٤م ، ط٥ .

١٣٠ - عمر فروخ .
تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ م ، ط ٤ .

١٣١ - عمر محمد التومي الشيباني .
فلسفة التربية الاسلامية ، طرابلس ، المنشأة العامة للنشر ، ١٩٨٦م ، ط٦ .

١٣٢ - قدري حافظ طوقان .
تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، بيروت ، دار الشروق ، د .ت ، د .ط .

١٣٣ - لويس معلوف اليسوعي .
المنجد في اللغة والأعلام ، بيروت ، دار المشرق ، د .ت ، ط ٢٥ .

١٣٤ - محمد ابراهيم الصيحى .
أثر العرب فى الحضارة الأوربية ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٦٨م، د .ط .

١٣٥ - محمد ابراهيم الصيحى .
التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، مكتبة الوعى ، ١٩٦٩م، د .ط.

١٣٦ - محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى .
مختار الصحاح / ترتيب محمود خاطر ، القاهرة ، دار الحديث ، د .ت، د .ط .

١٣٧ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .
روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، مكة المكرمة ، دار الباز للطباعة والنشر ، د.ت ، د .ط .

١٣٨ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .
زاد المعاد فى هدى خير العباد / تحقيق محمد حامد فقى ، مصر ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١هـ، د .ط .

١٣٩ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .
الفوائد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٣هـ، ط٢ .

١٤٠ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .
مدارج السالكين / تحقيق محمد حامد فقى ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٣٩٣هـ، ط٢ ، جـ٢ .

١٤١ - محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية .
مفتاح دار السعادة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د .ت، د .ط، جـ١ .

١٤٢ - محمد أبو زهرة .
ابن حنبل حياته وعصره - آراؤه وفقهه ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د .ت، د .ط .

١٤٣ - محمد أبو الغيط الفرت ، محمد رواس قلعة جى .
العقيدة الاسلامية فى مواجهة المذاهب الهدامة ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣هـ .

١٤٤ - محمد بن أبي يعلى .
طبقات الحنابلة ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧١هـ ، د .ط ، جـ١ .

١٤٥ - محمد بن أحمد الأزهرى .
تهذيب اللغة / تحقيق عبد السلام محمد هارون ، د .م ، المؤسسة المصرية العامة ، ١٣٨٤هـ ، جـ١ .

١٤٦ - محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى .
الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧٣هـ ، ط٢ ، جـ٢٠ .

١٤٧ - محمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ) .
رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر ، ١٤٠٠هـ ، د .ط .

١٤٨ - محمد بن أحمد السفاريني .
لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، د .م ، د .ن ، د .ت ، د .ط ، جـ١ .

١٤٩ - محمد أحمد الغمراوى .
الاسلام في عصر العلم ، د .م ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٣هـ ، د .ط .

١٥٠ - محمد بن اسحاق بن النديم .
الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ ، د .ط .

١٥١ - محمد أسد .
الاسلام على مفترق الطرق / ترجمة عمر فروخ ، د .م ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٤م ، ط٧ .

١٥٢ - محمد بن اسماعيل البخارى .
صحيح البخارى ، د .م ، د .ن ، د .ت ، د .ط ، ٩ جـ .

١٥٣ - محمد أعلى بن على التهانوى .
موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون ، بيروت ، خياط ، د .ت ، د .ط ، جـ٤ .

١٥٤ - محمد أمين المصرى .

لمحات فى وسائل التربية الاسلامية وغاياتها ، بيروت ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ ، ط٤ .

١٥٥ - محمد البهـــى .

الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه ، بـــيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٥م ، ط٢ .

١٥٦ - محمد بيصـــار .

العقيدة والأخلاق ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣م ، ط٤ .

١٥٧ - محمد جلال كشك .

الطريق الى مجتمع عصرى ، القاهرة ، المختار الاسلامى ، د .ت ، د .ط .

١٥٨ - محمد حافظ الشريدة .

العقيدة أساس التربية والنظم الاسلامية ، رسالة دكتوراه فى الشريعة الاسلامية بجامعة أم القرى غير منشورة ، ١٤٠٣هـ .

١٥٩ - محمد بن الحسن الزبيدى الاشبيلى .

مختصر العين ، تحقيق علال الفاسى ، محمد بن تابت الطبخى ، الدار البيضاء ، مكتبة الوحدة العربية ، د .ت ، د .ط .

١٦٠ - محمد حسين الذهبى .

التفسير والمفسرون ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٩٦هـ ، ط٢ ، جـ٢ .

١٦١ - محمد الحســنى .

الاسلام الممتحن ، القاهرة ، المختار الاسلامى ، ١٣٩٧هـ .

١٦٢ - محمد الذهـــبى .

تذكرة الحفاظ للذهبى ، بيروت ، دار احياء التراث العربى ، د .ت ، د .ط ، جـ١ .

١٦٣ - محمد سعيد رمضان .

من أسرار المنهج الربانى ، بيروت ، موسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ ، ط٢ .

١٦٤ - محمد بن صالح بن عثيمين .
رسائل في العقيدة ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٦هـ ، ط٢ .

١٦٥ - محمد الصادق عرجون .
سنن الله في المجتمع من خلال القرآن ، جدة ، الدار السعودية ، ١٤٠٤هـ ، ط٣ .

١٦٦ - محمد الصادق عفيفي .
تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦م ، د.ط .

١٦٧ - محمد عبد العزيز الخولي .
الأدب النبوي ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٥هـ ، د.ط .

١٦٨ - محمد عبد القادر أحمد .
طرق تعليم التربية الاسلامية ، بيروت ، المكتبة الأموية ، ١٩٨٣م ، د.ط .

١٦٩ - محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوري .
المستدرك على الصحيحين ، الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٤هـ ، مصور عن الطبعة الأولى .

١٧٠ - محمد بن عبد الله الزركشي .
البرهان في علوم القرآن / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، ط٢ ، جـ٢ .

١٧١ - محمد بن عبد الله اللواتي .
رحلة ابن بطوطة / تحقيق محمد عبد المنعم العريان ، بيروت ، دار احياء العلوم ، ١٤٠٧هـ ، جـ٢ .

١٧٢ - محمد علي الجوزو .
مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٣م ، ط٢ .

١٧٣ - محمد علي الصابوني .
التبيان في علوم القرآن ، طبع على نفقة حسن شربتلي ، ١٤٠٠هـ ، ط٢ .

١٧٤ - محمد على الصابونى .
صفوة التفاسير، بيروت، دار القرآن الكريم، ١٤٠٢هـ، ط٤، ج٣ .

١٧٥ - محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .
الجامع الصحيح / تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ط٢ .

١٧٦ - محمد فتحى عثمان .
القيم الحضارية فى رسالة الاسلام، جدة، الدار السعودية، ١٤٠٢هـ.

١٧٧ - محمد قطب .
التطور والثبات فى حياة البشر، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ، ط٤ .

١٧٨ - محمد قطب وآخرون .
الثقافة الاسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٦هـ، المستوى الرابع .

١٧٩ - محمد قطب .
جاهلية القرن العشرين، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٥هـ، د. ط .

١٨٠ - محمد قطب .
دراسات قرآنية، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٣هـ، ط٤ .

١٨١ - محمد قطب .
فى النفس والمجتمع، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٣هـ، ط٧ .

١٨٢ - محمد قطب .
منهج التربية الاسلامية، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٣هـ، ط٧، ج١ .

١٨٣ - محمد قطب .
هل نحن مسلمون، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٣هـ، د. ط.

١٨٤ - محمد قطب .
قبسات من الرسول، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٤هـ، ط٩ .

١٨٥ - محمد قطـــــب .
واقعنا المعاصر ، جدة ، موسسة المدينة للصحافة ، ١٤٠٧ هـ .

١٨٦ - محمد قطـــــب .
مفاهيم ينبغي أن تصحح ، القاهرة ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٨ هـ ، ط ٢ .

١٨٧ - محمد المبارك .
بين الثقافتين ، د . م ، دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ ، د . ط .

١٨٨ - محمد متولي الشعراوى .
منهج التربية في الاسلام ، د . م ، دار المسلم ، د . ت ، د . ط .

١٨٩ - محمد المجـــذوب .
مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، د . م ، دار الاعتصام ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٣ .

١٩٠ - محمد ماهر حمـادة .
المكتبات في الاسلام ، بيروت ، موسسة الرسالة ، ١٤٠٧ هـ ، ط ٥ .

١٩١ - محمد محمد حسين .
حصوننا مهددة من داخلها ، بيروت ، موسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٨ .

١٩٢ - محمد محمد حسين .
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، بيروت ، موسسة الرسالـــة ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٧ ، ج ٢ .

١٩٣ - محمد بن محمد الغزالي أبو حامد .
احياء علوم الدين ، بيروت ، دار المعرفة ، د . ت ، د . ط ، ج ٥ .

١٩٤ - محمد بن محمد الغزالي أبو حامد .
معيار العلم / تحقيق سليمان دنيا ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦١ م ، د . ط .

١٩٥ - محمد الغزالي .
عقيدة المسلم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، ١٣٩٩ هـ ، ط ٢ .

١٩٦ - محمد بن محمد العمادى .
تفسير أبي السعود . المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايـــا القرآن الكريم ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د . ت ، د . ط ، ج ٥ .

١٩٧ - محمد محمود الصواف .
المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام، الدمام، دار الاصلاح، د .ت، د .ط .

١٩٨ - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري .
لسان العرب، بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٥هـ، د .ط، ج٣ .

١٩٩ - محمد نعيم ياسين .
الايمان أركانه حقيقته نواقضه، د .م، د .ن، ١٤٠٥هـ، ط٤ .

٢٠٠ - محمد نمر الخطيب .
موقف الدين من العلم، بيروت، دار العربية، ١٤٠٢هـ .

٢٠١ - محمد بن يزيد القزويني بن ماجة .
سنن ابن ماجة/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، د .ت، د .ط .

٢٠٢ - محمود أحمد خفاجي .
في العقيدة الاسلامية بين السالفية والمعتزلة تحليل ونقد، د .م، د .ن، ١٣٩٩هـ، ج١ .

٢٠٣ - محمود شلتوت .
الاسلام عقيدة وشريعة، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٤هـ، ط١٣ .

٢٠٤ - محمود عبد الوهاب فايد .
التربية في كتاب الله، د .م، دار الاعتصام، ١٣٩٨هـ، ط٥ .

٢٠٥ - مسلم بن الحجاج القشيري .
صحيح مسلم بشرح النووي، بيروت، دار الفكر، د .ت، د .ط، ج١٨ .

٢٠٦ - مصطفى حلمي .
قواعد المنهج السلفي، الاسكندرية، دار الدعوة، ١٤٠٥هـ، ط٢ .

٢٠٧ - مصطفى السباعي .
من روائع حضارتنا، دمشق، بيروت، المكتب الاسلامي، ١٤٠٢هـ، ط٣ .

٢٠٨ - مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة .
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت ، مكتبة المثنى ، د . ت ، د . ط ، جـ٢ .

٢٠٩ - مقداد يالجـــن .
التربية الاخلاقية الاسلامية ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ .

٢١٠ - مقداد يالجـــن .
جوانب التربية الاسلامية الاساسية ، د . م ، د . ن ، ١٤٠٦هـ .

٢١١ - مناع القطـــان .
مباحث في علوم القرآن ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ ، ط٧ .

٢١٢ - منصور بن يونس البهوتي .
الروض المربع بشرح زاد المستقنع / تصحيح ومراجعة أحمد وعلـــي محمد شاكر ، القاهرة ، دار التراث ، د . ت ، د . ط .

٢١٣ - نبيل صبحي الطويل .
الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعيـــة والشئون الدينية ، ١٤٠٤هـ .

٢١٤ - هشام ابراهيم الخطيب .
الوجيز في الطب الاسلامي ، عمّان ، دار الأرقم ، ١٤٠٥هـ .

٢١٥ - يحيى بن شرف بن مري النووي .
صحيح مسلم بشرح النووي ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ ، ط٢ ، جـ١ .

٢١٦ - يوسف بن عبد الـــبر .
جامع بيان العلم وفضله ، د . م ، دار الفكر ، د . ت ، د . ط ، جـ٢ .

٢١٧ - يوسف القرضـــاوي .
الخصائص العامة للاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ ، ط٢ .

٢١٨ - يوسف القرضـــاوي .
الرسول والعلم ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤هـ .

٢١٩ - يوسف القرضـــاوي .
حقيقة التوحيد ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٥هـ ، ط٢ .

الصحف والمجلات

١ - جريدة الرياض ، العدد ٥٣٣٥ ، الأحد ٩/٤/١٤٠٣هـ .
جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض .

٢ - مجلة الامة ، العدد الثاني عشر ، ذي الحجة ، ١٤٠٦هـ .
مجلة اسلامية شهرية جامعة ، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ، الدوحة .

٣ - مجلة الجهاد ، العدد الثامن والأربعون ، ربيع أول ، ١٤٠٩هـ .
مجلة اسلامية شهرية خاصة بالجهاد الأفغاني ، تصدرها دار الجهاد في بيشاور ، باكستان .

٤ - مجلة الحوادث ، عدد ٢٨ تشرين الاول ، ١٩٨٣م .

٥ - مجلة منار الاسلام ، العدد الثاني ، السنة الثالثة عشر ، صفر الخير ، ١٤٠٨هـ .
مجلة اسلامية ثقافية شهرية ، تصدر عن وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف ، الأمارات العربية المتحدة .

٦ - مجلة الوعي الاسلامي ، السنة العاشرة ، العدد ١١٤ .
مجلة اسلامية ثقافية شهرية ، تصدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، الكويت .

٧ - نشرة لهيب المعركة ، العدد ٣٠ ، في ٨/٥/١٤٠٩ هـ .
نشرة أسبوعية خاصة بالجهاد الافغاني ، تصدر عن مكتب الخدمات لمؤسسة الشهيد الدكتور عبدالله عزام ، بيشاور ، باكستان .

+++++++++++

تمت ولله الحمد